الشيخ نزيه القميحا

شرح خطبة الزهراء (ع) وأسبابها

طبعة ثانية
مزيدة ومنقحة

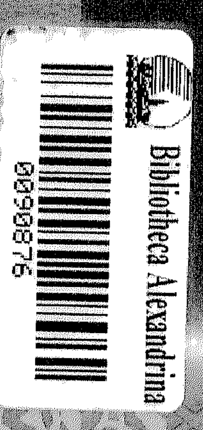

شرح
خطبة الزهراء (ع)
وأسبابها

الشيخ نزيه القميحا

شرح
خطبة الزهراء (ع)
وأسبابها

طبعة ثانية
مزيدة ومنقحة

يعود ريعه
لإنشاء مشروع خيري

الطبعة الثانية

سنة ١٩٩٥م الموافق ١٤١٥هـ

يطلب الكتاب من المؤلف

بيروت ـ المريجة

هاتف ـ ٨٣٨٣٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إذا كان لا بد من الإهداء ، فإني أهدي هـذا المجهـود المتواضـع إلى سـيدة نساء العالمين .

إلى أم الحسن والحسين ، والائمة السادة الميامين .

إلى ابنة محمد المصطفى (صلّى الله عليه وآله) وزوجة علي المرتضى (عليه السلام) .

إلى فاطمة الزهراء ، والصديقة البتول الحوراء .

لعلها تنظر اليّ من أعلى عليّين ، وتشفع لأحد مواليها يوم الدين ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى ا لله بقلب سليم** ﴾ .

مقدمة الطبعة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحقيقة أن الكتابة في أهل البيت (عليهم السلام) مغرية من ناحية الأجر والثواب الذي أعد لمن يحي أمرهم . وأمر أهل البيت هو الأسلام .

والإسلام لا يقوم إلا برجالاته وشخصياته الفذّة .

وعندما نحي تراث أيّ شخصية إسلامية نكون مصداقا للحديث الذي ورد عن مولانا الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : أحيوا أمرنا رحم ا لله من أحيا أمرنا [١] ونكون قد كتبنا عن أولئك الذين اختارهم ا لله تعالى لينشروا دينه في الأرض ، ويتمثل بهم الدين ، ويوجد بوجودهم .

فالحديث عن هؤلاء الذين طهّرهم ا لله من الرجس وفضلهم على جميع من خلق في الكون ، يكون حديثاً مغرياً بالثواب من ناحية ، لأنه تعالى يرضى عمّن يرضى عنه أهل البيت (عليهم السلام) .

ويكون صعبا وعويصا من ناحية اخرى .

فكيف يعرف الانسان الجاهلُ العالمَ ؟ وكيف يعرف المذنبُ العاصي المعصومَ عن الخطأ والزلل ؟ وهل الناقصُ يعرف الكاملَ المنزه ؟

---

(١) مكيال المكارم ج/١ ص٣٢٠

وهكذا كان ولا يزال رجالات أهل البيت (عليهم السلام) هم العلماء ، والحكماء ، الكاملون والمعصومون .

وهل نور الشمس بحاجة الى تعريف ؟ إلا لمن كان أعمى أو كانت العصابة على عينيه .

فكل من عرف أهل البيت (عليهم السلام) وعرف فضلهم وشرفهم ، واخلاقهم وسيرتهم الطيبة ، كان من مواليهم ومحبيهم . فهم الذين أجمع على مدحهم المؤالف والمخالف ، والمحب والمبغض ، فكان محبوهم يخفون فضائلهم خوفاً من الأعداء ، وأعداؤهم يخفون فضائلهم حسداً وبغضاً ، ومع هذا وصل إلينا الكثير الكثير من فضائلهم وسيرتهم الطيبة العطرة ، لأن نور الشمس لا بد أن يظهر يوما ، مهما تراكمت عليه الغيوم .

فقد روي عن محمد بن إدريس الشافعي - إمام الشافعيه ـ أنه سئل يوما عن علي (عليه السلام) فقال : ما أقول في رجل ؟ أخفت اولياؤه فضائله خوفاً ، وأخفت أعداؤه فضائله حسداً ، وشاع له من بين هذين ما ملأ الخافقين [1].

فشخصية أهل البيت (عليهم السلام) تعرّف عنهم ، وسيرتهم تحكي فضائلهم وأخلاقهم منهج للأجيال .

والتاريخ على أشكاله وألوانه وأنواعه مملؤ ومعطر بتلك السيرة الطيبة ، والأخلاق العالية ، ولا نقول إلاّ كما قال سبحانه : ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ [2] .

---

(١) الامام الصادق والمذاهب الأربعة ج/٣ ص٣٢٤

(٢) الأنعام /١٢٤

وهذا الكتاب ـ شرح خطبة الزهراء (عليها السلام) في المسجد أمام الصحابة ـ يتضمن إحتجاجها على الحكام الذين ظلموها ، وغصبوا حقها ، وما راعوا حرمتها وقرابتها من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وأن الله جل وعز يرضى لرضاها ، ويسخط لسخطها .

وقد اختصرتُ الكلام عن حياتها ، لأن هذا الكتاب هو شرح لخطبها وكلامها (عليها السلام) فقط . ولو أردت أن أتكلم عن حياتها بالتفصيل لكنت أمليت من ذلك مجلدات .

ولكن حاولت أن أشرح من كلامها ما هو بحاجة الى شرح وتوضيح .

وسلكت بذلك الطريق الوسط : لا التطويل الممل ، ولا الأختصار المخل ولا أبغي من ذلك سوى مرضاة الله تعالى ، ورسوله ، وآله الأطهار (صلوات الله عليهم اجمعين) .

وأسأل الله سبحانه أن يأخذ بأيدينا لما فيه الخير والصلاح ، لنا ولأمتنا الأسلامية ، إنه سميع مجيب .

غرة رجب ١٤٠٢ هـ

الموافق في ٢٤/٤/١٩٨٢م

نزيه محمد القميحا

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطمة الزهراء ! تلك المرأة التي ماتت وهي في عمر الزهور ، مقهورة ، ومظلومة ، ومغصوب حقها .

فاطمة الزهراء ! هي بضعة النبي (صلّى الله عليه وآله) التي يسره ما يسرها ، ويؤذيه ما يؤذيها .

فاطمة الزهراء ! هي الوحيده من أبنائه (صلّى الله عليه وآله) التي بقيت على قيد الحياة ، وهي الوحيدة التي عصمها الله تعالى عن الزلل ، وأذهب عنها الرجس وطهّرها تطهيرا .

فاطمة الزهراء ! هي أم الحسن والحسين ، والائمة السادة الميامين ، الذين لا غيروا ولا بدّلوا تبديلا .

سيدتي يا أُم الحسنين ! يا من كنت أول شهيدة وقتيلة ! بعد وفاة أبيك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكنت أوّل مظلومة ومقهورة .

يا من كان ظلمك وما زال سنّةً مفروضةً على كل الأحرار والشرفاء ممن سار على طريقك ، وآمن بأبيك نبي الرحمة (صلّى الله عليه وآله) واهتدى بطريق الهدى ، وهو طريقكم أهل البيت .

كأنما لم يقرأوا الاحاديث والنصوص في مدحك ، ومدح شيعتك ومحبيك ومنزلتهم في الدنيا والآخرة ؛ وذم أعدائك وباغضيك ، ومن والاهم ، وذكر منزلتهم في أسفل السافلين ، مع الكفار والمجرمين .

حبذا في هذه الايام ، أيام التحرر من التعصب الأعمى ، والتبعية والإستزلام ؛ أيام الوعي والتقدم والحضارة ، وأيام الانفتاح على الثقافات ، والتعاليم الاسلامية والاجتماعية والاخلاقية .

حبذا العودة الى أهل البيت (عليهم السلام) ، وخصوصاً أم الائمة الاطهار ، وبضعة النبي المختار (صلّى الله عليه وآله) ، وسيدة نساء الابرار ، ما جن ليل وطلع نهار ، لقراءة أقوالها ، ودراسة أحوالها ، والتفكر بما رمت اليه من خطبها وأقوالها ، والإقتداء بها ، والسير على طريقها ، فإنه طريق النجاة ، والخلاص والفوز .

إنها سيدة أهل الكساء ، وسيدة آية التطهير، وآية المباهلة ، وآية القربى ، وسورة ﴿**هل أتى**﴾ ، وحديث الثقلين ، وسفينة نوح ، وباب حطة ، وغيرها من الآيات والاحاديث التي ملأت بطون الكتب .

وإنها وزوجها وابناها ، هم صراط الله المستقيم ، وحبله المتين ، الذي امرنا بالتمسك والاعتصام به ، قال سبحانه : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾[1].

---

(١) آل عمران /١٠٣

ما أحوجنا في هذا الزمن الى التمسك بسيرة فاطمة الزهراء (عليها السلام). تلك السيرة العطرة المباركة .

ومع ان عمرها الشريف لم يدم كثيراً فإنها تركت من الأحاديث والتعاليم والفضائل ، ما يُستغنى به عن غيره ، ولا يُستغنى بغيره عنه ، وما يحتاجه كل مسلم ، ويعتمده كل مؤمن .

وهذا الكتاب ـ شرح خطبة الزهراء (عليها السلام) ـ خير دليل وبرهان على عظمة تعاليمها ، وشدة تمسكها بتعاليم الله تعالى وما جاء على لسان رسله وانبيائه (عليهم السلام) .

بعد أن نفذت الطبعة الاولى من الكتاب ، وراجت بعض الشائعات ، والتشكيكات في صحة الاخبار الواردة في أحزانها وآلامها ، وما جرى عليها من المصائب والمحن ، التي لخّصتها بقولها (عليها السلام) :

صبت عليّ مصائب لو أنها   صبت على الايام عدن لياليا

رأيت من واجبي ، وواجب كل مؤمن غيور على دينه ومبدأه أن يدافع عن سيدة نساء العالمين ، وبنت سيد المرسلين ، وحبيبة حبيب رب العالمين .

فعزمت على إعادة النظر في شرح الكلمات ووضع المصادر للروايات وإضافة بعض الأبواب الجديدة في الأسباب التي دعت الزهراء (عليها السلام) لأن تلقي خطبتها العظيمة المباركة .

ولا أُريد من ذلك سوى رضاها ، وإظهار الحقائق المدفونه في طي الكتمان ، أو في موسوعات الكتب الكبيرة التي لا يستطيع شراءها أو اقتناءها سوى القلّة من الناس ..

ونسأله تعالى أن يوفقنا للعمل الصالح على مـا يرضيه ، ويرضـي اوليـاءه الطاهرين ، إنه سميع مجيب .

المريجة في غرة محرم الحرام ١٤١٥ هـ

الموافق في ٩/حزيران/١٩٩٤ م

نزيه محمد القميحا

لماذا إثارة خطبة الزهراء (عليها السلام) في وقتنا الحاضر ؟

لعل القارئ الكريم يسأل لماذا إثارة هذه الخطبة ؟ في وقت نحن بحاجة إلى إتحاد المسلمين ، على مذاهبهم وأفكارهم ، ونزعاتهم أمام العدو الكافر الملحد المستبدّ الذي قضى ويقضي على تراثنا ، وتاريخنا ، وقرآننا ، ووجودنا نحن المسلمين ؟!.

أقول : نعم نحن بحاجة ماسة الى تضامن إسلامي ، والى تعاضد وتكاتف وتآخ ، فنكون كما قال الرسول (صلى الله عليه وآله) : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر [١] .

وقوله (صلى الله عليه وآله) : المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا [٢] .

وخاصة في هذا الزمان ، الذي يريد العدو الملحد أن يقضي على ما تبقى من تراثنا ـ إن كان بقي لنا تراث ـ .

ولكننا نريد إتحاداً وترابطاً إسلامياً على طريق القرآن ، ونبيّ الاسلام .

وكل طريق مغاير للقرآن فهو مزيف ، وكل خط غير السنة النبويّة الصحيحة فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

---

(١) الوحدة الاسلامية /ص١٣٤

(٢) نفس المصدر

وهذا القرآن يصرخ فينا ليل نهار ، ويقول : ﴿ **واعتصموا بحبل ا لله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة ا لله عليكم إذْ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا** ﴾ (١) .

فكيف نكون إخواناً ، وعن القرآن قد تفرقنا ، وعلى تفسيره اختلفنا ، حتى أصبحنا فرقا ومذاهب وأحزابا ؟!.

لا بدّ لنا من مرجع نرجع اليه ، وجامع يجمعنا ، وموحّد يوحدنا ، وهذا المرجع يكون الجميع متفقين عليه ، ولا يكون إلا الرسول الأكرم (صلى ا لله عليه وآله) لا غير ، فهو يوضّح لنا المواقف ، ويقول : في معنى الآية الكريمة التي تقول عن صراط ا لله المستقيم : ﴿ **وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ (٢) .

روي في الميزان : عن الدر المنثور بالإسناد إلى جابر بن عبد ا لله قال : كنّا جلوساً عند النبي (صلى ا لله عليه وآله) فخطّ خطّاً هكذا أمامه فقال : هذا سبيل ا لله ، وخطين عن يمينه ، وخطين عن شماله فقال : هذا سبيل الشيطان ثم وضع يديه ، في الخط الأوسط وقرأ : ﴿ **وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه** ﴾ (٣) .

---

(١) آل عمران /١٠٣

(٢) الأنعام /١٥٣

(٣) الميزان /ج٧ ص٣٨٥

وروى في البحار : عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) عندما خط خطا مستقيما أشار إلى علي (عليه السلام) وقال : هذا صراط الله فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله يميناً وشمالاً [١] .

وروى في ينابيع المودة : بعد ذكر الآية : ﴿ **وأنّ هذاصراطي.مستقيماً فاتبعوه** ﴾ عن الامام محمد الباقر ، والامام جعفر الصادق (عليهما السلام) قالا : الصراط المستقيم الامام : ولاتتبعوا السبل يعني غير الامام ، فتفرق بكم عن سبيله ، ونحن سبيله [٢] .

اذاً ! فطريق الله تعالى واحد ، والطُرق الاخرى هي طرق ابليس ، وتؤدي الى النار ، وغضب الجبار .

وهناك مرجع واحد متفق عليه ، وهوالرسول محمد (صلى الله عليه واله) فلنرجع اليه لنرَ ماذا قال وهذه الاقوال يتفق عليها جميع المسلمين ، و الصحاح والتواريخ تشهد بذلك .

أو لم يقل (صلى الله عليه وآله) وقوله الحق : علي مع الحق ، والحق مع علي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة [٣] .

وقال (صلى الله عليه وآله) : علي مع القرآن ، والقرآن مع علي ، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض [٤] .

---

(١) البحار ج /٢٤ /ص١٤

(٢) ينابيع المودة /ص١٣٠

(٣) فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج٢ /ص١٠٩

(٤) نفس المصدر

وقال (صلى الله عليه وآله) في بيعة غدير خم : من كنت مولاه ، فهذا علي مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله [١] .

وقال (صلى الله عليه وآله) : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها [٢] .

وعلم النبي (صلى الله عليه آله) هو علم الدنيا والدين ، علم الاسلام ، هوعلم من الله تعالى..

وقال (صلى الله عليه وآله) : إني أُوشك أن أُدعى فأُجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عز وجل وعترتي . كتاب الله : حبل ممدود بين السماء والارض ، وعترتي أهل بيتي ، وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما [٣] .

وقال (صلى الله عليه وآله) : ... إنما مثل أهل بيتي فيكم ، كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق .

ومثل باب حطة في بني اسرائيل ، من دخله غفرله [٤] .

هذه قطرة من بحر ، وغرفة من نهر..

---

(١) فضائل الخمسة ج١ /ص٣٤٩

(٢) نفس المصدر ج٢ /ص٢٥١

(٣) المراجعات /ص٥٠ رقم ٨ والبحار ج٢٣ /ص١٤٧

(٤) البحار ج٢٣ /ص١٠٥ وفضائل الخمسة ج٢ /ص٥٨

هذه عجالة من النصوص المتواترة المشهورة بين المسلمين ، على اختلاف نزعاتهم وميولهم ، وإذا أردتَ الزيادة – قارئي الكريم – فعليكَ ان ترجع الى الكتب المعدة لذلك مثل كتاب : (فضائل الخمسة في الصحاح الستة) الذي ينقل فضائل أهل البيت الخمسة (عليهم السلام) من صحاح أهل السنة الستة..

اذن فالمحور المتفق عليه هو النبي (صلى الله عليه وآله) ، والنبي قال هذه الاقوال في علي أميرالمؤمنين ، وإمام المتقين ، وسيد الأولين والآخرين ، بعد رسول رب العالمين ، ليرشدنا أنه يجب علينا ان نتمسك به (عليه السلام) لأنه مع الحق الذي جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) ، ولأنه مع القرآن ، بل هو القرآن الناطق كما قال (عليه السلام) في صفين عندما رفع قوم معاوية المصاحف ، فعرف أنها خدعة ، فتبسم أمير المؤمنين تعجباً وقال : ياابن أبي سفيان:أنت تدعوني الى العمل بكتاب الله ، وأنا كتاب الله الناطق [1] .

ويوضح قولَ أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه هو كتاب الله تعالى ، قولُ النبي (صلى الله عليه وآله) لعمار بن ياسر : إنه سيكون بعدي هنات ، حتى يختلف السيف فيما بينهم ، وحتى يقتلَ بعضُهم بعضاً ، وحتى يتبرأ بعضهم من بعض.

فاذا رأيت ذلك ، فعليك بهذا الاصلع عن يميني ، علي ابن أبي طالب (عليه السلام) . فان سلك الناس كلهم وادياً ، و سلك عليٌ وادياً ، فاسلك وادي علي ، وخلِّ عن الناس .

ياعمار ! ان علياً لايردُّك عن هدى ، ولا يردك الى ردى.

---

(١) ارشاد القلوب / ص٢٤٩

يا عمار ! طاعة علي طاعتي ، وطاعتي طاعة ا لله [١] .

نعم قارئي الكريم : إذا أردنا التضامن والتعاضد الاسلامي الكامل ، فيجب أن نسلك مسلك علي (عليه السلام) ، ونكون مع علي في سلوكه وسيرته لأنه صورة عن النبي (صلّى الله عليه وآله) ، وقطعة منه ، وأخوه وصهره ووصيه ، وأولى الناس به حيا وميتا ، بل هو نفسه بنص آية المباهلة [٢] .

وإنما ذكرنا هذه الخطبة الشريفه ، لما فيها من المضامين والمفاهيم الاسلامية العالية ، عن حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وحياة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بضعة النبي (صلّى الله عليه وآله) .

وفي هذه الخطبة كثير من الأحكام الاسلامية والاجتماعية والعقائدية التي أوضحتها الزهراء (عليها السلام) فيها ، وهذا ما سنجده في فقرات كلامها (عليها السلام) إن شاء ا لله تعالى .

وايضا ، إنما ذكرنا هذه الخطبة وغيرها من الكلام الوارد عن بضعة النبي (صلّى الله عليه وآله) حتى تشملنا الرحمة التي تشمل كل من يحي أمر أهل البيت (عليهم السلام) ، لأن أهل البيت هم الاسلام ، وهم ترجمان القرآن ، وقد روي في الحديث الشريف عن مولانا الامام الصادق (عليه السلام) : أحيوا أمرنا ، رحم ا لله من أحيا امرنا [٣] .

---

(١) البحار ج ٢٨/ ص٦٨ ورواه العلامة المرعشي في ج٦/ ص٤٦٩ من كتابه إحقاق الحق ، وينابيع المودة ص/١٢٨ ومنتخب كنز العمال ج١١/ ص١٧٤

(٢) آل عمران /٦٠

(٣)مكيال المكارم ج ١ /ص٣٢٠ وأصول الكافي ج٢/ص١٧٥

وإذا سكتنا ، وأغفلنا هذه الحقائق والدرر ، وتركناهـا في طـي الكتمـان ، نكـون المسـؤولين أمـام رب العـالمين ، ونكـون مـع الشـياطين ، كمـا قيـل : (الساكت عن الحق شيطان أخرس) . ولـولا سكوت السـاكتين ، ونفـاق المنافقين ، لما تسلّط علينا الكافرون ، والملحدون ، ولما وصلنـا إلى مـا وصلنـا اليه في هذه الايام ، مـن الـذل والعـار ، والخضـوع إلى الأجنبي ، والمسـتعمر الغاصب .

فعلينا أن ننصر الحق ، ونكون مع الحق ، حتى ينصرنا الحق ، وا لله ينصـر من ينصره ﴿ **ولينصرنّ ا لله من ينصره إن ا لله لقوي عزيز** ﴾ [1] .

---

(١) الحج / ٤٠

نبذة موجزة عن حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

فاطمة الزهراء ، البتول الحوراء ، الصدّيقة الطاهرة ، التي أذهب الله عنها الرجس وطهّرها تطهيرا .

فاطمة الزهراء ، هي ابنة الرسول الأعظم ، محمد (صلّى الله عليه وآله) الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة ، بعد وفاة أولاده ، القاسم ، والطاهر ، وابراهيم .

فهي كانت ريحانته من الدنيا ، كما كان يقول (صلّى الله عليه وآله) ، وبضعةٌ منه ، وحوراء إنسيّة ، كلما اشتاق إلى الجنة كان يقبّلها ويشمّها .

فقد تميزت فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، وحازت على عطف وحنان ومحبة صاحب الرسالة (صلّى الله عليه وآله) للدوافع التالية :

أولاً : إنها الوحيده من ذريته (صلّى الله عليه وآله) التي بقيت على قيد الحياة كما ذكرنا .

ثانياً : لأنها ابنة خديجة بنت خويلد (عليها السلام) تلك المرأة الصالحه التي قال عنها الرسول (صلّى الله عليه وآله) ، إنها من أفضل نساء أهل الجنة : أفضل نساء الجنة أربعة : خديجة بنت خولد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم إمرأة فرعون [1] .

وكان دائما يذكرها بالخير والدعاء ، ويترحم عليها طيلة حياته الشريفة .

وقد غارت منها عائشة يوماً ، بعد ذكر الرسول (صلّى الله عليه وآله) لخديجة

---

(١) البحار ج١٦/ص٢

وترحمه عليها ، ولم تملك نفسها ، وأظهرت كرهها لها ، فقالت : ما أنت وخديجة ؟! إنها عجوز ، قد أبدلك الله خيراً منها ــ وتعني بذلك نفسها ــ فقال النبي (صلّى الله عليه وآله) : لا والله ما أبدلني خيراً منها . لقد آمنت بي حين كفر بي الناس ، وصدّقتني حين كذّبني الناس ، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها ، وحرمني ولد غيرها [1] .

وقد انفقت خديجة (عليها السلام) كل اموالها على الدعوة الاسلامية ، تلك الاموال التي كانت لا تحصى . وكان تجار الجزيرة العربية في ذاك الزمان يضاربون ويتاجرون بأموال خديجة حتى قيل : إن لها أزيد من ثمانين الف جمل متفرقة في كل مكان ، وكان لها في كل ناحية تجارة ، وفي كل بلد مال مثل مصر ، والحبشه ، وغيرها [2] .

فهذه الاموال الكثيرة ، والخيرات الغزيرة ، أنفقتها كلها في سبيل إعلاء كلمة الله في الارض ، وخاصة عندما تعاقدت قريش على مقاطعة بني هاشم من أجل النبي (صلّى الله عليه وآله) ، فخرجوا من مكّة ، ولجأوا إلى شعب من شعاب أبي طالب ، ومكثوا فيه مع من آمن في ذاك الوقت ، مدة ثلاث سنين ، وقد أنفقت خديجة (عليها السلام) جلّ مالها ، إن لم نقل كُلّه ، وقد صرّح (صلّى الله عليه وآله) أن لمال خديجة الدور الفعال في حفظ الرسالة ، وإقامة

---

(١) البحار ج١٦ /ص٣ والأئمة الأثنى عشر ج١ /ص٥٨ واعلموا أني فاطمة ج٢ /ص٢١٠

(٢) البحار ج ١٦/ ٢٢

دعائم الاسلام فقال (صلّى الله عليه وآله) : ما قام الاسلام إلا باموال خديجة ، وسيف علي ، ومِنعة أبي طالب [١] .

لهذا انصب كل حنانه وعطفه وترحمه على خديجة ، في وحيدتها ، وبضعته فاطمة (عليها السلام) فكان يحبها حباً لا يوصف ، ولم يشبه حبه لها (عليها السلام) محبة الآباء لأبنائهم . إذ كان حبه لها مزيجا من الحب والإحترام والتعظيم . وكان يقول : فاطمة بضعة مني ، يقبضني ما يقبضها ، ويبسطني ما يبسطها .

وقال أيضا : فمن عرف هذه فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فهي بضعة مني هي قلبي ، وروحي التي بين جنبيّ ، فمن آذاها فقد آذاني .

وقال أيضا : ان الله يغضب لغضب فاطمة ، ويرضى لرضاها [٢] .

لهذا الحب ، وهذا الاهتمام ، وهذه الخاصيه ، كانت عائشة تكره فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، لانها ابنة خديجة (عليها السلام) التي كان (صلّى الله عليه وآله) يذكرها كثيرا ، ويترحم عليها في كل مناسبة .

وثالثاً : وهو الأهم ، إن فاطمة (عليها السلام) كانت على صغر سنها ، صاحبة القلب الكبير ، والعقل العظيم ، والحنان الواسع ، فقد عوضت أباها حنان الأُم التي حرم منه وهو ابن ست سنين ، وعطف الأب الذي توفي قبل ان يولد ويرى النور ، والجد الذي قام بكفالته ولكن ما لبث أن مات هو الآخر بعد فترة وجيزه .

---

(١) أعيان الشيعة ج٢/ ص٨ . واعلموا أني فاطمة ج٢/٢٣٥ .

(٢) فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد /ص٢٧٥

وهكذا عاش (صلّى الله عليه وآله) أكثر حياتـه في كنـف عمـه أبـي طـالب (عليه السلام) .فجاءت الزهـراء (عليها السلام) بعـد أمهـا لتعـوضّ عليـه الحنـان والحـب والعطف الذي حرم منه عندما كان صغـيرا . فحملـت معـه أعبـاء الرسـالة ، وهموم الدعوة ، وكانت تخفف عنه مـا يلـمّ بـه مـن مشـاكل ، وتضمـد مـا يصيبه من جراح ، كما حصل في وقعة أُحد عندمـا جـرح (صلّى الله عليه وآله) . ولقد قال عنها (صلّى الله عليه وآله) كلمته المشهورة : فاطمة الزهراء أُم أبيها [1] .

فكان (صلّى الله عليه وآله) أباهـا ، أبـوّةً وولادةً ونسـباً ، وكـانت أمـه ، حنانـاً وعطفاً وحباً . ولذا كان (صلّى الله عليه وآله) شغوفاً بحبها ، لا يستطيع الصبر على بعدها ، وإذا أراد الذهاب إلى أي مكان ـ من سفر أو غـزو أو غـيره ـ كـان آخر بيت يخرج منه هو بيت فاطمة (عليها السلام) . وعندمـا يعـود ، يكـون أول بيت يدخله هو بيت فاطمة (عليها السلام) [2] .

فكـانت مـع أبنائهـا مـلاذه في الدنيـا ، و سـلوته عنـد أحزانـه وهمومـه ، ومشاكل الدعوة الإسلامية .

ورابعاً.:.إن النبي (صلّى الله عليه وآله) لم يبق له ذرية إلا فاطمة (عليها السـلام) -كل أولاده ماتوا في حياته الشريفة - فكانت ذريتهـا ذريتـه ، وأولادهـا أولاده ، ردا على من عيّره بأنه (صلى الله عليه وآله) أبتر [3] .

---

(١) البحار ج٤٣/ ١٩

(٢) فاطمة من المهد الى اللحد / ٢٧٩

(٣) .راجع تفسير الاختيار للمؤلف في تفسير سورة الكوثر

أي لا عقب له ، ولا ذرية ، قال سبحانه : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك و انحر ان شانئك هو الأبتر** ﴾ .

فجعل ذرية الرسول (صلّى الله عليه وآله) من ابنته فاطمة الزهراء ، و جعل الكثرة من هذه الذرية ، و هاهم يملأون بقاع الارض .

و كان (صلّى الله عليه وآله) يؤكد دائما أن ذرية فاطمة (عليها السلام) ذريته وأولادها أولاده ، فكان كلما ذكر الحسن و الحسين (عليهم السلام) يقول : إنهما ولداي ، و ريحانتاي من الدنيا [١] .

وقد عبر عنهما ا لله جل جلاله في كتابه المجيد بأنهما أبناء رسول ا لله (صلّى الله عليه وآله) بقوله تعالى : ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم ونساءنا و نساءكم وأنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة ا لله على الكاذبين** ﴾ [٢] .

وهما من أهل بيته في حديث الكساء ، و لقد خصهما مع أبيهما وأمهما به ، وميّزهم بالحديث الشريف الذي ورد عنه (صلى الله عليه وآله) وذلك بنزول آية التطهير ، و هي قوله تعالى : ﴿ **إنما يريد ا لله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا** ﴾ [٣] .

جمع النبي (صلّى الله عليه وآله) علياً و فاطمة وحسناً وحسيناً (عليهم السلام)وجلس و إياهم تحت كساء و قال : اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس

---

(١) البحار ج ٤٣/ص٢٦٤

(٢) آل عمران /٦٠

(٣) الاحزاب /٣٣

وطهرهم تطهيرا - وأم سلمة كانت واقفة - فقالت : يا رسول الله و أنا معهم ؟ قال (صلّى الله عليه وآله) : لا و إنك على خير ، وهؤلاء أهل بيتي ، اللّهم أهلي أحق [1] .

وكان (صلّى الله عليه وآله) غالباً ما يقول أمام الصحابة في الحسن و الحسين (عليهما السلام) : اللّهم إني أُحبهما ، فأحبهما ، وأحبب من أحبهما .

وقال (صلّى الله عليه وآله) : من أحب الحسن والحسين أحببته ، ومن أحببته أحبه الله ، ومن أحبه الله أدخله الجنة ، ومن أبغضهما أبغضته ، ومن أبغضته أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أدخله النار [2] .

وروى عن ابن مسعود أنه قال : كان النبي (صلّى الله عليه وآله) يصلي ، فجاء الحسن والحسين (عليهما السلام) فارتدفاه [3] فلما رفع رأسه أخذهما أخذاً رفيقاً فلما عاد عادا ، فلّما انصرف ، أجلس هذا على فخذه الأيمن ، و هذا على فخذه الأيسر ثم قال : من أحبني فليحب هذين [4] .

وروي عن عامر الشعبي أنه قال : بعث اليّ الحجاج ذات ليلة ، فخشيت فقمت فتوضأت ، و أوصيت ، ثم دخلت عليه ، فنظرت فاذا نطع منشور ، والسيف مسلول ، فسلمت عليه ، فرد عليّ السلام فقال : لا تخف قد أمنتك الليله وغداً إلى الظهر ، وأجلسني عنده ، ثم أشار فأتي برجل مقيّد

---

(١) دلائل الصدق ج٣/ص١٠٦

(٢) البحار ج٤٣/٢٧٥

(٣) اي ركبا على ظهره (صلّى الله عليه وآله)

(٤) البحار ج٤٣ /ص٢٧٥

بالكبول والاغلال ، فوضعوه بين يديه فقال : إن هذا الشيخ يقول : إن الحسن والحسين كانا ابني رسول ا لله (صلّى الله عليه وآله) ! ليأتيني بحجة من القرآن وإلا لأضربن عنقه .

فقلت : يجب ان تحل قيده ، فإنه إن احتج فإنه لا محالة يذهب ، وإن لم يحتج فإن السيف لايقطع هذا الحديد ، فحلّوا قيوده وكبوله ، فنظرت ، فإذا هو سعيد بن جبير ، فحزنت بذلك وقلت : كيف يجد حجة على ذلك من القرآن ؟!

فقال له الحجاج : إئتني بحجة من القرآن على ما ادعيت وإلا أضرب عنقك ، فقال له : إنتظر فسكت ساعة ، ثم قال له : مثل ذلك ، فقال : إنتظرا فسكت ساعة ، ثم قال له : مثل ذلك ، فقال : أعوذ با لله من الشيطان الرجيم ، بسم ا لله الرحمن الرحيم ، ثم قال : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين** ﴾ ثم سكت وقال للحجاج : إقرء ما بعده ، فقرأ :﴿ **و زكريا و يحي و عيسى و الياس كل من الصالحين** ﴾ [1] .فقال سعيد : كيف يليق ههنا عيسى ؟

قال : إنه كان من ذريّته ، قال : إن كان عيسى من ذرية إبراهيم و لم يكن له أب ، بل كان ابن ابنته ، فنسب إليه مع بعده ، فالحسن و الحسين أولى ان ينسبا إلى رسول ا لله (صلّى الله عليه وآله) مع قربهما منه !

---

(١) الانعام /٨٤/٨٥

فأمر له بعشرة الآف دينار ، و أمر بأن يحملوها معه إلى داره ، و أذن له في الرجوع

قال الشعبي : فلما أصبحت قلت في نفسي : قد وجب عليّ ان آتي هذا الشيخ فاتعلم منه معاني القرآن ، لأني كنت أظن أني أعرفها ، فاذا انا لا أعرفها ، فأتيته فاذا هو في المسجد ، و تلك الدنانير بين يديه يفرقها عشرا عشرا ، و يتصدق بها ، ثم قال : هذا كله ببركة الحسن والحسين (عليهما السلام) لئن كنا أغممنا واحداً ، لقد أفرحنا ألفاً وأرضينا ا لله ورسوله (صلّى ا لله عليه وآله)[1]

يعني أن ا لله سبحانه نسب عيسى أنه من ذرية إبراهيم من ناحية أُمه مريم مع كثرة الآباء بينه و بين إبراهيم (عليه السلام) و لا يجوز أن ننسب الحسن والحسين (عليهما السلام) إلى رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) مع أنه لا يوجد بينهما إلا فاطمة (عليها السلام) .

وهناك روايات كثيرة تدل على أن الحسن و الحسين (عليهما السلام) ابنا رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) حقيقة .

فلهذه الامور وغيرها من الدوافع التي يعلمها (صلّى ا لله عليه وآله) مستقبلا ، مما يجري على بضعته بعد وفاته ، من غصب حقها ، وحق زوجها أمير المؤمنين (عليهما السلام) ، وإنتزاع فدك من يدها ، وحرمانها من إرثها ، و دخولهم عليها بيتها بغير إذنها ، و ضغطها خلف الباب ، و إسقاطهم جنينها المحسن ، وغيرها من المصائب والآلام والمحن .

---

(١) البحار ج ٢٢٩/٤٣

من أجل ذلك كان (صلّى الله عليه وآله) يُذكّر المسلمين دائما بفضلها ، وقدرها عنده ، وعند الله تعالى

وخامساً : إن فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي الوحيدة من النساء التي عصمها الله تعالى من الدنس والخطأ والزلل ، وطهرها من الرجس تطهيرا لقوله تعالى : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ [1] .

وهي الوحيدة من النساء التي باهل بها النبي (صلّى الله عليه وآله). في آية المباهلة، مع كثرة ما عنده من النساء ، قال سبحانه : ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾ [2] .

وهي المقصودة بآية المودة وهل هناك أقرب من الزهراء إلى الرسول (صلّى الله عليه وآله) ؟ قال عز وجل : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾[3] .

وقد ورد في الصحاح أن المسلمين سألوا النبي (صلّى الله عليه وآله) بعد نزول هذه الآية فقالوا : يا رسول الله : من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ فقال (صلّى الله عليه وآله) : علي و فاطمة و ابناهما [4] .

---

(١) الاحزاب /٣٣

(٢) آل عمران /٦٠/٦١

(٣) الشورى /٢٣

(٤) فاطمة من المهد الى الحد ص٢٣٣

وبفاطمة وأمير المؤمنين وابنيهما (عليهم السلام) نزلت آيات من سورة الدهر ، تذكر فضلهم ، و تشكر لهم صنيعهم . .

قال العلامة في نهج الحق وكشف الصدق : روى الجمهور أن الحسن والحسين مرضا ، فعادهما رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) وعامة العرب ، فنذر علي صوم ثلاثة أيام ، وكذا أُمهما فاطمة ، و خادمتهم فضة ، لئن برئا . فبرئا وليس عند آل محمد قليل ولا كثير ، فاستقرض أمير المؤمنين (عليه السلام) ثلاثة أصوع من شعير ، وطحنت فاطمة منها صاعا ، فخبزته خمسة أقراص ، لكل واحدٍ قرص ، و صلى علي المغرب ثم أتى المنزل ، فوضع الطعام بين يديه للافطار ، فأتاهم مسكين ، وسألهم ، فأعطاه كل منهم قوته ، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئا ، ثم صاموا اليوم الثاني ، فخبزت فاطمة صاعاً آخر ، فلما قدمته بين أيديهم للإفطار أتاهم يتيم وسألهم القوت ، فتصدق كل منهم بقوته ، فلما كان اليوم الثالث من صومهم ، وقُدّم الطعام للإفطار ، أتاهم أسير وسألهم القوت ، فأعطاه كل منهم قوته ، ولم يذوقوا في الأيام الثلاثة سوى الماء ، فرآهم النبي (صلّى ا لله عليه وآله) في اليوم الرابع ، وهم يرتعشون من الجوع ، وفاطمة (عليها السلام) قد التصق بطنها بظهرها من شدّة الجوع ، وغارت عيناها .

فقال (صلّى ا لله عليه وآله) : واغوثاه يا ا لله ! أهل محمد يموتون جوعا ! فهبط جبرائيل فقال : خذ ما هنأك ا لله في أهل بيتك فقال : وما آخذ يا جبرائيل ؟ فأقرأه : **﴿هل أتى ... يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ﴾**

ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسـيرا * إنما نطعمكـم لوجـه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا ﴾[1] .

وأما ما ورد في فضلها من الأحاديث عـن أبيهـا الرسـول (صلّى الله عليه وآله) فحدّث ولا حرج ، وقد ذكرنا بعضاً من هذه الآحاديث ونذكر هنا بعضاً مما ورد في فضل أهل البيت (عليهم السلام) عامة ، وهـذه الرويـات قـد اتفـق عليهـا جميع المسمين .

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : إني تارك فيكم الثقلين ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السـماء إلى الارض ، وعـترتي أهـل بيتي ، وأنهما لن يزالا جميعاً حتى يردا عليّ الحوض ، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما [2] .

وقال (صلّى الله عليه وآله) : إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثـل سـفينة نـوح ، مـن ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق . ومثل باب حطّة ، من دخله نجا ، ومـن لم يدخله هلك [3] .

وقال أبو ذر الغفاري (رض) : سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقـول : إجعلو أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ، ومكان العينين مـن الـرأس ، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس ، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين [4] .

---

(١) دلائل الصدق ج٢/ص١٧٢ والآيات من أول سورة الدهر .

(٢) البحار ج /٢٣ / ١٣٤

(٣) البحار ج ٢٣/ ١٢٠

(٤) البحار ج/ ٢٣ / ١٢١

وقال ابن عباس قال : قال رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) : ... مثلك ومثل الأئمة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، ومثلكم مثل النجوم ، كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة [١] .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : هؤلاء بنو اسرائيل نصب لهم باب حطة : وأنتم يا معشر أمّة محمد نصب لكم باب حطة أهل بيت محمد (عليهم السلام) وأُمرتم بإتباع هداهم ، ولزوم طريقتهم ، ليغفر لكم بذلك خطاياكم وذنوبكم ، وليزداد المحسنون منكم ، وباب حطتكم أفضل من باب حطتهم لانّ ذلك كان بأخاشيب ، ونحن الناطقون ، الصادقون ، المؤمنون ، الهادون الفاضلون ، كما قال رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) : إن النجوم في السماء أمان من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتى من الضلالة في أديانهم ، لا يهلكون مادام منهم من يتبعون هديه وسنته .

أمّا إن رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) قد قال : من أراد أن يحي حياتي ، ويموت مماتي ، وأن يسكن جنة عدن التي وعدني ربي ، وأن يمسك قضيبا غرسه بيده وقال ا لله : كن فكان ، فليتولّ عليّ ابن ابي طالب (عليه السلام) ، وليوال وليه ، وليعاد عدوّه ، وليتول ذريته الفاضلين ، المطيعين لله من بعده ، فانهم خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي ، فويل للمكذبين بفضلهم من أُمتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم ا لله شفاعتي [٢] .

---

(١) البحار ج/ ٢٣ / ١٢٦

(٢) البحار ج ٢٣ص/١٢٢

وروى عن ابن عباس انه قال : خطب رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) فقال : ... معاشر الناس : ألا إن أهل بيتي خاصتي ، وقرابتي ، وأولادي ، وذريتي ، ولحمي ، ودمي ، ووديعتي ، وإنكم مجموعون غداً ، ومسؤلون عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهم ، فمن آذاهم فقد آذاني ، ومن ظلمهم فقد ظلمني ، ومن نصرهم فقد نصرني ، ومن أعزهم فقد أعزني ، ومن طلب الهدى من غيرهم فقد كذبني ، فاتقوا ا لله وأنظروا ما أنتم قائلون غدا ، فإني خصم لمن كان خصمهم ، ومن كنت خصمه فالويل له) [1] .

وروى عن جابر الانصاري قال : قال رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) : فاطمة بهجة قلبي ، وإبناها ثمرة فؤادي ، وبعلها نور بصري ، والأئمة من ولدها أمانتي ، والحبل الممدود ، فمن اعتصم بهم فقد نجا ، ومن تخلف عنهم فقد هوى [2] .

وروى أن لها تسبيح تعقّب به بعد كل صلاة ، وهذا التسبيح لم يروَ إلا عنها باتفاق الجميع .

وقد حدّث عنها أمير المؤنين (عليه السلام) لرجل من بني أسد فقال : ألا أُحدثك عني وعن فاطمة ؟ إنها كانت عندي ، وكانت من أحب أهله إليه[3]

---

(١) البحار ج ١٥٣/٢٣

(٢) البحار ج ١٣٢/٢٣

(٣) أي إلى رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله)

وأنها استقت بالقربة حتى أثّر في صدرها ، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها[٤] وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها ، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها[١] فأصابها من ذلك ضرر شديد [٢] .

وقد وسّع الله على المسلمين ، فطلب منها أمير المؤمنين أن تذهب لأبيها النبي (صلّى الله عليه وآله) وتطلب منه خادماً فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : يا فاطمة ! أعطيك ما هو خير لك من خادم ، ومن الدنيا بما فيها : تكبرين الله بعد كل صلاة أربعاً وثلاثين تكبيرة ، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة وتسبحين الله ثلاثاً وثلاثين تسبيحة ، ثم تختمين ذلك بلا إله إلا الله ، وذلك خير لك من الذي أردت ، ومن الدنيا وما فيها [٣] .

وهكذا رجعت الزهراء (عليها السلام) بهذا التسبيح الذي هو خير لها من الدنيا وما فيها ، وأصبح هذا التسبيح ينسب إليها ، وفيه فضل عظيم ، وأجر كبير .

وقد ورد عن مولانا الامام الصادق (عليه السلام) انه قال : يا أبا هارون إنا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة (عليها السلام) كما نأمرهم بالصلاة ، فألزمه ، فانه لم يلزمه عبد فشقي [٤] .

---

(٤) المجل : هو اللحم الميت يظهر على اليد من كثرة العمل .

(١) أي اسودت واتسخت

(٢) فاطمة من المهد الى اللحد /ص ٢٦

(٣) فاطمة من المهد الى اللحد /ص٢٦٢

(٤) نفس المصدر ص/٢٦٣

هذه فاطمة الزهراء ، بضعة الرسول ووحيدته ، وهذا القرآن يصرح بفضلها وعصمتها ، وأنها سيدة نساء العالمين ، فهل بعد هذا الفضل فضل ؟ وبعد هذه المنزلة منزلة ؟ من فضلها ا لله تعالى على نساء العالمين ، من الاولين والآخرين .

فما علينا الا ان نقرأ خطبها وكلامها ، ونطبق على أنفسنا ما وعظت به غيرنا ، حتى نكون لها خير شيعة وأتباع ، كما وأنها (عليها السلام) لنا خير قدوة صالحة .

أولُ محنةٍ للزهراء (عليها السلام)

مرضُ والدها رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله)

كانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) تعيش حياة هانئة مستقرة في ظل أب رؤوف رحيم ، عطوف كريم ، وزوج مؤمن عادل مستقيم ، وأولاد في منتهى البر والطاعة ، لم ينغص صفو عيشها ، وهناءة حياتها سوى المرض الذي ا لمّ بأبيها (صلّى ا لله عليه وآله) خاصة بعد أن أخبرها أنه نُعيت اليه نفسه الشريفة . فبكت فاطمة ، فقال لها : لا تبكين ، فإنك لا تمكثين بعدي إلا اثنين وسبعين يوما ونصف يوم حتى تلحقي بي ، ولا تلحقي بي ، حتى تتحفي بثمار الجنة ، فضحكت فاطمة (عليها السلام) [1] .

وقبل أن يمرض رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) مرضه الذي مات فيه ، كان قد جهّز جيش أسامة بن زيد بن حارثة لغزو الروم ، وهي آخر سراياه . وقد اهتم فيها اهتماماً عظيماً . فأمر أصحابه بالتهيؤ لها . وحضهم على ذلك . ثم عبأهم بنفسه الزكية . فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار ، كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد وأمثالهم ، إلا وقد عُبئ بالجيش [2] .

وقد ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) أن الغاية من حشد جميع المهاجرين والأنصار في جيش أسامة ـ إلا القليل ممن عرف حبه لعلي (عليه

---

(١) البحار ج ٤٣ / ص١٥٦

(٢) المراجعات رقم /ص٩٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السلام) ـ ما نقله العلامة المجلسي (ره) في البحار نقلاً عن كتابيّ الخصال للشيخ الصدوق [1] والإختصاص للشيخ المفيد [2] : في جواب أمير المؤمنين (عليه السلام) لليهودي عن المواطن التي امتُحن فيها ، فقال :

...ثم أمر رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) بتوجيه الجيش الذي وجهه مع أسامة بن زيد ، عند ذلك أحدث ا لله به المرض الذي توفاه فيه ، فلم يدع النبي (صلّى الله عليه وآله) أحداً من أبناء العرب ولا من الأوس والخزرج وغيرهم من سائر الناس ، ممن يخاف عليّ نقضه ومنازعته ، ولا أحداً ممن يراني بعين البغضاء ، ممن قد وترته بقتل أبيه ، أو أخيه ، أو حميه ، إلا وجّهه في ذلك الجيش ، ولا من المهاجرين والانصار ، والمسلمين وغيرهم ، من المؤلفة قلوبهم ، والمنافقين ، لتصفو قلوب من يبقى معي بحضرته ولئلا يقول قائل شيئا مما أكرهه ، ولا يدفعني دافع عن الولاية ، والقيام بأحد رعيته من بعده

ثم كان آخر ما تكلم به في شيء من أحد من أمر أمته أن يمضي جيش أسامة ، ولا يتخلف عنه أحد ممن أنهض معه ، وتقدم في ذلك أشد التقدم ، وأوعز فيه أبلغ الإيعاز ، وأكّد فيه اكثر التأكيد [3] .

ولكنه (صلّى الله عليه وآله) لاحظ التقاعس والتباطؤ فلعن من تأخر وتخلف عن جيش أسامة [4] . وخاصة بعد ان طلب منهم بكتف ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده ابداً .

---

(١) الخصال /ص ٣٤١

(٢) الإختصاص /ص ١٦٤

(٣) البحار ج ٢/ص٢٠٦ / ٢٠٧

(٤) المراجعات رقم/ ٩٢

رزية منع النبي (صلى الله عليه وآله)
من كتب الكتاب

بعد أن أحس النبي (صلّى الله عليه وآله) بغدر أصحابه وتقاعسهم عن تنفيذ أوامره في تجهيز جيش أسامة ، طلب منهم أن يأتوه بكتف ودواة ليكتب لهم كتابا ، يكون فيه الهداية والمنارة التي ترسم طريق الهدى حتى قيام الساعة . وكانت المصيبة الكبرى ، والرزية العظمى ، أن منعوه من ذلك وقالوا فيه كلاماً لا يفوه به من عنده أدنى ذرة من الإيمان بأنه (صلّى الله عليه وآله) رسول من قبل الله تعالى ، وأنه يوحى إليه ، وهذا ما سنراه لاحقاً في الروايات ، وآراء بعض العلماء إن شاء الله تعالى .

روى في صحيح مسلم ، في آخر كتاب الوصية ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : يوم الخميس ، وما يوم الخميس ، ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ .فقال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : ائتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً . فقالوا : إن رسول الله يهجر [1] .

وروى في صحيح البخاري حديث الهجر بلفظ الاخبار ، عن ابن جبير ، عن ابن عباس قال : يوم الخميس ، وما يوم الخميس ! ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء ، فقال : اشتد برسول الله وجعه يوم الخميس فقال : ائتوني بكتابٍ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبي

---

(١) دلائل الصدق ج ٣ / ١١١ وعبد الله بن سبأ / ٨٠ والمراجعات رقم /٨٦

تنازع ، فقالوا : هجر رسول الله ، قال : دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني اليه [1] .

وفي صحيحيّ البخاري ومسلم ، عن ابن عباس قال : لمّا حُضر النبي ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال : هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده ، قال عمر : إن النبي غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، فحسبنا كتاب الله ، واختلف أهل البيت ، واختصموا ، فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله كتابا لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول : ما قال عمر فلما كثروا اللغط والإختلاف عند النبي (صلّى الله عليه وآله) قال : قوموا عني [2] .

وحكى ابن ابي الحديد عن الجوهري ـ بعد رواية الحديث ـ قال : فلما أكثروا اللغط ، واللغو ، والإختلاف ، غضب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال : قوموا عني ، لا ينبغي لنبي أن يختلف عنده هكذا ، فقاموا [3] .

تعجب الشيخ المظفر من منع كتب الكتاب

قال الشيخ محمد حسين المظفر ، صاحب كتاب دلائل الصدق : تعليقا على رواياتهم في هجر النبي (صلّى الله عليه وآله) وهذيانه : يا هل ترى إنا لو قلنا إن عمر يهجر في مقابل قوله للنبي (صلّى الله عليه وآله) يهجر ، أكانوا يرضون منا بدون القتل ؟ .

---

(١) دلائل الصدق ج ٣ / ١١١ وعبد الله بن سبأ /٨٠ والمراجعات رقم /٨٦

(٢) دلائل الصدق ج ٣ / ١١٥ وعبد الله بن سبأ /٨٠ / ٨١ والمراجعات رقم /٨٦

(٣) دلائل الصدق ج ٣ / ١١٦

وأعجب من ذلك أنهم مع نسبة الهجر عندهم إلى النبي (صلّى الله عليه وآله) ، يستدلون على استحقاق أبي بكر الخلافة ، بدعوى أن النبي (صلّى الله عليه وآله) أمره بالصلاة في الناس ، والحال أن أمره بها على زعمهم ، كان في حال شدة المرض ، بحيث يغمى عليه مرة ، ويفيق أُخرى ، ـ كما في بعض روايات البخاري ومسلم وغيرها ـ وكانت صلاته أيضا في الناس على زعمهم سبع عشرة صلاة أو نحوها ، وهي بعد أمر الكتاب . لأنه كان يوم الخميس ، والنبي توفي يوم الاثنين ، فكيف كان أمره بالكتاب هجراً ، وأمره بالصلاة دليلا على الخلافة ؟!.

بل أعجب من ذلك ، أنهم يرون أن أبا بكر ـ عندما حضرته الوفاة ـ أمر عثمان ان يكتب : أما بعد ، ثم أُغمي عليه ، فكتب عثمان : أما بعد ، فقد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، ولم آلكم خيراً .

ثم أفاق أبو بكر فقال : إقرأ ، فقرأ عليه ، فقال : أراك خفت أن يختلف الناس ؟! قال : نعم ، وأقرّها أبو بكر . (رواه الطبري وإبن الأثير) .

فأنت ترى أن أبا بكر قد كتب وأمضى ، وهو في حال يغشى عليه ، فلم يقولوا : يهجر ، وسيد النبيين (صلّى الله عليه وآله) أمر بالكتابة قبل وفاته بخمسة أيام ، ولم تكن حاله في الشدة التي كانت عليها حال أبي بكر ، وقالوا يهجر

فهل الفرق بينهما إلا مخالفة وصية النبي (صلّى الله عليه وآله) لهوى أولئك الصحابة ، وموافقة وصية أبي بكر لهواهم ؟!.

وهل تتصور أمراً لا تهواه ، يخالفون النبي فيه بالصراحة ، ويجدّون في منعه كل الجد بأقبح المنع ، غير الوصية لعلي (عليه السلام) بالإمامة ؟!.

أو هل تتوهم أن أمرا يُبكي ابن عباس فواته ، حتى يخضب الحصباء ، ويتذكّره بعد طول المدة ، ويجعل الحيلولة دونه كل الرزية ، غير خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟! [1] .

وقال (ره) في موضع آخر : فيا لهف نفسي ! يريد النبي (صلّى الله عليه وآله) نبي الرحمة حياتنا إلى الأبد ، ويطلب أن يكتب لنا كتابا حقيقيا بأن تتشوق اليه قلوب المؤمنين !! وتتشوق اليه عيون المهتدين ، فلا يُتّبع !! ويريد أبو بكر أن يوصي إلى عمر ويظهر الشك في أمره ، بما يدعوا المسلم العاقل إلى النفرة عنه ، فيتبع ! قال : إني أستخلفت عليكم عمر ، فإن عدل ، فذاك ظني به ، وإن بدّل فلكل امرئ ما اكتسب ، ولا أعلم الغيب ـ كما ذكره في الصواعق المحرقه ، ورواه جماعة كابن قتيبة ، وابن عبد ربه ، وغيرهما ـ

ويا بأبي وأمي ، الشفيق على أمته ، بأيّة كلمة ودّعوه بها ، وهو في فراش الموت بينهم يحتضر !! وأ يّة أساءة أساؤوه بها ، وهو يريد الإحسان إليهم . وقد ظهر من الاحاديث أنهم لم يأتوا بمجرد إساءة الادب مع النبي (صلّى الله عليه وآله) بل آذوه أيضاً ، وأغضبوه ، وغمّوه ، فكانوا مصداقاً لقوله تعالى : **﴿الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم﴾** [2].

وقوله سبحانه : **﴿ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴾** [3] .

---

(١) دلائل الصدق ج ٣ /ص١١٦-١١٧

(٢) التوبه / ٦١

(٣) دلائل الصدق ج/ ٣ /١١٨/ ١١٩ والآية من سورة الأحزاب / ٥٧

رأي السيد مرتضى العسكري في منع الكتاب

قال : بعد ذكر الروايات في معارضة النبي (صلّى الله عليه وآله) ومنعه من كتابة الكتاب ، الذي يحجب فيه ضلال أمته من بعده : في كل هذه الأحاديث لم يُذكر غير عمر ، في من تكلم ومنع الرسول من كتابة الوصية ، فهو الذي قال لأزواج النبي - لمّا قلن : ائتوا رسول الله حاجته - إنكن صواحبه ، وقال لمّا رأى كفّة المنافقين رجحت : إن النبي قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، فحسبنا كتاب الله ، وهو الذي قال : إن الرجل ليهجر ، وبهذا القول : جعل الرسول أمام أمر واقع . فانه لو كان قد كتب بعد هذا القول لجاز أن يهذي ويهجر عندما أملى الكتاب . وإلى هذا يشير ما جاء في حديث آخر لإبن عباس ، قال : فقال بعض من كان عنده إن نبي الله ليهجر ، قال : فقيل له : ألا نأتيك بما طلبت ؟ قال : أو بعد ماذا ؟ (٢) .

رأي السيد الخميني في منع الكتاب

إتماماً للفائدة نذكر هنا رأي السيد روح الله الموسوي الخميني مؤسس الجمهورية الاسلامية في إيران . قال (ره) : في حال احتضار رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ومرض الموت ، وقد اجتمع عنده جماعة كثيرة ، طلب منهم ان يكتب كتابا لن يضلوا بعده أبدا ، قال عمر بن الخطاب (هجر رسول الله) وقد نقل المؤرخون هذه الواقعة ، ورواة الحديث كالبخاري ومسلم وأحمد ، مع اختلاف في اللفظ .

---

(٢) عبد الله بن سبأ /١ ٨١-٨٢

وجملة الكلام : أن هذا الكلام اللغو ، صدر من ابن الخطاب الذي يهجر وهو كاف إلى يوم القيامة للمسلم الغيور .

والحق أنهم يعرفون قدره جيدا ، وهو الذي تحمل الاذى والشدائد من أجل هدايتهم وارشادهم ، وبذل جهده لذلك .

والإنسان المؤمن الشريف الغيور يدرك بأي حال مضت هذه الروح المقدسة ، والنور الطاهر ، بعد سماع ذلك الكلام من ابن الخطاب .

إن هذا الهذيان الذي ظهر من بقايا الكفر والزندقة ، مخالف للآيات الكريمة : ففي سورة النجم ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علّمه شديد القوى** ﴾ [1] .

وآية : ﴿ **أطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول ...** ﴾ [2] .

وآية : ﴿ **ما أتاكم الرسول فخذوه ...** ﴾ [3] .

وآية ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ [4] .

---

(١) النجم / ٣

(٢) النساء / ٢

(٣) الحشر / ٧

(٤) التكوير / ٢٠ راجع كتاب كشف الأسرار /ص١٢١/١٢٢

في ما جرى عند وفاة رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) وقبل دفنه

توفي رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) ضحى يوم الاثنين ، وأبو بكر غائب في منزله بالسنح [١] وعمر حاضر ، قالت عائشة : فاستأذن عمر ومغيرة بن شعبة ودخلا عليه ، فكشفا الثوب عن وجهه ، فقال عمر : واغشياه ! ما أشد غشي رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) ثم قاما ، فلما انتهيا الى الباب ، قال المغيرة يا عمر ! مات وا لله رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) ، فقال عمر : كذبت ما مات رسول ا لله ، ولكنك رجل تحوسك فتنة ، ولن يموت رسول ا لله حتى يفني المنافقين [٢] .

أخذ عمر يهدد بالقتل من قال إن رسول ا لله قد مات ، ويقول :إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول ا لله توفي ، وأن رسول ا لله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه ، كما ذهب موسى بن عمران !.

وا لله ليرجعنّ رسول ا لله ، فليقطعن أيدي رجال ، وأرجل من يزعمون أن رسول ا لله مات [٣] وقال : من قال أنه مات علوت رأسه بسيفي هذا ، وانما ارتفع الى السماء [٤] .

---

(١) السنح مكان شرقي المدينة تبعد ميل منها

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢/ ق ٢/ ٥٤ ومسند أحمد ج ٦/ ٢١٩ وأنساب الاشراف ج ٥٦٣/١ وكنز العمال ج ٥٠/٤ وتاريخ الذهبي ج ٣١٧/١ وغيرها من التواريخ

(٣) الطبري ج ٣/ ١٩٨ واليعفوري ج ٩٥/٢ والبداية والنهاية ج٥/ ٢٤٤ وتاريخ الخميس ج٢/ ١٨٥ وغيرها

(٤) تارخ ابي الفداء ج١٦٤/١ وزيني دحلان ج٣٩٠/٣

فقرأعليه عمر بن قيس بن زائدة بن عـاصم في المسـجد ﴿ **وما محمـدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتـل انقلبتـم علـى أعقـابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر ا لله شيئا وسيجزي ا لله الشاكرين** ﴾[1]

وقال العباس بن عبد المطلب : إن رسول ا لله قد مات وإني قـد رأيـت في وجهه ما لم أزل أعرفه في وجوه بني عبد المطلب عند الموت [2] .

لم ينته عمر حتى خرج العباس بن عبد المطلب على الناس فقال : هل عند أحدكم عهد من رسول ا لله (صلّى الله عليه وآله) في وفاته فليحدثنا ؟ قـالوا : لا . قال : هل عندك يا عمر من علم ؟ قال لا .

فقال العباس : اشهدوا أيها الناس إن أحدا لا يشهد على رسول ا لله بعهد عهد اليه في وفاته [3] .

وا لله الذي لا إله إل هو لقد ذاق رسول ا لله الموت [4] .

ولم يزل عمر يرعد ويهدد ويتكلم حتى أزبد شدقاه [5] .

فذهب سالم بن عبيد إلى أبي بكر وكان في منزله بالسنح ، فأعلمه بمـوت رسول ا لله [6] .

---

(١) ابن سعد في طبقاته وكنز العمال ج٤/٥٣ وابن كثير ج٥/ ٢٤٣ وابن ماجه.والآية في سورة آل عمران /١٤٤

(٢) رواه في التمهيد للباقلاني ص/١٩٢

(٣) ابن سعيد في طبقاته ج٢ق ٢/ ٥٧ وابن كثير في تاريخه ج٥/٢٤٣ والسيره الحلبية ج ٣/ ٣٩٠-٣٩١ وكنز العمال ج٤/ ٥٣

(٤) التتمه في تاريخ أبي الفداء ج١/١٥٢

(٥) أنساب الاشراف ج١/ ٥٦٧ وابن سعد ج٢/ ق٢/ ٥٣ وكنز العمال وتاريخ الخميس ج٢/ ١٨٥ والسيرة الحلبيه ج ٣/ ٣٩٢

(٦) تاريخ بن كثير ج ٥/ ٢٤٤ وزيني دحلان ج ٣/ ٣٩٠ بهامش الحلبية

فاقبل أبو بكر ، فوجد عمر بن الخطاب قائما يوعد الناس ويقول : إن رسول الله حي لم يمت ، وأنه خارج إلى من أرجف به ، وقاطع أيديهم ، وضارب أعناقهم ، وصالبهم [١] .

جلس عمر عندما رأى أبا بكر مقبلاً [٢] .

فحمد الله أبو بكر ، وأثنى عليه ثم قال : من كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ثم قرأ : ﴿ **وما محمدٌ إلا رسولٌ** الخ .. ﴾ [٣] .

فقال عمر : هذا في كتاب الله ؟ قال : نعم [٤] .

إن أبا حفص لم يغير رأيه بكلام المغيرة ، ولا بتلاوة عمرو بن قيس الآية المصرحة بأن النبي يموت ، ولا باحتجاج العباس عم النبي ، كلا ! إن كل ذلك لم يؤثر في نفس عمر ، ولم يكن أبو حفص بمغير رأيه بما احتجوا به ، ومن احتج ، حتى اذا رأى أبا بكر ، وسمع قوله اطمأن وهدأ وقد ذكر موقفه هذا بعد حين ، وقال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت ، حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي ، وعرفت أن رسول الله قد مات [٥] .

---

(١) الطبري وابن كثير وابن ابي الحديد ج ١/ ٦٠

(٢) كنز العمال ج ٤/ ٥٣

(٣) الطبقات لابن سعد والطبري ، وابن كثير ، والسيرة الحلبية وابن ماجة

(٤) التتمة من طبقات ابن سعد

(٥) رواه ابن هشام والطبري وابن كثير ، وابن الأثير وابن ابي الحديد ، وصفوه الصفوة ، وكنز العمال ونهاية الارب

ليت شعري : هل كان الباعث لعمر في إشهاره السيف ، وتهديده من قال : إن رسول الله قد مات حبه لرسول الله ، وحزنه على فقده ؟ وهل صح ما قاله البعض بأن عمر قد خبل في ذلك اليوم ؟ (١) .

أم أصاب ابن ابي الحديد حين يقول : إن عمر لما علم أن رسول الله قد مات ، خاف من وقوع فتنة في الإمامة ، وتغلب أقوام عليها ، إمّا من الانصار ، أو من غيرهم ، فاقتضت المصلحة عنده تسكين الناس فأظهر ما أظهر ، وأوقع تلك الشبهة في قلوبهم ، حراسة للدين والدولة ، إلى أن جاء أبو بكر (٢) .

إنا نرى أن ابن أبي الحديد كان مصيبا في قوله : بأن عمر خاف من تغلب أقوام عليها -أي على الإمارة -إمّا من الانصار ، أو من غيرهم ، فاظهر ما أظهر وكان علي من جملة (غير الأنصار) الذين كان عمر يخاف من استيلائهم على الامامة (٣) .

قال الشهيد السيد محمد باقر الصدر :

بينما كان المسلمون في هذه الغمرة الطاغية ، والصمت الرهيب ، لاينطق منهم أحد بكلمه ، وقد اكتفوا في تأبين الراحل العظيم بالدموع والحسرات ، والخشوع والذكريات ، يفاجؤون بصوت يجلجل في الفضاء ، ويقطع خيط الصمت الذي لف المجتمعين وهو يعلن أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لم يمت

ش(١) السيرة الحلبية وبهامشها زيني دحلان

(٢) ابن ابي الحديد ج ١/ ١٢٩

(٣) راجع كتاب عبد الله بن سبأ الى العلامة السيد مرتضى العسكري ص/٨٢/ ٨٧

ولايموت ! حتى يظهر دينه على الدين كله ، وليرجعنّ فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته ، لا أسمع رجلا يقول : مات رسول الله إلا ضربته بسيفي .

والتفّت الأنظار إلى مصدر الصوت ليعرفوا القائل فوجدوا عمر بن الخطاب ! فوقف خطيبا بين الناس ، وهو يجلجل برأيه في شدّة لا تقبل نزاعا وشاعت الحياة في الناس من جديد ، فتكلموا ، وتحدثوا ، في كلام عمر ، والتف بعضهم حوله ، وأكبر الظن أن قوله وقع من أكثر هم موقع الإستغراب والتكذيب .

وحاول جماعة منهم أن يجادلوه في رأيه ولكنه بقي شديدا في قوله ، ثابتا عليه ، والناس يتكاثرون حوله ، ويتكلمون في شأنه ، ويعجبون لحاله ، حتى جاء أبو بكر ، وكان حين توفي النبي في منزله بالسنح ، والتفت الى الناس وقال : من كان يعبد محمدا فإنه قد مات ، ومن كان يعبد الله فأنه حي لا يموت ، قال الله تعالى : ﴿ **إنك ميت وانهم ميتون** ﴾[1] .

وقال : ﴿ **أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم** ﴾ [2] .

ولمّا سمع عمر ذلك أذعن واعترف بموت رسول الله(صلّى الله عليه وآله) وقال : وكأني ما سمعتها - يعني الآية - .

ونحن لا نرى في هذه القصة ما يراه كثير من الباحثين ، من أن الخليفة كان بطل ذلك الظرف العجيب ! .

---

(١) الزمر ٣٠

(٢) آل عمران ١٤٤

والرجل الذي تهيأت له معدات الخلافة بحكم موقفه من رأي عمر [١] .

إلى ان قال (ره) :

الثاني : موقف عمر من مسألة وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) وادعاؤه أنه لم يمت ، ولا يستقيم في تفسيره أن نقول : أن عمر ارتبك في ساعة الفاجعة ، وفقد صوابه ، وادعى ما ادعى . لأن حياة عمر كلها تدل على أنه ليس من هذا الطراز ، وخصوصاً موقفه الذي وقفه في السقيفة ، بعد تلك القصة مباشرة ، فالذي تؤثر المصيبة عليه إلى حد تفقده صوابه لا يقف بعدها بساعة يحاجج ويجادل ، ويقاوم ويناضل .

ونحن نعلم أيضا : أن عمر لم يكن يرى ذلك الرأي الذي أعلنه في تلك الساعة الحرجة قبل ذلك بأيام أو بساعات حينما اشتد برسول الله (صلّى الله عليه وآله) المرض وأراد أن يكتب كتابا لا يضل الناس بعده ، فعارضه عمر وقال : إن كتاب الله يكفينا ، وإن النبي يهجر ، أو قد غلب عليه الوجع ، كما في صحاح السنة . فكان يؤمن بأن رسول الله يموت ، وأن مرضه قد يؤدي إلى موته وإلاّ لما اعترض عليه [٢] .

---

(١) فدك في التاريخ ٥٣/ ٥٤

(٢) فدك في التاريخ ٥٧/ ٥٨

السقيفة

ودفن رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) .

توفي رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) يوم الإثنين حين زاغت الشمس ، فشغل الناس عن دفنه ! (١) .وقيل :عند الضحى من يوم الإثنين (٢) .

والذي شغل الناس عن دفنه ، هو المؤامرة التي حيكت للإستيلاء على الخلافه والإمارة !.

والاخذ والرد الذي حصل في السقيفة بين الأنصار فيما بينهم ، وبين الانصار والمهاجرين ، بعد وصول أبي بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح ، وبعد الخطب التي أُلقيت ، والكلمات التي تبادلوها والمشاورات التي حصلت بينهم وكانت الغلبة لمن سارع وبايع أولاً وهو عمر بن الخطاب ، الذي قام ليقطع النزاع ، فبايع أبا بكر وتبعه أبو عبيدة بن الجراح .

والذي ساعد في البيعة لأبي بكر هو خلاف الأنصار القديم بين الاوس والخزرج ، فقامت فئة وبايعت ، وهكذا تمت البيعة الاولى في سقيفة بني ساعدة .

وجاء الذين بايع بعضهم بعضا في حالة من الفرح والسرور ، والتهليل والتكبير كما روي في العقد الفريد ، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد :

---

(١) عبد ا لله بن سبأ /ص١٠٠/

(٢) البحار ج/ ٢٨/ ١٧٨

بايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه ، فسمع العباس وعلي التكبير في المسجد ، ولم يفرغوا من غسل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) !.

فقال علي : ما هذا ؟!.

فقال العباس : ما رؤي مثل هذا قط ! ما قلت لك ؟! [١] .

بل تعدت الفرحة والغبطة والسرور في ذلك إلى أبعد من هذا . فبعد تعيين الخليفة الجديد جاؤا يزفّونه بالاهازيج والزغاريد كما يزفون العروس ، وهذا ما روي عن الرياض النضرة ، وتاريخ الخميس : فلما بويع أبو بكر أقبلت الجماعة التي تزفه زفافاً إلى مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فصعد المنبر ـ منبر رسول الله ـ فبايعه الناس حتى أمسى وشغلوا عن دفن رسول الله ، حتى كانت ليلة الثلاثاء [٢] .

هكذا كانت الفرحة ، والغبطة والسرور في بيعة أبي بكر !! ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) ما زال مسجّى ، بانتظار من يلي غسله وتكفينه وتجهيزه لمواراته حفرته .

وقد ذكر المؤرخون : عدد الذين باشروا دفن النبي (صلّى الله عليه وآله) فقالو : ولي وضع رسول الله في قبره هؤلاء الرهط الذين غسّلوه : العباس ، وعلي ، والفضل ، وصالح مولاه . وخلّى أصحابه بينه وبين أهله فتولوا إجنانه . ـ أي دفنه ـ .

ودخل القبر : علي ، والفضل وقثم ابنا العباس ، وشقران مولاه .

---

(١) عبد الله بن سبأ ٩٨

(٢) عبد الله بن سبأ ٩٩

ويقال : أسامة بن زيد ، وهم تولوا غسله وتكفينه وأمره كله [١] .

وهكذا دفن رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) و لم يحضـر أيٌّ مـن الصحابـة دفنـه أو تجهيزه

وروي في كنز العمال : أن أبا بكر ، وعمر ، لم يشهدا دفن النبي (صلّى ا لله عليه وآله) [٢] .

وقالت عائشة : ما علمنا بدفن الرسول حتى سمعنـا صـوت المسـاحي مـن جوف الليل ، ليلة الاربعاء [٣] .

وفي رواية اخرى عن تاريخ ابن سعد : و لم يله إلا أقاربـه ، ولقـد سمعـت بنو غنم صريف المساحي حين حضر ، وأنهم لفي بيوتهم [٤] .

وقال شيوخ الأنصار من بني غنم سمعنا صوت المساحي آخر الليل [٥] .

ومجمل القول ـ حسب هذه الروايات المرويـة مـن طـرق غـير شـيعة أهـل البيت (عليهم السلام) ـ أن النبي (صلّى ا لله عليه وآله) توفي ، وبعد أن تأكدوا مـن وفاتـه ذهبوا ، وأتمـوا المؤآمـرة الـتي دبروهـا ، وخططـوا لهـا ، وسـعوا لهـا سـعيها ، وأظهـروا فرحهـم وسـرورهم بوصولهـم الى مـا أرادوا ودبـروا ، وكـان هـذا الفرح والسرور علنياً وفي المسجد ، وعلى مرأى ومسمع من الجميع .

---

(١) عبد ا لله بن سبأ ١٠١

(٢) نفس المصدر

(٣) هناك ثمانية مصادر من تواريخ أهل السنه ذكرت هذه الرواية راجع كتاب عبد ا لله بن سبأ

(٤) عبد ا لله بن سبأ /ص١٠٢

(٥) نفس المصدر ، ونقل العلامة الأميني هذه الروابات من مصادرها في كتابه الغدير ج٧/ص٧٤/٨٠

بعد هذا كله ذهبوا إلى بيوتهم فرحين بالفوز والنجاح الذي حققوه ، ونسوا أو تناسوا أمر نبيهم ، الذي هو فخرهم ، وشرفهم ، وعزّهم ، وتركوه مسجّى لم يدفن إلى ثلاثة أيام ! وحتى دفن آخر الليل من يوم الاربعاء ، وياليت المسألة وقفت عند هذا الحد . بل أجبروا الناس على بيعتهم التي زعموا أنها شورى فهددوا ، وتوعدوا وضربوا كل من خالفهم .

وللعلامة الشيخ الأميني (ره) في غديره العذب ، كلام جميل في هذا المضمار ، يختصر لنا بيعة أبي بكر ، وما جرى فيها ، وما جرى بعدها من الويلات والمصائب التي مازلنا نعيش تبعاتها إلى يومنا الحاضر .

قال : ونحن لا نحوم حول موضوع الخلافة ، وإنها كيف تمت ؟ كيف صارت ؟ كيف قامت ؟ كيف دامت ؟

وإن الأراء فيها هل كانت حرة ؟ ووصايا المشّرع الأعظم هل كانت متبعة ؟ أو كانت للاهواء والشهوات يوم ذاك حكومة جبّارة ، هي تبطش وتقبض ، وهي ترفع وتخفض ، وهي ترتق وتفتق ، وهي تنقض وتبرم ، وهي تحل وتعقد ، لا يهمنا البحث عن هذه كلها ، بعدما سمعت أذن الدنيا حديث السقيفة ، بمجتمع الثويلة ، وقرّطت بنبأ تلك الصاخّة الكبرى . والتحارش العظيم بين المهاجرين والأنصار . إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة .

ما عساني أن أقول ؟ والتاريخ بين يدي الباحث يدرسه ، بأن كل رجل من سواد الناس يوم ذاك كان يرى الفوز والسلامة لنفسه في عدم التحزب بأحد من تلك الاحزاب المتكثرة ، وترك الإقتحام في تلك الثورات النائرة ،

وكانت الخواطر تهدده بالقتل مهما أبدى الشقاق ، أو التحيّز الى فئة دون فئة . بعدما رأت عيناه فِرند [١] الصارم المسلول ، وسمعت أُذناه نداء محزّ [٢] يتوعد بالقتل كل قائل بموت رسول الله .

ويقول : لا أسمع رجلا يقول : مات رسول الله إلا ضربته بسيفي .

أو يقول : من قال : إنه مات علوت رأسه بسيفي . وإنما ارتفع الى السماء [٣] يصيح :

مَنْ قال نفس المصطفى قُبضت   علوتُ هامته بالسيف أبريها [٤]

بعدما تشازرت الأمة ، وتلاكمت ، وتكالمت ، وقام الشيخان يعرض كل منهما البيعة لصاحبه . قبل أخذ الرأي من أي أحد . كأنّ الأمر دبّر بليل ، فيقول هذا لصاحبه أبسط يدك فلأبايعك . ويقول الآخر : بل أنت . وكل منهم يريد أن يفتح يد صاحبه ويبايعه ، ومعهما أبو عبيدة الجراح ، حفار القبور بالمدينة ، يدعوا الناس اليهما [٥] .

والوصي الأقدس ، والعترة الهادية ، وبنو هاشم ، ألهاهم النبي الأعظم ، وهو مسجى بين أيديهم ، وقد أغلق دونه الباب أهله وخلى أصحابه بينه وبين أهله فولوا إجنانه ومكث ثلاثة أيام لا يدفن أو من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء ، أو ليلته ، فدفنه أهله ولم يله الا أقاربه ، دفنوه في الليل ، أو في

---

(١) أي السيف .

(٢) أي الرجل الغليظ الكلام

(٣) القائل عمر بن الخطاب

(٤) من قصيدة الحافظ ابراهيم شاعر النيل

(٥) تاريخ الطبري ج٣/ ١٩٩

آخره ، ولم يعلم به القوم الا بعد - سماع - صريف المساحي ، وهم في بيوتهم من جوف الليل ، ولم يشهد الشيخان دفنه (صلّى الله عليه وآله) .

بعدما رأى الرجل عمر بن الخطاب محتجراً يهرول بين يدي أبي بكر ، وقد نبر حتى أزبد شدقاه [١] .

بعدما قرعت سمعه عقيرة صحابي بدري عظيم - الحباب بن المنذر - وقد انتضى سيفه على أبي بكر ويقول : وا لله لا يرد عليّ أحد ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف ، أنا جزيلها المحكك [٢] وعذيقها المرجّب ، أنا أبو شبل في عرينه ، الأسد يعزى إلى الأسد .

فيقال عليه : إذن يقتلك ا لله فيقول : بل إياك يقتل أو بل أراك تقتل ، فأُخذ ووطيء في بطنه ، ودس في فيه التراب [٣] .

بعدما شاهد ثالثاً : يخالف البيعة لأبي بكر وينادى : أما وا لله أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل ، وأخضب منكم سناني ورمحي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، واقاتلكم مع من معي من أهلي وعشيرتي [٤] .

بعدما رأى رابعاً : يتذمر على البيعة ، ويشب نار الحرب بقوله : إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم .

---

(١) طبقات ابن سعد وشرح ابن ابي الحديد ج ١٣٣/١

(٢) مثل يضرب لصاحب الراى الذي يعتمد عليه

(٣) مصادرها كثيرة جدا انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦/٢

(٤) الامامة والسياسة ، وتاريخ الطبري ، وتاريخ ابن الاثير ، وشرح ابن ابي الحديد ، والسيرة الحلبية

بعدما نظر إلى مثل سعد بن عبادة أمير االخزرج وقد وقـع في ورطـة الهـون ينزى عليه وينادى عليه بغضب : اقتلوا سعداً قتله ا لله إنه منـافق أو صـاحب فتنة . وقد قام الرجل على رأسه ، ويقول : لقد هممتُ أن أطأك حتى تنـدر عيونك [١] .

بعدما شاهد قيس بن سعد قد أخذ بلحية عمر قـائلاً : وا لله لـو خفضـتَ منه شعرة ما رجعتَ وفيكَ جارحة ، أو لو حصصتَ منه شـعرة مـا رجعـتَ وفي فيكَ واضحة [٢] .

بعدما عاين الزبير : وقد اخترط سيفه ويقول : لا أغمده حتى يبـايع علـيّ فيقول عمر : عليكم بالكلب ، فيؤخذ السيف من يده ويضـرب بـه الحجـر ويكسر [٣] .

بعدما أبصر مقداداً ! ذلك الرجل العظيم وهو يدافع في صـدره . أو انظـر إلى الحباب بن المنذر وهو يحطم أنفه ، وتضرب يده [٤] .

أقول : بعد هذا التصوير الرائع ملخّصا الروايات التاريخية الـتي تحكـي لنـا عما جرى عند وفاة النبي (صلّى ا لله عليه وآله) وكيف تركوه ثلاثة أيام بـلا دفـن ، وذهابهم إلى البيعة في السقيفة ، وخبطهم وتهديدهم كل من خالف البيعـة . وإجبارهـم الناس بالترهيب والقوة .

(١) مسندا أحمد ، العقد الغريد ، تاريخ الطبربي ، سيرة ابن هشام ، الرياض النضرة ، السيرة الحلبية

(٢) تاريخ الطبري ، السيرة الحلبية

(٣) الامامة والسياسة ، والطبري ، الرياض النضرة ، وشرح النهج للحديدي

(٤) الغدير ج ٧ / ٧٤ / ٧٥

فهل بعد هذا يمكن أن يقال : إن البيعة كانت شورى ؟ وخلافـة إجماعيـة من الأمة ؟ وليس فيها معارض ، أو مناوئ ؟ !.

موقف فاطمة الزهراء (عليها السلام) من الأحداث

عندما رأت فاطمة الزهراء (عليها السلام) موقف الأمـة مـن وفـاة أبيهـا ، ومـا جرى من المؤآمرة التي دبرت ونفذت بدقه متناهية ، وعـدم حضورهـم دفـن والدها ، نبي الأمة ، ورسول الرحمة (صلّى الله عليه وآله) ، مع أنه بقـي ثلاثـة أيـام بدون دفن ، ليتسنّى للذين تلهّوا بما صَبوا اليـه مـن أمـر الخلافـة ، العـودة الى رشدهم وحضور دفن نبيهم على الأقل ، ولكن التأخير لم يجدِ نفعاً بـل بقـوا على ما هم عليه من الغيّ والضلال . فما كان مـن فاطمـة (عليهـا السلام) إلا أن أرسلت إلى الخليفة الغاصب ، تطالبه بميراثها من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وما لها من الحقوق ، وهذه كانت الخطوه الأولى من الاسلوب الذي انتهجتـه (سلام الله عليها) في مطالبتها بحقوقها [1] .

وعندما رأت أنها منعت من حقها بواسطة الرسول ، قـامت هـي بنفسـها عليها السلام بالمطالبـة بحقهـا بالمـيراث ، ومـا كـان مـن الخليفـة إلى أن قطـع الطريق من أساسه ، وادعى انه سمع حديثاً من رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه) : ان الانبياء لا تورث إلا العلم والحكمة.

ولـنروِ مـا ورد في منعهـا مـن إرثهـا كمـا في صحيـح البخـاري في ثـلاث مواضع ولنكتف بذلك لأن البخاري هو حجة دامغة عند أتباعه :

---

(١) فدك في التاريخ ٨٧

روي في كتاب الخمس ، الحديث الثاني ، بسنده عن عروة بن الزبير ، أن عائشة أخبرته أن فاطمة (عليها السلام) ابنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، فغضبت فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فهجرت أبا بكر ، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت ... وكانت فاطمة (عليها السلام) تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من خيبر وفدك وصدقة بالمدينة ، فأبى أبو بكر عليها ذالك [1] .

وفي حديث آخر أيضاً من صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق في باب غزوة خيبر ، روي بسنده عن عروة عن عائشة ، أن فاطمة (عليها السلام) بنت النبي (صلّى الله عليه وآله) ، أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها ... إلى أن قال : فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة (عليها السلام) منه شيئا فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته ، فلم تكلمه حتى توفيت [2] .

وفي حديث ثالث : في كتاب الفرائض باب قول النبي (صلّى الله عليه وآله) : لا نورث ، روى بسنده عن عائشة أن فاطمة (عليها السلام) والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك ، وسهمهما من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول

---

(١) كتاب السبعة من السلف /ص٢٠ ودلائل الصدق ج ٣/ ٤٨

(٢) نفس المصدر

ا لله (صلى الله عليه وآله) يقول : لا نورث ، مـا تركنـاه صدقـة ، (إلى ان قـال) : فهجرته فاطمة (عليها السلام) فلم تكلمه حتى ماتت [١] .

وقد روى هذه الأخبار كثير من أصحاب الصحاح ، والكتب المعتبرة عند أهل السنة أمثال صحيح مسلم والترمذي ومسند أحمد وسنن البهيقي[٢] .

وبعد ان طالبت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بإرثها وبحقها من تركة رسـول ا لله (صلّى الله عليه وآله) ووجـدت التصميـم والإصـرار علـى حرمانهـا مـن حقوقهـا ، عادت تطالب بالنحلة التي نحلها إياها أبوها النبي (صلّـى الله عليـه وآلـه) في حياتـه ، وهي.فدك .

روى الحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل عن أبي سعيد الخدري أنه قـال لمّا نزلت على رسول ا لله (صلّى الله عليه وآله) ﴿ **فآتِ ذا القربى حقه** ﴾ [٣]. دعا فاطمة ، فأعطاها فدكاً والعوالي.، وقال (صلى الله عليه وآله) هذا قسـم قسـمه ا لله لك ولعقبك .

وقال ياقوت الحموي في معجمه : فدك : هي قرية تبعد عن المدينة مسافة يومين أو ثلاثة ، أرضها زراعية خصبة ، فيها عين فوارة ، ونخيل كثير [٤] .

وروى الشيخ المفيد في كتاب الاختصـاص [٥] باسناده عـن أبـي عبـد ا لله الصادق (عليه السلام) أنه قال : لما قبض رسول ا لله (صلّى الله عليـه وآلـه) وجلـس أبـو

---

(١) نفس المصدر

(٢) راجع كتاب السبعة من السلف للسيد المقدس الفيروز آبادي

(٣) الروم ٣٨

(٤)فاطمة الزهراء في القرآن /ص١٣٥

(٥) ص/١٧٨

بكر بمجلسه ، بعث إلى وكيل فاطمة (صلوات الله عليها) فأخرجه من فدك فأتته فاطمة (عليها السلام) فقالت : يا أبا بكر ادعيت أنك خليفة أبي ، وجلست مجلسه ، وانك بعثت إلى وكيلي فأخرجته من فدك ، وقد تعلم أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) تصدق بها عليّ ، وأن لي بذلك شهوداً ، فقال لها : إن النبي لا يورث .. فرجعت الى علي (عليه السلام) فأخبرته ، فقال : ارجعي إليه ، وقولي له : زعمت ان النبي (صلّى الله عليه وآله) لا يورث ، وورث سليمان داود ، وورث يحي زكريا ، وكيف لا أرث أنا أبي ؟ فقال عمر : أنت معلّمة ، قالت : وإن كنت معلمة ، فإنما علمني ابن عمي وبعلي ، فقال أبو بكر : فإن عائشة تشهد وعمر أنهما سمعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو يقول أن النبي لا يورث فقالت : هذه أول شهادة زور شهد بها في الاسلام ثم قالت : فإن فدك إنما هي صدّق بها عليّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولي بذالك بينة ، فقال لها : هلمي ببينتك قال : فجاءت بأم أيمن ، وعلي (عليه السلام) فقال أبو بكر : يا أُم أيمن انك سمعت من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول لفاطمة ؟؟ فقالا : سمعنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول : إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة .

ثم قالت أُم أيمن : فمن كانت سيدة نساء أهل الجنة تدعي ما ليس لها ؟ وأنا امرأة من أهل الجنة ، ما كنت لأشهد إلا بما سمعت من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فقال عمر : دعينا يا أُم أيمن من هذه القصص ، بأي شيء تشهدان ؟ فقالت : كنت جالسة ببيت فاطمة (عليها السلام) ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) جالس حتى نزل عليه جبرائيل فقال : يا محمد قم فإن الله تبارك

وتعالى أمرني أن أخط لك فدكاً بجناحي ، فقام رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) مع جبرائيل (عليه السلام) ، فما لبث أن رجع ، فقالت فاطمة (عليها السلام) : يا أبه أين ذهبت ؟ فقال : خط جبرائيل (عليه السلام) لي فدكاً بجناحيه ، وحدّ لي حدودها ، فقالت له : يا أبه إني أخاف العيلة والحاجة من بعدك ، فصدّق بها عليّ ، فقال : هي صدقة عليك ، فقبضتها ، قالت نعم ، فقال رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) : يا أُم أيمن اشهدي ، ويا علي اشهد .

فقال عمر : أنت امرأة ، ولا نجيز شهادة امرأة وحدها ، وأما علي فيجر إلى نفسه ، قال : فقامت مغضبة وقالت : اللهم إنهما ظلما ابنة محمد نبيك حقها ، فاشدد وطأتك عليهما [1] .

وروي في الإحتجاج [2] : بالإسناد إلى أبي عبد ا لله الصادق (عليه السلام) أنه قال : لـمّا بويع أبو بكر ، واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فدك من أخرج وكيل فاطمة (عليها السلام) بنت رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) منها . فجاءت فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى أبي بكر ثم قالت : لِـمَ منعتني ميراثي من أبي رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) وأخرجت وكيلي من فدك ، وقد جعلها لي رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) بأمر من ا لله تعالى ؟

فقال : هاتي على ذلك بشهود ، فجاءت بأُم أيمن ، فقالت له أُم أيمن : لا أشهد يا أبا بكر حتى أحتج عليك بما قال رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) ، أنشدك با لله ألست تعلم أن رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) قال : أُم أيمن إمرأة

---

(١) اعلموا اني فاطمة ج ٣ / ٦٤٧

(٢) ج ١ / ٩٠

من أهل الجنة ؟ فقال : بلى . قالت : فأشهد أن الله عز وجل أوحى إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ﴿ وآتِ ذا القربى حقه .. ﴾ [١] .

فجاء علي (عليه السلام) فشهد بمثل ذلك فكتب لها كتاباً ودفعه إليها ، فدخل عمر فقال : ما هذا الكتاب ؟ فقال : إن فاطمة (عليها السلام) ادعت في فدك ، وشهدت لها أُم أيمن وعلي ، فكتبت لها ، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه ، ومزّقه ، فخرجت فاطمة (عليها السلام) تبكي .

فلما كان بعد ذلك جاء علي (عليه السلام) إلى أبي بكر وهو في المسجد ، وحوله المهاجرون والأنصار فقال : يا أبا بكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقد ملكته في حياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ؟ فقال أبو بكر : هذا فيئ للمسلمين ، فإن أقامت شهوداً أن رسول الله جعله لها ، وإلا فلا حق لها فيه . فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين ؟ قال : لا . قال (عليه السلام) فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه ، ثم ادعيت أنا فيه ، من تسأل البينة ؟ قال : إياك أسأل البينة . قال (عليه السلام) : فما بال فاطمة (عليها السلام) سألتها البينة على ما في يدها ، وقد ملكته في حياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وبعده ، و لم تسأل المسلمين بينة على ما ادعوه شهوداً ، كما سألتني على ما ادعيت عليهم ؟ فسكت أبو بكر ، فقال عمر : يا علي ! دعنا من كلامك ، فإنا لا نقوى على حجتك ، فان أتيت بشهود عدول ، وإلا فهو فيئ للمسلمين ، لا حق لك ولا لفاطمة فيه . فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : يا أبا بكر تقرأ كتاب

---

(١) الإسراء ٢٦

ا لله ؟ قال نعم قال (عليه السلام) : أخبرني عن قول ا لله عز وجل : ﴿ **إنما يريد ا لله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ [١] .

فيمن نزلت ، فينا أم في غيرنا ؟ قال : بل فيكم ، قال (عليه السلام) : فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) بفاحشة ، ما كنت صانعاً بها ؟ قال كنت أقيم عليها الحد ، كما أقيمه على نساء المسلمين .

قال (عليه السلام) : إذن كنت عند ا لله من الكافرين ، قال : ولِمَ ؟

قال (عليه السلام) : لانك رددت شهادة ا لله لها بالطهارة ، وقبلت شهادة الناس عليها ، كما رددت حكم ا لله ، وحكم رسوله ، أن جعل لها فدكاً قد قبضته في حياته ، ثم قبلت شهادة أعرابي بائل على عقبيه ، عليها ، وأخذت منها فدكاً ، وزعمت أنه فيئ للمسلمين ، وقد قال رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) : البينة على المدعي ، واليمين على المدعى عليه . فرددت قول رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) : البينة على من ادعى ، واليمين على من ادعي عليه . قال : فدمدم الناس وانكروا ، ونظر بعضهم الى بعض ، وقالوا : صدق وا لله علي بن ابي طالب (عليه السلام) ورجع إلى منزله [٢] .

قال في كتاب إعلموا أني فاطمة : ما جاء عن الياقوت الحموي في معجم البلدان : أن فدكاً ، هي قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة

---

(١) الاحزاب ٣٣

(٢) اعلموا اني فاطمة ج ٣ / ٦٥١

...فهي مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، فكانت خالصة لرسول ا لله (صلّى الله عليه وآله) قيل لـمّا نزل قوله تعالى : ﴿ وآتِ ذا القربى حقه..﴾ [1] .

استوضح رسول ا لله (صلّى الله عليه وآله) من جبرائيل مراد الآية ؟.

فقال له : إعط فاطمة فدك لتكون بلغة لها ولأولادها ، وذلك عوض ما بذلته أمها خديجة من أموال ، وجهود في سبيل الأسلام . وبقيت فدك عند فاطمة ، حتى توفي أبوها ، فانتزعها أبو بكر منها ، مبررا عمله هذا بحديث انفرد هو بروايته عن النبي حيث لم يسمعه أحد من أهل البيت ، ولا من الأصحاب ، وإنما الحديث فقط رواه أبو بكر وليس غيره ، وهو : (نحن معاشر الانبياء لا نورث) . ولكن ما حزّ أبا بكر لو أنه ترك فاطمة وشأنها تتصرف في فدك ؟ [2] .

وقد أوضح العلامة السيد عبد إلحسين شرف الدين موضوع فدك بقوله (ره) : وذلك أن ا لله عز سلطانه ، لما فتح لعبده وخاتم رسله حصون خيبر قذف ا لله الرعب في قلوب أهل فدك ، فنزلوا على حكم رسول ا لله (صلّى الله عليه وآله) صاغرين ، فصالحوا على نصف أرضهم ، فقبل ذلك منهم ، فكان نصف فدك ملكاً خالصا لرسول ا لله (صلّى الله عليه وآله) إذ لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب ، وهذا مما أجمعت الأمة عليه بلا كلام لأحد منها في شيء منه ، ثم لـمّا أنزل ا لله عز وجل عليه : ﴿ وآتِ ذا القربى حقه ﴾ أنحل فاطمة فدكاً ، فكانت في يدها حتى انتُزعت منها لبيت المال . هذا ما

---

(١) الإسراء ٢٦

(٢) اعلموا اني ف ج ٣ / ٦٧٠

أدعته الزهراء بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأوقفت في سبيله موقف المحاكمة بإجماع الأمة .

وقد علم المسلمون كافة ان الله عز وجل اختارها من نساء الأمة . كما اختار ولديها من الابناء ، واختار بعلها من الانفس ، فهم الخيرة مع رسول الله للمباهلة يوم أوحى الله سبحانه اليه : ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله على الكاذبين** ﴾ (١) .

وقد فهم الحقيقة في منع أبي بكر لفاطمة (عليها السلام) من حقها في فدك أكثر المؤرخين ، ولكنهم ، لسبب أو لآخر ، لم يستطيعوا المجاهرة أو التصريح .

ولقد روي ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة (٢) الحوار الذي دار بينه وبين علي بن الفارقي – وهو أحد شيوخه ، وكان مدرسا في مدرسة بغداد الغربية – إذ سأل ابن أبي الحديد شيخه أحمد بن الفارقي قائلاً : أكانت فاطمة الزهراء صادقة في دعواها النحلة ؟ قال : نعم ، قال له ابن أبي الحديد : فلِمَ لم يدفع أبو بكر فدكاً وهي عنده صادقة ؟ فتبسم ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه ، وحرمته ، وقلة دعابتة ، قال لو أعطاها اليوم فدكاً بمجرد دعواها لجاءت اليه غداً وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ، ولم يكن يمكنه حينئذ الإعتذار بشيء ، لأنه يكون قد سجل على

---

(١) اعلموا اني فاطمة ج٩ / ٢٥٧ والآية من سورة آل عمران /٦١

(٢) ج١٦/ ٢٨٤

نفسه بأنها صادقة فيما تدعي كائنا ما كان ، من غير حاجة الى بينة ولا شهود) [١] .

وقال شيخ الطائفة ، الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه) في تلخيصه للشافي : ومما طعنوا [٢] فيه أيضا : ما كان منه من منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً ، وقد كان النبي (صلّى الله عليه وآله) أعطاها إياها في حياته ، وتصرف فيها وتولاها . وكان ذلك عند نزول قوله تعالى : ﴿ **وآتِ ذا القربى حقه ..** ﴾ [٣] .

وأنه دعاها وأعطاها إياها : روى ذلك أبو سعيد الخدري ، وجماعة من الصحابة ونحن نعلم أنها ما ادعت ذلك الا لأنها كانت محقة ، وأن مانعها متعنت ، عادل عن الصواب ، لأنها لا تحتاج إلى شهادة ، ولا بينة ، لقيام الدلالة على عصمتها من الغلط ، ومن فعل القبيح ، ومن كانت هذه صفته لا يحتاج الى بينة فيما يدعيه .

والذي يدل على عصمتها (عليها السلام) قوله تعالى : ﴿ **إنما يريد ا لله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ وقد بيّنا أن هذه الآية تتناول جماعة منهم فاطمة ، وأنها تدل على عصمة من تناولته ، وعلى طهارته ويدل على عصمتها أيضا : قول النبي (صلّى الله عليه وآله) : فاطمة بضعة مني ، يؤذيني ما يؤذيها ، فمن آذى فاطمة فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى ا لله عز وجل

---

(١) اعلموا اني فاطمة ج ٩/ ٢٥٩

(٢) في ذكر المطاعن والمآخذ على أبي بكر .

(٣) الاسراء ٢٦

وهذا يدل على عصمتها لأنها لو كانت ممن تقارف الذنوب ، لم يكن من يؤذيها مؤذياً له (صلّى الله عليه وآله) على كل حال .

والذي يدل على صحة ما ذكرناه أيضا : أنه لا خلاف بين أهل النقل في أن أعرابياً نازع النبي في ناقة ، فقال (صلّى الله عليه وآله) : هذه لي ، وقد خرجت اليك من ثمنها ، فقال الأعرابي : ومن يشهد لك بذلك ؟ فقام خزيمة بن ثابت فقال : أنا أشهد بذلك فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله) : من أين علمت أحضرت ابتياعي لها ؟ فقال : لا ، ولكني علمت ذلك من حيث علمت أنك رسول الله ، فقال (صلى الله عليه وآله) : قد أجزت شهادتك وجعلتها شهادتين ! فسمي خزيمة (ذا الشهادتين) بذلك [1] .

وهذه قصة مشهورة ، وهي مشابهة لقضية فاطمة (عليها السلام) . يشهد بذلك من حيث علم أنه رسول الله ، ولا يقول إلا حقّا . وأمضى النبي (صلّى الله عليه وآله) ذلك على هذا الوجه و لم يدفعه عن الشهادة من حيث لم يحضر ابتياعه . فقد كان يجب على من علم أن فاطمة (عليها السلام) لا تقول إلا حقّا ، ألاّ يستظهر عليها بطلب شهادة أو بيّنة .

هذا ، وقد روي : أن أبا بكر لـمّا شهد لها أمير المؤمنين (عليه السلام) كتب بتسليم فدك إليها ، فاعترض عمر قضيته ، وخرّق ما كتبه .

وقد روي بالإسناد عن أمير المومنين علي (عليه السلام) أنه قال : جاءت فاطمة إلى أبي بكر فقالت : إن أبي أعطاني فدك ، وعلي يشهد لي ، وأم أيمن . قال : ماكنت لتقولين على أبيك إلا الحق ، قد أعطيتكيها . ودعا

---

(١) راجع الاصابة لابن حجر ج ١/ ٤٢٥ وأسد الغابة ج ٢/ ١١٤ وسنن ابن داوود وغيرها من كتب التاريخ

بصحيفة من أدم ، فكتب لها فيها فخرجت ، فلقيت عمر ، فقال : مـن أيـن جئت يا فاطمة ؟ قالت من عند أبي بكر ، أخبرته أن رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) أعطاني (فدك) وعلي يشـهد لي وأم أيمـن ، فأعطانيهـا ، وكتـب بهـا لي فأخذ عمر منها الكتاب ، ثم رجع إلى أبي بكر ، فقال أعطيت فاطمـة فـدك وكتبت لها ؟ قال : نعم قال عمـر : علـي يجـر الى نفسـه ، وأم أيمـن امـرأة . وبصق في الكتاب ، ومحاه [1] .

عطايا أبو بكر ، وما آل اليه فدك .

نقـل شيخنا المظفر في دلائـل الصـدق عـن صحيحـي البخـاري ومسـلم ومسند أحمد : أن أبا بكر أعطى جابربن عبد ا لله في أيام وفـاة النبي (صلّى ا لله عليه وآله) لمّـا جاء من مال البحرين ، ألفاً وخمسمائة درهم .

وفي كنز العمال : عن ابن سعد : سمعت منادي أبـي بكـر ينـادي بالمدينـة حين قدم عليه مال البحرين : من كانت له عدة عنـد رسـول ا لله(صلّى ا لله عليه وآله) فليأت .

فيأتيه رجال فيعطيهم ، فجاءه أبو بشر المازني فقال : إن رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) قال لي : إذا جاءنا شيء فائتنا : فأعطاه أبو بكر حفنتين أو ثلاثا ، فوجدناها ألفاً وأربعمائة .

(١) تلخيص الشافي ج ٣/ ١٢١/ ١٢٥ وراجع دلائل الصدق وتعرف على رأي العلامة الحلي والشيخ المظفر في ذلك ج ٣/ ٤٠

وروي في الإستيعاب بترجمة معاذ : أنه مكث باليمن أميراً وكان أول من اتجر بمال ا لله ، فمكث حتى أصاب ، وحتى قبض رسول ا لله (صلّى الله عليه وآله) فلما قدم ، قال عمرلأبي بكر : أرسل الى هذا الرجل ، فدع له ما يعيشه ، وخذ سائره منه – إلى أن قال – فقال أبو بكر : لا آخذ منك شيئا قد وهبته لك .

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد عن الجوهري في كتاب السفيقة أن النبي (صلّى الله عليه وآله) بعث أبا سفيان ساعياً ، فرجع من سعايته وقد مات رسول ا لله (صلّى الله عليه وآله) فقال : من ولي بعده ، قيل : أبو بكر ، قال: أبو فصيل ؟ قالوا نعم . – إلى أن قال – فكلم عمر أبا بكر فقال : إن أبا سفيان قد قدم وإنّا لا نأمن من شره ، فدفع له ما في يده فتركه فرضي .

وأنت تعلم أن مال السعاية التي يوجه بها أبو سفيان ، ويرشى به في أمر الخلافة ، ويرضيه ممن ازدراه ، واستصغره لهو من أكثر الأموال [1] .

وقال : إن ما كان ينفق على أزواج النبي (صلّى الله عليه وآله) أكثر بكثير من هذه المبالغ التي ذكرت .

وذكر أيضا في كتاب دلائل الصدق : ان منطقة فدك صارت من مختصات أبو بكر في خلافته

وروي عن السيوطي ، عن أبي الطفيل قال : جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها من النبي ، فقال أبو بكر : سمعت رسول ا لله يقول : إن ا لله

---

(١) دلائل الصدق ج٣/ ٥١/ ٥٢ وفدك في التاريخ / ٦٥

عز وجل إذا أطعم نبيا طعمة فهي للذي يقوم بعده . وهكذا كانت لعمر من بعد أبي بكر كما هو ظاهر مّا ذكر في كنز العمال : عن أحمد ، وأبي داوود وأبن جرير ، والبيهقي [1] .

فدك في عهد حكام بني امية

نقل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن كتاب السقيفة للجوهري قال :..فلمّا ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان ، أقطع مروان بن الحكم ثلثها ، وأقطع عمر بن عثمان بن عفان ثلثها ، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها ، وذلك بعد موت الحسن بن علي (عليهما السلام) فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم في أيام خلافته ، فوهبها لعبد العزيز ابنه ، فوهبها عبد العزيز لإبنه عمر بن عبد العزيز . فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، كانت أول ظلامة ردها ، دعا حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقيل : بل دعا علي بن الحسين (عليهما السلام) وكانت بيد أولاد فاطمة (عليها السلام) مدة ولاية عمر بن عبد العزيز [2] .

وروى في تلخيص الشافي : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى واليه على المدينة برد فدك إلى ذرية فاطمة (عليها السلام) فكتب اليه والي المدينة : إن فاطمة (عليها السلام) قد ولدت في آل عثمان ، وآل فلان ، فعلى مَنْ أردّ منهم ؟ فكتب إليه عمر :

---

(١) دلائل الصدق ج٣/ ٥٤

(٢) اعلموا اني فاطمة ج٣/ ٦٥٤

أمّا بعد ، فاني لوكتبت اليك آمرك أن تذبح شاة ، لسألتني : جماء أو قرناء ؟ أو كتبت اليك أن تذبح بقرة ، لسألتني : ما لونها ؟!.

فاذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة من علي (عليهما السلام) .

قال أبو المقداد : فنقمت بنو أمية ذلك على عمر بن عبد العزيز ، وعاتبوه فيه وقالوا : هيجت فعل الشيخين . وخرج اليه عمر بن قيس في جماعة من أهل الكوفة ، فلما عاتبوه على فعله . قال إنكم جهلتم وعلمت ، ونسيتم وذكرت ، أن أبا بكر محمد بن عمر بن حزم حدثني ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : فاطمة بضعة مني ، يسخطني ما أسخطها ، ويرضيني ما أرضاها . وأن فدكاً كانت صافية على عهد أبي بكر ، ثم صار أمرها الى مروان ، فوهبها لعبد العزيز أبي ، فورثتها أنا واخواني ، فسألتهم أن يبيعوني حصتهم منها ، فمنهم من باعني ، ومنهم من وهب لي ، حتى استجمعتها ، فرأيت ان أردها على ولد فاطمة .

قالوا : فإن أبيت إلا هذا فأمسك الأصل ، وأقسم الغلّة . ففعل [1] .

وقد روى ذلك في كشف الغمة ، وذكر أنه عندما اجتمع أهل الشام وعلماء السوء عند عمر بن عبد العزيز وعاتبوه على رد فدك إلى ذرية فاطمة (عليها السلام) قال لهم : قد صح عندي وعندكم أن فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ادعت فدك ، وكانت في يدها ، وما كانت لتكذب على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مع شهادة علي وأم أيمن وأم سلمة ، وفاطمة عندي صادقة فيما تدعي .

---

(١) تلخيص الشافي ج٣/٦٥٤

وان تقم البينة وهي سيدة نساء أهل الجنة ، فأنا اليوم أردهـا علـى ورثتهـا أتقرب بذلك إلى رسول الله ، وأرجـو أن تكـون فاطمـة والحسـن والحسـين يشفعون لي يوم القيامة ، ولو كنت مكان أبي بكر ، وادعـت فاطمـة كنـت أصدقها على دعواها ، فسلمها إلى محمد بن علي الباقر (عليهم السلام) وعبد الله بن الحسن ، فلم تزل في أيديهم إلى أن مات عمر بن عبد العزيز [1] .

وروى أن المأمون العباسي أرجعها في زمانه إلى ورثة فاطمة (عليها السلام)[2]

هذا ملخص لقصة فدك ، وما جرى عليها وكيف انتقلت مـن حـاكم إلى حاكم ومن أمير إلى أمير منهم الغاصب ، ومنهم المنصف .

ومن أراد التوسعة في ذلـك ، فليرجع الى كتـب السـير ، والمطـولات مـن التواريخ .

وعندما تبين لفاطمة الزهراء (عليها السلام) أن القوم أجمعوا على غصب حقها ولم يغصبوا غيرها بل كانوا من الأسـخياء مـع غيرهـا ، عمـدت إلى خطبتهـا التي خطبتها في المسجد ، وأمام جميـع النـاس لتكشـفهم على حقيقتهـم أمـام أنفسهم لأنهم أمام الله والتاريخ والناس مكشوفون .

---

(١) كشف الغمة ج ٢/ ١١٦

(٢) تلخيص الشافي ج ٣ / ١٢٩

خطبة الزهراء (عليها السلام) في المسجد أمام الصحابة

روى في كتاب الاحتجاج للشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ره) عن عبد الله بن الحسن ، بإسناده عن آبائه (عليهم السلام) : أنه لـمّا أجمع أبو بكر وعمر [١] على منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً ، وبلغها ذلك لاثت خمارها [٢] على رأسها ، واشتملت بجلبابها [٣] وأقبلت في لـمّة [٤] من حفدتها ، ونساء قومها ، تطأ ذيولها [٥] .

ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، حتى دخلت على أبي بكروهو في حشد من المهاجرين والأنصاروغيرهم ، فنيطت دونها ملاءة [٦] . فجلست ، ثم أنّت أنّة ، أجهش القوم لها بالبكاء ، فارتجّ المجلس ، ثم أمهلت هُنيئة ، حتى إذا سكن نشيج القوم ، وهدأت فورتهم ، افتتحت الكلام بحمد الله ، والثناء عليه ، والصلاة على رسوله (صلى الله عليه وآله) ، فعاد القوم في بكائهم ، فلما أمسكوا ، عادت في كلامها ، فقالت (عليها السلام) :

---

(١) أي أحكم النية والعزيمة

(٢) لبست ثيابها والخمار هو غطاء الوجه

(٣) الرداء والإزار الذي يغطي كل الجسد

(٤) جماعة من النساء الهاشميات

(٥) أي أن ثيابها كانت طويلة حتى لا يرى منها شيء ، وذيولها أي أطراف الثوب

(٦) أي علقت بينها وبينهم ازار وغطاء ليحجبها عنهم

الأصـل

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم ، والثناء بما قدّم ، من عموم نعمٍ ابتداها ، وسبوغ آلاءٍ أسداها ، وتمام مننٍ أولاها ، جمّ عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها ، وتفاوت عن الإدراك أبدها وندبهم لإستزادتها بالشكر لإتصالها ، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها ، وثنى بالندب إلى أمثالها .

وأشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك لـه ، كلمة جعل الإخلاص تأويلها ، وضمّن القلوب موصولها ، وأنار في التفكير معقولها ، والممتنع من الأبصار رؤيته ، ومن الألسن صفته ، ومن الأوهام كيفيته ، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها وأنشأها بلا احتذاء ، أمثلة امتثلها ، كوّنها بقدرته ، وذرأها بمشيئته ، من غير حاجة منه الى تكوينها ، ولا فائدة له في تصويرها ، إلا تثبيتاً لحكمته وتنبيهاً على طاعته ، وإظهاراً لقدرته ، وتعبداً لبريته ، وإعزازاً لدعوته .

ثم جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته ، ذيادةً لعباده من نقمته ، وحياشةً لهم إلى جنته .

وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله ، اختاره قبل أن أرسله ، وسماه قبل أن اجتبله ، واصطفاه قبل أن ابتعثه ، إذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الأهاويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة ، علماً من ا لله تعالى بمآيل الامور وإحاطةً بحوادث الدهور ومعرفةً بمواقع المقدور .

ابتعثه ا لله إتماماً لامره ، وعزيمةً على إمضاء حكمه ، وإنفاذاً لمقادير رحمته ، فرأى الأمم فرقاً في أديانها ، عكّفاً على نيرانها ، عابدةً لأوثانها ، منكرةً لله مع عرفانها ، فانار ا لله بأبي محمد (صلّى ا لله عليه وآله) ظلمها ، وكشف عن القلوب بهمها ، وجلى عن الأبصار غممها ، وقام في الناس بالهداية ، وأنقذهم من الغواية ، وبصّرهم من العماية ، وهداهم إلى الدين القويم ، ودعاهم إلى الصراط المستقيم .

ثم قبضه ا لله إليه قبض رأفةٍ واختيار ، ورغبةٍ وإيثار ، فمحمدٌ (صلّى ا لله عليه وآله) من تعب هذه الدار في راحة ، قد حف بالملائكة الأبرار ، ورضوان الرب الغفّار ، ومجاورة الملك الجبّار ، صلى ا لله على أبي نبيّه ، وأمينه على الوحي وصفيّه ، وخيرته من الخلق ورضيّه ، والسلام عليه ورحمة ا لله وبركاته .

الشـرح

ولنبدأ بشرح بعض كلمات تلك الخطبة التي أظهرت مدى بلاغة وفصاحة الزهراء (عليها السلام) ، وعمقها في فهم القـرآن وأحكامـه ، وسـيرة وسـنة أبيهـا سيد الانام (صلّى الله عليه وآله) .

وهذا ما سيظهر للمتأمل بكلامها (سلام الله عليها) . وهذه الخطبة من الأهميـة بمكان بحيث : إن مشايخ آل أبـي طـالب يروونهـا عـن آبـائهم ، ويعلمونهـا أبنـاءهم ، وأن مشـايخ الشـيعة تأسّـوا بـأئمتهم الأطهـار ورووا هـذه الخطبـة المباركة على مرور الزمان . قالت عليها السلام :

[الحمد لله على ما أنعم]

شكر المنعم من الواجبات التي أوجبها العقل والديـن ، ونعـم الله سـبحانه أكثر من أن تحصى أو تعد كالحياة والصحة والهداية ، ونحوها ﴿ **وإن تعـدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار** ﴾ [1] .

[وله الشكر على ما ألهم]

---

(١) ابراهيم / ٣٤

هناك نعم لله تعالى ظاهرة ، وهناك نعم باطنة ، وهي التي ألهمنا إياها وأعطانا قابلية فهمها وتمييز خيرها وشرها ، كالعلم والمعرفة .

[والثناء بما قدّم]

وهناك نعم قدّمها الله تعالى في الدنيا ، وهناك نعم أخّرها للآخرة ، وهي الجنة والنعيم الدائم وهي الأهم .

[من عموم نعم ابتداها]

نعمُ الله تعالى منها ما يأتي عن طلب ، ومنها ما يأتي بدون طلب .

الله سبحانه يعطي الناس ابتداء سواء طلبوا ذلك أم لا ، وسواء كانوا يستحقون ذلك أم لا : فالماء والكلأ والهواء والرزق والدنيا كلها أعطاها الله جميع مخلوقاته . حتى الملحدون والكفار ، لهم الدنيا ، وحتى الوحوش والحشرات لهم الدنيا . لان الدنيا لا قيمة لها عند الله تعالى ، وقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : لو كانت الدنيا تعادل عند الله جناح بعوضه لما سقى كافرا منها شربة ماء [1] .

إلاّ أن الدنيا دار ممر ، وليست دار مقر ، وهي جسر للآخرة وعبّارة لها

[وسبوغ الآء أسداها]

---

(١) جامع السعادات ج٢ /٢٤ ولآلئ الاخبار ج١ / ٤٨

الآلاء السابغة : أي النعم الشاملة الكاملة التامة ، وأسداها : أي أعطاها ، كنعمة الاعضاء والجوارح ، والمشاعر والمدارك ، والعقلانيات التي تميّز الإنسان من غيره من المخلوقات .

[وتمام منن أولاها]

المنن جمع منّة : أي أن الله سبحانه أعطى خلقه عطاياه ، وأنعم عليهم نعمه ، منّة منه ، وتفضلاً وإحساناً ، وليس استحقاقاً وجزاءً . ونعمه سبحانه متوالية غير منقطعة .

[جمّ عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها ، وتفاوت عن الادراك أبدها]

أي لا يمكن للانسان مهما فعل أن يؤدي شكر خالقه . ﴿ **وإنْ تعدوا نعمة الله لا تحصوها..** ﴾ .

[وندبهم لاستزادتها ، بالشكر لاتصالها]

فالله سبحانه يقول : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ [1] .

---

(١) ابراهيم / ٧

فمهما حاول الأنسان أن يشكر ا لله تعـالى علـى نعمائـه الـتي لا تحصـى ، فا لله سبحانه يزيده من فضله وكرمه وجوده ، وفيوضاته ونفحاته المباركـة ، فيبقى بحاجة الى شكر على الشكر ، وهكذا ...

[واستحمد إلى الخلائق بأجزالها ، وثنى بالندب الى امثالها]

وهكذا يجزل ا لله لعبده عطاياه ، ويبارك له فيما أفـاض عليـه ، كلمـا زاد العبد حمداً لربه ، وأثنى على خالقه سبحانه وتعالى .

[وأشهد أن لا إله إلاّ ا لله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الإخلاص تأويلها]

نعم كلمة (لا اله الا ا لله) هي كلمة التوحيد ، كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان .

فليس المقصود منها لفظها فقـط ، بـل المقصـود منهـا العمـل بهـا ، حتـى يكون العمل خالصا لله تعالى ، فيكون الإخلاص بالعمل ، دليلا على صـدق العقيدة ، وصفاء النية له سبحانه .

فكلامها (سلام الله عليها) ، دليل على زيف وفساد إعتقاد الذين يقولـون هـذه الكلمة بأفواههم ولا يظهرونها في جوارحهم واعمالهم .

[وضمّن القلوب موصولها]

أي أن ا لله سبحانه خلق الأنسان ، وفطره على قابلية التوحيد والإخلاص والعبوديه له . ﴿ **فطرة ا لله التي فطر الناس عليها** ﴾ [١] .

وقد ورد عن رسول ا لله (صلّى ا لله عليه وآله) أنه قال : كـل مولـود يولـد علـى الفطرة ، حتى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصرانه [٢] .

يعني أن الطفل يولد على الإعتراف بوجـود ا لله تعـالى وتوحيـده ، ولكـن أهله يعلمونه دينهـم ، إن كـانوا يهـوداً ... وإن كـانوا نصـارى ... فيصبـح مثلهم .

[وأنار في التفكير معقولها]

أي أن كلمه (لا إله إلاّ ا لله) موصولة بالقلوب النظيفـة الطـاهرة الـتي لم تلوث بالكفر والإلحاد ، والظلم والإستبداد ، والطغيان على العبـاد والبـلاد . وهـذه الكلمـة تنير الأفكـار المتعقلـة ، وتضـيء القلـوب الصافيـة ، لأن ا لله سبحانه أعطى الإنسان قابلية التفكر في مخلوقاته ، والتعمق بالإعتقاد بتوحيده عز وجل .

[الممتنع من الأبصار رؤيته]

قـال ا لله سـبحانه : ﴿ **لا تدركـه الأبصـار وهـو يـدرك الأبصـار وهــو اللطيف الخبير** ﴾ [١]

---

(١) الروم /٣٠

(٢) البحار ج ٣/٢٨١ والطفل بين الوراثه والتربية ج١ / ٣٠١

[ومن الألسن صفته ، ومن الأوهام كيفيته]

فا لله جل جلاله ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [٢]

[ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها]

إن ا لله تبارك وتعالى ، خلق الكون بسمائه وأرضه ، وحيوانه ونباته وجماده ، ليس تقليداً لمخلوقاتٍ كانت مشابهة قبلها ، فاقتدى بها ـ كما يفعل المخترعون اليوم ـ بل خلقها ابتداءً ، وكوّنها تكويناً ، وجعلها دليلاً على عظمته وقدرته سبحانه.

[وأنشأها بلا احتذاء ، أمثلة امتثلها ، كونها بقدرته ، وذرأها بمشيئته]

فا لله سبحانه خلق الخلق بقدرته ، وابتدأ المخلوقات ابتداءً ، وأنشأ المخلوقات إنشاءً ، لم يكن لها سابقة فخلق مثلها ، بل شاءت قدرته هذا فكان كما شاء ، ولا سابقة لوجود الموجودات في الكيفية والكمية والشكل

[من غير حاجة منه إلى تكوينها]

قال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : أمّا بعد فان ا لله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم ، غنياً عن طاعتهم ، آمناً من معصيتهم ، لانه لا تضره معصية من عصاه ، ولا تنفعه طاعة من أطاعه [١] .

---

(١) الأنعام /١٠٣

(٢) الشورى / ١١

[ولا فائدة في تصويرها]

لأنه سبحانه غني عن العالمين ، ولا يتوخى من تكوين الإنسان ، بل وجميع المخلوقات ، أيّ فائدة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

[إلاّ تثبيتاً لحكمته ، وتنبيهاً على طاعته]

قال سبحانه : ﴿ **وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون** ﴾ [٢]

[وإظهاراً لقدرته ، وتعبداً لبريته ، وإعزازاً لدعوته]

أي أن الله سبحانه خلق الخلق لحكمة يعلمها هو سبحانه ، وطالبهم بطاعته وعبادته .

وأظهر سبحانه بالمخلوقات التي خلقها عظيم قدرته وتحداهم أن يخلقوا مثلها فقال سبحانه : ﴿ **يا أيها الناس ضُرب مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** ﴾ [١] .

فخلق سبحانه المخلوقات ليظهر قدرته ، ويعزز دعوته لعباده أن لا يعبدوا سواه ، وأنه هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو على كل شيء قدير

---

(١) نهج البلاغة خ / ١٩٣

(٢) الذاريات / ٥٦

(١) الحج /٧٣

[ثم جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته]

لأن الإنسان الإعتيادي بطبيعته يحب العمل لدافعين :

أولاً : لجلب الخير له ولمن يحب .

ثانياً : لدفع الضرر عنه ، وعمّن يحب .

وهكذا جعل ا لله سبحانه ، الثواب على طاعته ، والعقاب على معصيته ، وأمّا الإنسان غير الإعتيادي ، وأعني به المعصوم ، أمثال مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي يقول : ربي ماعبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك (٢) .

فعبادته هي عبادة الإستحقاق ، وهي عبادة الأحرار .

[ذيادةً لعباده من نقمته ، وحياشةً لهم إلى جنته]

الذود والذيادة :هو الدفع والطرد . والحياشة : هي الجمع والسوق .

هكذا جعل ا لله سبحانه قانون الثواب والعقاب رحمة منه لعباده .

فقانون العقوبات : لردع الناس عن المعاصي الموجبة لنقمة ا لله سبحانه ، ويكون مآلهم الى النار وغضب الجبار .

وقانون الثواب ، الذي يرغّب الناس بالنعيم ويسوقهم إلى رضوان رب العالمين ، ويسكنهم جنته سبحانه التي أعدّها لعباده المطيعين .

---

(٢) الأنوار النعمانية ج١ / ١٣٩

[وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله ، اختاره وانتجبه ، قبل أن أرسله]

نبينا محمد (صلّى الله عليه وآله) ، الذي شهدت له ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) بأنه عبدٌ لله تعالى ، ورسولٌ له ، هو الذي اختاره الله سبحانه وأرسله رحمة للعالمين ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة** ﴾ [1] .

﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ [2] .

[وسمّاه قبل أن اجتبله ، واصطفاه قبل أن ابتعثه]

محمد (صلّى الله عليه وآله) له الأهميه الكبرى ، والكرامة العظمى ، فقد سماه الله سبحانه لأنبيائه وأوليائه قبل أن يخلقه ، ويظهره للوجود ، واختاره واصطفاه ، وكرّمه قبل أن يبعثه ويجعله رسولاً نبياً .

[إذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الأهاويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة]

يعني أن الله أكرم محمداً (صلّى الله عليه وآله) واختاره واصطفاه قبل أن توجد الخلائق أجمعين .

بل كانت الخلائق حينها مخبأة مستورة في عالم الغيب والعدم .

---

(١) القصص /٦٨

(٢) الانعام /١٢٤

[علماً من الله تعالى بمآيل الأمُور ، وأحاطةً بحوادث الدهور ، ومعرفةً بمواقع المقدور]

فالله سبحانه عالم بما تصير إليه الأمُور ، وعلمه علم إحاطة بجميع الحوادث التي تأتي في المستقبل ، فإنما اختار محمداً (صلّى الله عليه وآله) عن علم ومعرفة لهذا الإختيار وكان (صلّى الله عليه وآله) أهلاً ومحلاً لهذا الإختيار .

وقد صرحت الأخبار الصحيحة ، والروايات المعتبرة ، من أنه (صلّى الله عليه وآله) مع أهل بيته الأطهار (عليهم السلام) كانوا أنواراً قبل أن يخلق الله المخلوقات بآلاف السنين [1]

[ابتعثه الله إتماماً لأمره ، وعزيمةً على إمضاء حكمه ، وإنفاذاً لمقادير رحمته]

بعث الله حبيبه محمداً رحمةً للعالمين ، وأتم به عدة أنبيائه والمرسلين ، وأكمل به حكمته التي خلق من أجلها السموات والأرضين ، وجعل ذلك سبحانه فرضاً محكماً ، وحتماً لازماً ، لا يتغير ولا يتبدل إلاّ بأمره ومشيئته سبحانه .

[فرأى الأمم فرقاً في أديانها ، عكّفاً على نيرانها ، عابدةً لأوثانها ، منكرةً لله مع عرفانها]

---

(١) راجع البحار أول الجزء الخامس عشر من الطبعة الجديدة

رأى رسول ا لله (صلّى الله عليه وآله) النـاس علـى أديـانٍ مختلفـةٍ ، مـن يهـود ونصارى وصابئة ، وعلى طبقات متفاوتة ، من غنى وفقر ، وصحـة ومـرض وغيرها ، وهي مصرّة على ضلالها من عبادة النيران والأوثان ، وهـم يعرفـون أن هناك إلهاً وخالقاً وذلك عن طريق الفطرة والوجدان .

كما قال سبحانه ﴿ يعرفون نعمـة ا لله ثـم ينكرونهـا ﴾ [1] فـإنهم كـانوا يعرفون بفطرتهم أن لكل مصنوع صانع ، ولكل مخلوق خالق .

[فأنار ا لله بمحمد (صلّى الله عليه وآله) ظلمها ، وكشف عن القلوب بُهمها وجلى عن الأبصار غممها]

أي أنار ا لله سبحانه بمحمدٍ (صلّى الله عليه وآله) تلـك الظلمـات الـتي كـانت سائدة ، من جهلٍ وكفرٍ وظلمٍ وعاداتٍ فاسدة ، وكشف أيضاً به (صلّى الله عليه وآله) ما أُخفي على تلك الأمم بسبب جهلها ، والظلم والظلامات التي كـانت تعتبر في ذلك الزمان من المكرمات [1] .

[وقام في الناس بالهداية ، وأنقذهم من الغواية ، وبصّرهم من العماية]

هذه هي وظيفة الأنبياء (عليهم السلام) ، وهي الدعوة إلى ا لله تعالى .

---

(١) النحل /٨٣

(١) مثل وأد البنات ودفنهنّ أحياء

وقد قام بها نبينا محمد (صلّى الله عليه وآله) خير قيام ، فأنار لهم الطريق ودلّهم على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، فأنقذهم مما كانوا فيه من الغواية والضلالة وبصّرهم بالأدلة والبراهين ، وجعل منهم أصحاب علم وفكر ويقين .

[وهداهم إلى الدين القويم ، ودعاهم إلى الصراط المستقيم]

نعم قام (صلّى الله عليه وآله) بوظيفته خيرَ قيام ، وهدى الناس إلى الدين القويم ودلّهم على الصراط المستقيم ، الذي ليس فيه اعوجاج أو التواء .

وقد ذكره سبحانه بكتابه المجيد بقوله : **﴿ يا أيها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾** [٢] .

وهكذا كان (صلّى الله عليه وآله) شاهداً على أُمته في حياته وبعد مماته ، ومبشراً لمحسنهم بالنعيم في جنة الخلد ، ومنذراً لمسيئهم بالعذاب الأليم ، في نار الجحيم . وكان داعياً إلى الله تعالى بإذنه مخلصاً له في دعوته ، وسراجاً مضيئا دائماً ، يستنيرون بفضل تعاليمه وسنته المباركة ، وسيرته العطرة .

[ثم قبضه الله إليه قبض رأفةٍ واختيار ، ورغبةٍ وإيثار]

إن الله سبحانه ينقل الإنسان من دار الدنيا إلى الآخرة ، لدافعين : إمّا رحمة له ، وإمّا نقمة منه .

---

(٢) الاحزاب / ٤٥، ٤٦

فنبينا محمد (صلّى الله عليه وآله) نقله الله تعالى من دار الدنيا رحمة به ، وتفضلا منه تعالى ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ [1] وباختياره ورضاه (صلّى الله عليه وآله) .

[فمحمد (صلّى الله عليه وآله) من تعب هذه الدار في راحة ، قد حُفّ بالملائكة الأبرار ، ورضوان الرب الغفّار ، ومجاورة الملك الجبّار]

أي أن الموت كان راحة لمحمد من تعب هذه الدنيا وآلامها ، وما جرى عليه من أذية قريش له ، واعتداء المنافقين عليه .

فهو انتقل من دار التعب والعناء ، إلى دار الراحة والرخاء ، ومن جوار المنافقين ، إلى جوار رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، محفوفاً ومحاطاً مكرماً من الملائكة الابرار ، بكل حفاوة وتكريم واعتبار .

[صلى الله على أبي ، نبيه ، وأمينه على الوحي ، وصفيّه ، وخيرته من الخلق ، ورضيّه ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .]

بهذه الكلمات المادحة ، والعبارات الواصفة لأبيها بأنه أمين الله على الوحي ، وبأنه الصفوة المختارة ، والمنارة المرشدة الهادية ، والعلَم الأوحد ، والناطق الصادق ، والمتكلم الأمين ...

صلّت على أبيها ، وسلّمت تسليما .

---

(١) الضحى / ٤

الأصل

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت :

أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه ، وحملة دينه ووحيه ، وأمناء الله على أنفسكم ، وبلغاؤه الى الأمم ، زعيم حق له فيكم ، وعهد قدمه إليكم ، وبقية استخلفها عليكم : كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بينة بصائره ، منكشفة سرائره ، منجلية ظواهره ، مغتبطة به أشياعه ، قائد إلى الرضوان اتباعه ، مردّ إلى النجاة استماعه ، به تنال حجج الله المنوّرة ، وعزائمه المفسرة ، ومحارمه المحذرة وبيناته الجالية ، وبراهينه الكافية ، وفضائلة المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائعه المكتوبة ، فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر ، والزكاة تزكيةً للنفس ، ونماءً في الرزق ، والصيام تثبيتاً للإخلاص ، والحج تشييداً للدين ، والعدل تنسيقاً للقلوب وطاعتنا نظاماً للملة ، وإمامتنا أماناً للفرقة ، والجهاد عزاً للاسلام ، والصبر معونةً على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف مصلحةً للعامة ، وبر الوالدين وقايةً من السخط ، وصلة الارحام منسأةً في العمر ، ومنماةً للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكائيل والموازين تغييراً للبخس ، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ، وإجتناب القذف حجاباً من اللعنة ، وترك السرقة إيجاباً للعفة ، وحرم الله

الشرك اخلاصاً له بالربوبية ، فاتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون ، وأطيعوا الله فيما أمركم به ، ونهاكم عنه ، فانه ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ .

الشـرح

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت :

[أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه]

أي أنتم ياعباد الله تعالى ! منصوبون لأوامر الله تعالى ، ونواهيه .

[وحملة دينه ووحيه]

أي وأنتم ياعباد الله ، بعد أن نصبكم لأوامره ونواهيه ، حمّلكم مسؤولية دينه ووحيه على رسله ، فهي أمانة في أعناقكم ، وأنتم مسؤلون عنها أمامه سبحانه .

[وأمناء على أنفسكم]

أي أن الله سبحانه أهداكم هذه النفس ، فهي أمانة عندكم ، فلا تحجبوها عن الهداية فتوردوها موارد التهلكة ، فتكونوا مسؤلين أمامه تعالى عنها .

[وبلغاؤه الى الأمم]

أي هناك أمانة أُخرى ، هي أن تُبلّغوا دين الله إلى الأمم اللاحقه ، لأنكم شاهدتم الرسول ، وسمعتم أقواله ، وعايشتم أخلاقه وأفعاله ، فسوف يأتي

قوم لم يشاهدوه ، ولم يعايشوه ، فيؤمنون به عن طريق الحكاية والرواية ، فكونوا خير مبلغين لمن يأتي بعدكم بأعمالكم ، وأقوالكم وأفعالكم .

[زعيم حق له فيكم ، وعهد قدمه إليكم ، وبقية استخلفها عليكم]

يعني أن النبي (صلّى الله عليه وآله) له حق عليكم ، بما أوصله اليكم من دين الله وعهد الله ، الذي أوصله بكل أمانة وإخلاص ، وهذا الحق الذي له عليكم هو التمسك بالبقية الصالحة التي تركها فيكم ، كتاب الله ، وعترته الطاهرة كما ورد في الحديث الشريف ، عنه (صلّى الله عليه وآله) أنه قال : إني يوشك أن أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما [١] .

والملاحظ من الروايات الواردة في أكثر الصحاح ، أنها تذكر ــ وعترتي أهل بيتي - ولا تذكر وسنتي ، إلا بعض الروايات الشاذة النادرة . ومع هذا ترى الاعلام اليوم وخطباء المنابر والمساجد ، والكتب والصحف والمجلات ، والإذاعات تقول : وسنّتي . تتمسك بالشاذ القليل وتترك الصحيح الكثير ، لماذا ؟!.

وقد بينت فاطمة الزهراء (عليها السلام) عظمة القرآن بقولها :

---

(١) البحار ج ٢٣/ ١٠٨

[كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع]

كل من قرأ القرآن الكريم وتفكر في معانيه ، وتأمل فيما ترمي اليه الآيات البينات يعلم بكل صدق وأمانة بانه كلام الله الذي ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ (١) .

وقد قالت الحكمة : إذا أردت ان يكلمك الله تعالى فاقرأ القرآن .

فكلام الله صادق ﴿ **ومن أصدق من الله قيلا** ﴾ (٢) وكلام الله نور ساطع ، وضياء لامع .

[بيّنة بصائره ، منكشفة سرائره ، متجليّة ظواهره]

القرآن نزل بلغة العرب . وكلامه واضح جليّ لكل من تفهمه ، وتذوق معاني فصاحته وبلاغته .

وأهل الذكر ، هم الذين يعلمون جميع علوم القرآن ، من عام وخاص ، ومجمل ومبين ، ومطلق ومقيد... وهم أهل البيت (عليهم السلام) الذين جعلهم الرسول (صلى الله عليه وآله) عدل القرآن في حديث الثقلين .

[مغتبط به أشياعه ، قائد إلى الرضوان اتباعه]

---

(١) فصلت / ٤٢

(٢) النساء / ١٢٢ .

أتباع القرآن هم الذين طبقوا أحكامه ، وأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه ، فلهم منزلة يوم القيامة يغبطهم عليها أهل المحشر : وأن قارئ القرآن يزهر نوره إلى أهل السماء كما تزهر النجوم لأهل الأرض [١] .

[مؤدّ إلى النجاة استماعه]

لأن الذي يصغي ويستمع لكلام ا لله تعالى ، فلا بد ان يتأثر ويطبق أحكام القرآن التي تؤدّي إلى النجاة في الآخرة وقد قال سبحانه : ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾ [٢] .

[به تُنال حجج ا لله المنوّرة]

أي بالقرآن الكريم ، تُنال العلوم والمعارف العالية ، التي يحتج بها على الآخرين ، ويستدل بها على عظمة الدين القويم ، ونور الخالق العظيم ، الذي يعم المخلوقات أجمعين .

[وعزائمه المفسّرة]

أي الواجبات الموضحة ، التي أوضحها القرآن بآياته ، أو أوضحها أهل البيت (عليهم السلام) ، لأن القرآن نزل في بيوتهم ، وأهل البيت أدرى بالذي فيه

---

(١) اصول الكافي ج ٢ / ٦١٠

(٢) الاعراف /٢٠٤

[ومحارمه المحذّرة]

أي أن القرآن ذكر محرمات حرمها ا لله سبحانه ، وحـذّر وشـدّد العقـاب على من يفعلها أو يأتي بها .

[وبيناته الجالية ، وبراهينه الكافية]

إن القرآن فيه بينات واضحة ، وبراهين وأدلـة كافيـة وقاطعـة لمـن أراد أن يؤمن بها ، أو يسير عليها .

[وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائعة المكتوبة]

إن في القرآن أموراً مستحبة ، ومحببة الى ا لله تعالى ، رغب فيهـا القـرآن ، وهناك أُمور مباحة مخيرة ، إن شاء المكلف أن يفعلها ، وإن شاء أن يتركها ، وهناك أُمـور وشـرائع مفروضـة ومكتوبـة ، لا يسـامح العبـد علـى تركهـا ، أوالإستهانة بها .

علل بعض الواجبات في الإسلام

بعد أن ذكرت الزهراء (عليها السلام) : الحمد لله تعالى ، والثناء عليه ، وصلّت على أبيها محمد (صلّى الله عليه وآله) ، وبيّنت فضائله ، وفضائل الكتاب الذي جاء به وهو القرآن الكريم . أخذت (عليها السلام) بتبيان علل بعض الشرائع ، والفرائض المهمة في الإسلام ، فذكرت الايمان با لله أولاً فقالت :

[فجعل ا لله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك]

فالايمان بأنه عز وجل معنا ، يراقبنا ، ويشرف علينا ، ويرعانا ، ولا تخفى عليه خافية في السموات والارض ، وبأن الايمان با لله تعالى ، يطهر الناس من رجس الشيطان ، ومن رجس الشرك .

والشرك رجس وقذارة تؤثّر على عقل الانسان وروحه ، فتجعل منه إنسانا أقرب الى الحيوانية منه الى الانسانية ، فيأتي الايمان با لله تعالى ، والإخلاص إليه عز وجل وحده ، ليغسل وينظف ما علق على الروح والعقل والضمير ، من هذه الأوساخ والأدران .

[والصلاة : تطهيراً لكم من الكِبر.]

أيّ أن كل من يصلي ، ويعيش الصلاة في جوارحه وكيانه ، قلباً وقالباً ، قولاً وعملاً ، تُنزع منه كبرياء الإنسانية ، والعجرفة الحيوانية ، ويتعلّم التواضع ، والخضوع ، والخشوع لله وحده .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنّ كل من لا يصلي ، فهو من المتكبرين ، والعاصين لرب العالمين ، وفي الآخرة من الخاسرين ، وأمّا ﴿ **عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾ [١] .

فالصلاة صلة بين العبد وربه . وقربان كل تقيّ . وعامود الدين ، إن قبلت قبل ما سواها ، وإن ردت رد ما سواها . وهي علامة فارقة من علامات المؤمنين ، مَنْ تركها هدم دينه ، كما ورد ذلك بروايات عن النبي (صلى الله عليه وآله) [٢] .

[والزكاة : تزكية للنفس ، ونماءً في الرزق]

إداء الزكاة ، وإعطاء الحقوق الشرعية ، التي فرضها الله تعالى على عباده بعد الصلاة ، تجعل الرزق ينمو ، وتزيد بركة الأرض ، فيأذن الله لها بأن تكثر خيراتها ، قال سبحانه : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ [٣] .

فالزكاة صدقة ، والصدقات تنمي الرزق وتكثره .

[والصيام : تثبيتاً للإخلاص]

الصوم مظهر من مظاهر العبادة الخالصة لوجه الله تعالى .

---

(١) الفرقان /٦٣

(٢) راجع جامع الأخبار /ص٧١

(٣) التوبة /١٠٣

يمكن للمصلي أن يصلي أمام الناس رياءً وتظاهراً ولكن لا يُتصور أن يصوم الإنسان مُدَّةَ شهرٍ ، ممتنعاً عن الطعام والشراب ، ومشتهيات الحياة كذباً ورياءً .

الصوم إذن من أظهر العبادات الخالصة لوجه الله تعالى .

[والحج : تشيداً للدين]

الحج في الإسلام هو مؤتمر سنوي عالمي ، يجتمع المسلمون ، ويأتون من جميع البلدان والأقطار ، ليؤدوا مناسكهم ، ويتعارفوا ، ويتزودوا من حضارات بعضهم البعض .

وكلما ازداد المسلمون ثقافةً وعلماً وحضارةً ، كلما ازداد دينهم عظمةً ورفعةً وشموخاً ، لأن الإسلام بالمسلمين ، والدين بالمتدينين الواعين المثقفين .

[والعدل : تنسيقاً للقلوب]

لا يمكن أن يقوم نظام إجتماعي ، إذا لم يقم على العدالة والمساواة بين الناس ، على اختلاف طبقاتهم ، وأشكالهم وأنواعهم وألوانهم .

فالإسلام يعتبر المسلمين كأسنان المشط ، وكالحَب في المسبحة .

يقول نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) : يأأيها الناس ! ألا إن ربكم واحد ، ألا إن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربيٍ على عجميٍ ، ولا لعجميٍ على عربيٍ ،

ولا لأسودٍ على أحمر ، ولا لأحمرٍ على أسودٍ إلاّ بالتقوى ، ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [1] .

وهذا ما أشارت إليه الزهراء (عليها السلام) ، وهو أن تكون القلوب متساوية متعادلة ، متناسقة ، كل واحد يقوم بواجبه أمام الله سبحانه .

[وإطاعتنا : نظاماً للملّة]

أي لا يمكن أن يسود النظام العادل في المجتمع الإسلامي ، إلاّ بقادة معصومين عن الهوى ، ومنزهين عن الزلل ، الذين عيّنهم الله تعالى على لسان رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) ، وهم أئمة الهدى ، والعروة الوثقى ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا [2] .

[وإمامتنا : أماناً للفرقة]

تتوحد الكلمة الإسلامية بتوحيد الراية ، والقيادة والقادة .

والقادة الذين عيّنهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) هم الأئمة الإثنى عشر ، من ذريته ، وهم أمانٌ للأمة من كل آفة وتفرقة .

وقد أشار إلى ذلك (صلى الله عله وآله) في عدة روايات منها قوله : إن مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق[3].

---

(١) الميزان ج١٨/ص٣٣٤ ، والآية/١٣ الحجرات .

(٢) إشارة إلى الآية /٣٣ /من سورة الأحزاب

(٣) البحار ج٢٣/ص١١٩

وقال (صلى الله عليه وآله) : من دان بديني ، وسلك منهـاجي ، واتبـع سـنتي ، فليدن بتفضيل الأئمة من أهل بيتي ، علـى جميـع أمـتي ، فـإن مثلهـم في هـذه الأمة ، مثل باب حطة في بني إسرائيل . يحط الله بها الخطايا [1] .

فكل من قرأ سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ، وتعـرّف عليهـم ، وجَـدَ أنهـم كانوا مِحوَر الأخلاق الفاضلة ، والصفاة الإسلامية العالية .

كانت أخلاقهم من أخلاق القرآن ، لأنهم عدله وترجمانـه ، وكتـاب الله الناطق ، كما ورد [2] .

كما وأنهم هم أُولي الأمر الذين أمرنا الله بطاعتهم في قوله تعـالى : ﴿ يـا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم ﴾[3] .

[والجهاد : عزاً للإسلام]

الجهاد من الواجبات التي أعتمد عليها الدين الإسلامي للدفاع عن وجوده ووجود رجالاته الذين وجد الإسلام بوجودهم .

وقد عبر عنه مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) : أنه من أبواب الجنة فتحه الله سبحانه لخاصة أوليائه المتقين [4] .

---

(١) البحار ج٢٣/ص١١٩

(٢) راجع أرشاد القلوب للديلمي /ص٢٤٩

(٣) النساء/٥٩

(٤) نهج البلاغة /خطبة الجهاد رقم/٢٧

والجهاد قوة ومنعة ، يُدفع به اعتداء المعتدين ، وكيد الظالمين ، وفيه تحفظ العزّة والكرامة لجميع أعضاء الأمة ، أفراداً وجماعات .

[والصبر : معونةً على استيجاب الأجر]

أي يكثر الأجر ، ويزداد الثواب ، بالصبر والتحمل على مكاره الدهر ، ومصائب الحياة .

والصبر : يكون في الأمور التي تقع على الإنسان ، ولا يستطيع التخلص منها ، أو الهروب عنها .

قال : مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) : الصبر صبران : صبر عند المصيبة حسن جميل ، وأحسن من ذلك ،الصبر عند ما حرم الله عز وجل عليك[1] .

وقال : (عليه السلام) : ...وعليكم بالصبر ، فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس معه ، ولا خير في إيمان لاصبر معه[2].

وقال الله سبحانه : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾[3] .

[والأمر بالمعروف : مصلحةً للعامة]

الأمر بالمعروف مفروض على كل مكلّف بحسب علمه وإمكاناته ، حتى يشعر كل فرد مهما دنت أو ارتفعت منزلته أنه مسؤول أمام الله سبحانه

---

(١) أصول الكافي ج٢/ص٩٠

(٢) نهج البلاغة قصار الحكم رقم/٨٢

(٣) الزمر /١٠

وتعالى ، وقد اشتهر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته .

فالأمر بالمعروف : هو ما تقوم عليه المصالح ، ويرتكز عليه النظام ، لأن الإسلام نظام كامل للحياة ، وهو ما ارتضاه سبحانه للناس .

فلا فساد ، ولا إفساد ، ولا ضرر اجتماعي ، ولا تظاهر بأي مظهر مضاد للدين ، ما دام هناك من يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر .

[وبر الوالدين : وقايةٌ من السخط]

اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالوالدين ، وجعل شكرهما من شكر الله تعالى ، وكذلك رضاهما .

لأن الولد عندما ينشأ في بيت ، ويرى والده باراً بوالديه الشيخين الكبيرين ، محسناً لهما ، مطبّقاً لأحكام القرآن في حقهما ، يتأثر ويصبح هو أيضاً باراً بوالديه ، محسناً لهما عندما يكبر .

وهكذا ... يُقيم الإسلام المجتمع المتكامل المؤمن ، ويُربي الفرد باراً محسناً لوالديه ، وإلفاً لإخوانه ، وحنوناً عطوفاً على الصغار والقاصرين .

وقد ذكر سبحانه في كتابه المجيد آيات في بر الوالدين والإحسان إليهما قال سبحانه : ﴿ **وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحساناً إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تنهرهما .وقل**

لهما قولاً كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربـي ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ [١] .

وقال سبحانه أيضاً : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير * وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا...﴾ [٢] .

وقال سبحانه أيضاً : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً...﴾ [٣] .

فالزهراء (عليها السلام) اعتبرت أن بر الوالدين يقي من سخط الله سبحانه . ونبي الله عيسى بن مريم (عليه السلام) عبر عن هذا باسلوب آخر ، وهو أن العاق لوالديه المسئ إليهما ، هو الجبار الشقي ، قال تعالى : ﴿ وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً ﴾ [٤] وقال سبحانه عن يحي بن زكريا (عليهما السلام) : ﴿ وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً ﴾ [٥] .

[وصلة الأرحام : منسأةً للعمر ، ومنماةً للعدد]

---

(١) الإسراء /٢٣/٢٤

(٢) لقمان /١٤/١٥

(٣) النساء /٣٦

(٤) مريم /٣٢

(٥) مريم /١٤

أي أن صلة الأرحام تطيل العمر ، وبإطالـة العمـر يكـثر عـدد المسـلمين .
وقد ورد بذلك روايات كثيرة عن أهل البيت (عليهم السلام) تبين أن صلة الرحم تطيل العمر ، وأن مقاطعة الأرحام والأقارب تقصّر العمر .

قال أبو عبد ا لله الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : ما نعلـم شيئاً يزيـد في العمر إلاّ صلة الرحم ، حتى أن الرجل يكـون أجلـه ثـلاث سـنين ، فيكـون وصولاً للرحم ، فيزيد ا لله في عمره ثلاثين سنة ، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سـنة ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة ، فيكون قاطعاً لـلرحم ، فينقصـه ا لله ثلاثـين سنة ، ويجعل أجله إلى ثلاث سنين [١] .

وقال مولانا أبو جعفر الإمام محمد الباقر (عليه السلام) : صلة الأرحام تزكّـي الأعمال ، وتنمّي الأموال وتدفـع البلـوى ، وتيسـر الحسـاب ، وتنسـئ [٢] في الأجل [٣] .

[والقصاص : حقناً للدماء]

الإسلام نظام ا لله في الأرض ، وهـذا النظـام لا بـد أن يحـافظ علـى أبنائـه ومجتمعه من الإنحراف . ومن طبع الإنسان الإنحراف عـن الجـادة الـتي رسمهـا ا لله سبحانه له . ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء إلاّ ما رحم ربي** ﴾ [٤] .

---

(١) أصول الكافي ج٢/ص ١٥٢

(٢) أي تؤجل الموت ، وتطيل العمر .

(٣) أصول الكافي ج٢/ص١٥٠

(٤) يوسف /٥٣

"Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)"

فسن سبحانه ، لحماية هذا النظام والمجتمع ، القصاص .

فعندما يقاصص ويعاقب كل معتدٍ ، ويضرب على يدِ كل مجرم ، لا يعتدي الإنسان على أخيه الإنسان ، ولا يظلم أحد أحداً ، وهكذا.. تسطلح حياة المجتمع والأمة . قال ا لله تعالى : ﴿ **ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب لعلكم تتقون** ﴾ (١) .

[والوفاء بالنذر : تعريضاً للمغفرة]

النذر عهد مع ا لله ووعد .

لأن الإنسان عندما يمر عليه في حياته بعض الإبتلآءت الدنيوية ، ينذر لله تعالى أو يعاهده على صوم أو صلاة أو دفع مال إلى فقراء أو غيرها من العهود والنذور ، إذا دفع عنه هذا البلاء الذي وقع فيه . وعندما يقبل ا لله منه النذر أو العهد يجب على الإنسان أن يفي بما وعد أو نذر .

والذي يفي بوعوده وعهوده ونذوره ، يكون قد عرض نفسه لمغفرة ا لله تعالى ، وا لله غفور رحيم . قال سبحانه : ﴿ **ومن أوفى بما عاهد عليه ا لله فسيؤتيه أجراً عظيماً** ﴾ (٢) .

[وتوفية المكاييل والموازين : تغييراً للبخس]

---

(١) البقرة /١٧٩

(٢) الفتح /١٠

الإسلام دين الحياة ، ونظام الدنيا ، ولا بـد أن يثبت العـادات الحسـنة في المجتمع ، وينفي العادات السيئة منه .

فالغش والغبن والخداع وغيرها من العادات الفاسدة ، قد حرمها الإسـلام ونهى عنها .

والإنسان العاقل يكره أن يُغش ، فعليه أن لا يَغش ، وأنه لا يحب أن يُظلم فعليه أن لا يَظلم ، وهكذا...

عندما يتعامل الناس بالمثل ، ويحبّ المرء لغيره مثلما يحـبّ لنفسـه ، تسـود العدالة والمساواة في المجتمع ، ولا يكون هناك غبن ، أو غش ، أو ظلم .

عندها يكون مجتمعاً إسلامياً ، صالحاً ، عادلاً ، كـاملاً ، متكـاملاً ، كمـا أراده الله تعالى .

[والنهي عن شرب الخمر : تنزيهاً عن الرجس]

اهتم الإسلام كنظام كامل للحيـاة اهتمامـاً كبـيراً بصحـة الفـرد والأسـرة والمجتمع جسدياً وعقليّاً .

لهذا تراه يشدد العقاب على كل ما يؤذي المجتمـع الإسـلامي ، ويشـتت أبناءه ، ويضر أفراده .

ومن أشد المحرمات ضرراً وإضراراً هو شرب الخمر ، الذي يذهـب العقـل ويؤذي الجسم ، ويصل ضرره إلى النطفة التي يتكون منها إنسان آخر .

وقد شدد سبحانه في كتابه المجيد على تحريم شربه وجعله رجساً من عمل الشيطان فقال عز وجل : ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجـس**

من عمل الشيطان فاجتنبوه * إنما يريد الشيطان أن يوقـع بينكـم العـداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر ا لله وعن الصلاة فهل أنتـم منتهون ﴾ [١] .

أوليس هذا منتهى الرجس والقذارة ، أن يُدخل الإنسان في جوفه ما يجعله من جنود إبليس ، ويكوّن منه مصدراً للعداوة والبغضاء في المجتمع ؟؟

هذا المشروب النجس هو مصدرٌ للصدِّ عن ذكر ا لله تعالى وعن الصـلاة . فهل يُتَصَوَّرُ أن إنساناً عاقلاً فاهماً واعياً يُدخل في جوفه ما يجعلـه فـاقداً لهـذا العقل ، الذي فُضّل به على جميع المخلوقات ؟

وقد ورد أن النبي (صلى الله عليه وآله) : لعن الخمرة ، وعاصرها ، ومعتصرهـا وبايعها ، ومشتريها ، وساقيها ، وآكـل ثمنهـا ، وحاملهـا ، والمحمولـة إليـه ، وشاربها [٢] .

وقال (صلى الله عليه وآله) : شارب الخمر كعابد الوثن [٣] .

وقيل لأمير المؤمنين (عليه السلام) : إنك تزعم أن شرب الخمر أشدُّ مـن الزنـا والسرقة ، فقال (عليه السلام) : نعم إن صاحب الزنا لعله لا يعـدوه إلى غـيره ، وإن شارب الخمر ، إذا شرب الخمر زنى ، وسرق ، وقتل النفس الـتي حـرم ا لله عز وجل ، وترك الصلاة [٤] .

---

(١) المائدة / ٩٠/ ٩١

(٢) كنز العرفان في فقه القرآن ج٣/ص١٦٩ والكافي ج٦/ص٣٩٨

(٣) نفس المصدر

(٤) الكافي ج٦ /ص٤٠٦

فالزهراء (عليها السلام) جعلت تجنب شرب الخمر ، تنزيهاً للنفس عن الرجس والقذارة .

[واجتناب القذف : حجاباً عن اللعنة]

اهتم الإسلام بالمحافظة على كرامة الإنسان وعرضه وشرفه .

والقذف هو أن يتهم الإنسان أخاه الإنسان بتهمٍ وافترآءت بدون دليل .

كمن يتهم الآخر بالزنا وليس له دليل على ذلك .

وإذا كانت هناك اتهامات بلا دليل فيقابلها اتهامات أخرى مما يوجب الملاعنة بين الطرفين .

فالزهراء (سلام الله عليها) تقول : إنه لا يجوز لك أن تتهم أحداً بدون دليل شرعي على ما تقول .

والإبتعاد عن الإتهامات الباطلة تحجب المجتمع وتحميه من الملاعنة .

وقد شدد الله سبحانه العقاب والعذاب على الذين يرمون بعضهم بالإتهامات الباطلة ، والإفترآءت الكاذبة ، قال سبحانه : ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لُعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم** ﴾ [1] .

[وترك السرقة : إيجاباً لِلعِفّة]

---

(١) النور /٢٣

شدد الإسلام في معاقبة السارق ، واعتبر أن السرقة خيانة ، واليد السارقة خائنة . لهذا أمر بقطعها وجعلها وسمة دائمة لصاحبها . والخائن يجب أن يجتث ويقطع من المجتمع ، لكي لا يكون سبباً في تلويثه وإفساده .

وقد تعجّب أبو العلاء المعري وتساءل عن الحكمة في قطع يد السارق إذا سرق نصف دينار فقال :

يد بخمس مئين عسجدٍ فديت ما بالها قطعت في نصف دينار

يعني اليد التي تقطع خطأً ، ديتها في الإسلام خمسمائةدينار ذهب ، فلماذا نقطعها إذا سرقت نصف دينار ؟

فأجابه الشريف الرضي (ره) شعراً فقال :

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

وأجابه الشريف المرتضى علم الهدى (ره) نثراً فقال : لمّا كانت أمينة ثمينة ولمّا خانت هانت [1] .

إذن اليد السارقة أثيمة خائنة ، مسلوبة العزة والكرامة ، لهذا تقطع وتُجتثُّ من المجتمع ،كذلك الخائن ، يجب أن يبعد ويطرد من بين المسلمين .

فالزهراء (عليها السلام) اعتبرت أن تارك السرقة ، عفيفاً شريفاً محترماً في المجتمع .

[وحرم الشرك : إخلاصاً له بالربوبية]

(١) المناهج الحسينية /ص١١٦

أي أن الشرك كفر للنعم ، وجحود بـالمنعم عـز وجـل . فـالذين أشـركوا با لله ، وجعلـوا لـه ولـداً ، أو نـدّاً ، أو صاحبـة ، إنمـا أغمضـوا أعينهـم عـن الحقائق التي جاء بها الأنبياء ، وصدقها العقـل علـى وحدانيـة ا لله سـبحانه ، وأنه منزه عن كل شريك أو شبيه وأنه تعالى ليس كمثله شيء .

ولذا وعد سبحانه بإمكان المغفرة لبعض المعاصي إلاّ الشرك بـه عـز وجـل فقال سبحانه : **﴿ إن ا لله لا يغفر أن يشـرك بـه ويغفـر مـا دون ذلـك لمـن يشاء ومن يشرك با لله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾** [1] .

ثم إن الزهراء (عليها السلام) أدمجت الآيات القرآنية المناسبة لموضوع كلامهـا فقالت :

[﴿ فاتقوا ا لله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون ﴾] [2]

بعد أن نبهت (سلام ا لله عليها) الناس أن الشرك حـرام ، والمشـرك غـير مخلـص لربه باعتقاده ، جاءت بهذه الآية التي توصي الناس بأن يتقوا ا لله حق تقاته ، ولا يموتوا الاّ على دين الإسلام ، الذي لا تُقبل الأعمال إلاّ مـن خلالـه يـوم القيامة :

---

(١) النساء /٤٨

(٢) آل عمران /١٠٢

[﴿ ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾[١] وأطيعوا ا لله فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ إنمايخشى ا لله من عباده العلماء ﴾]

ونبهت (عليها السلام) أيضاً في نهاية هذا الفصل من كلامها ، أن على المؤمن المسلم أن يكون مطيعاً لربه فيما أمره به من الواجبات ، ومطيعاً له عز وجل فيما نهاه عنه من المحرمات ، والذي يأتي يوم القيامة ، ولم تكن أعماله مطابقة لدين الإسلام فهو عند ا لله في الآخرة من الخاسرين .

وختمت كلامها بقوله تعالى : ﴿ **إنما يخشى ا لله من عباده العلماء** ﴾ [٢] .

أي أن طاعة ا لله في أوامره ونواهيه لا بد لها من العلم والمعرفة بأوامر ا لله تعالى ونواهيه ، فكيف تحصل الخشية لله ، والطاعة لأوامره بدون علم ؟

فإنما الذين يخشون ا لله حق خشيته هم العلماء .

وقد أشارت (سلام الله عليها) إشارة خفية إلى أهل البيت (عليهم السلام) من خلال هذه الآية الكريمة ، لِتُدَلِّلَ على فضلهم وعلمهم ووجوب الرجوع اليهم في كل الشؤون .

---

(١) آل عمران / ٨٥

(٢) فاطر / ٢٨

الأصـل

أيها الناس : إعلموا أني فاطمة ! . وأبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، أقـول عوداً وبدءاً ، ولا أقول ماأقول غلطـاً ، ولا أفعـل مـاأفعل شـططاً ﴿ لقـد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتـم حريـص عليكـم بـالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾

فإن تعزوه وتعرفوه : تجدوه أبي دون نسائكم ، وأخـا ابـن عمـي دون رجالكم ، ولنعم المعزِيُّ إليه (صلى الله عليه وآلـه) ، فبلّـغ الرسـالة ، صادعـاً بالنذارة ، مائلاً عن مدرجة المشركين ، ضارباً ثبجهم ، آخذاً بأكظامهم ، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، يكسر الأصنـام ، وينكـث الهام ، حتى انهزم الجمع وولّوا الدبـر ، حتـى تفـرّى الليـل عـن صبحـه ، وأسفر الحق عن محضه ، ونطق زعيم الدين ، وخرست شقاشق الشـياطين وطاح وشـيظ النفـاق ، وانحلـت عقـد الكفـر والشـقاق ، وفهـتم بكلمـة الإخلاص ، في نفرٍ من البيض الخماص ، وكنتم على شفا حفرة من النار ، مذقّة الشـارب ، ونهـزة الطـامع ، وقبسـة العجـلان ، وموطـئ الأقـدام ، تشـربون الطـرق ، وتقتـاتون القِـد والـورق ، أذلـة خاسـئين ، تخـافون أن يتخطفكم الناس من حولكم .

فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمـد (صلى الله عليه وآله) ، بعـد اللتيّـا والّـتي وبعد أن مـنيَ ببُهـم الرجـال ، وذؤبـان العـرب ، ومـرَدة أهـل الكتـاب ،

﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها ا لله﴾ أو نَجَمَ قرن الشيطان ، أو فغرت فاغرة من المشركين ، قَذَفَ أخاه في لهواتها ، فلا ينكفيء حتى يطأ جناحها بأخمصه ، ويخمد لهبها بسيفه ، مكدوداً في ذات ا لله ، مجتهداً في أمر ا لله ، قريباً من رسول ا لله ، سيداً في أولياء ا لله ، مشمراً ناصحاً ، مجداً كادحاً ، لا تأخذه في ا لله لومة لائم .

وأنتم في رفاهية من العيش ، وادعون ، فاكهون ، آمنون ، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار ، وتنكصون عند النزال ، وتفرّون من القتال.

الشرح

ثم قالت (عليها السلام) :

[أيها الناس ! إعلموا : أني فاطمة ! [1] وأبي محمد (صلى الله عليه وآله) **]**

فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) تعرف أنهم يعرفون من هي ، ومن أبوها ، ولكنها قالت ذالك لتذكّرهم بموقعها عند أبيها (صلى الله عليه وآله) ، وبموقع أبيها عند الله تعالى ، لعلهم يعودون إلى رشدهم ، ويرجعون عن غيّهم ، لأنها كانت تأمل أن يكون صوت الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ما زال يرن في آذانهم في فضلها وعظمتها وكرامتها في الدنيا والآخرة .

[أقول عوداً وبدءاً ، ولا أقول ما أقول غلطاً ، ولا أفعل ما أفعل شططاً]

أي أن الزهراء (عليها السلام) بعد أن ذكّرتهم بحسبها ونسبها ، أحبّت أن تعرفهم أن ما ستقوله ليست شاكّة فيه ، أو مترددة ، بل مستعدة لتكراره ، وتأكيده أولاً وآخراً ، وإعادةً وتكراراً ، وهي مطمئنة كل الإطمئنان بأنها مصيبة ومحقة .

---

[1] بهذا الإسم صدر كتاب في عشر مجلدات في حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وفضائلها . للخطيب الحسيني الشيخ عبد الحميد المهاجر

ولا تقول ذلك عن خطأ أو تلاعب أو خديعة ، أو عن ظلم أو جور أو تجاوزِ حدود .

[﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾][1]

بدأت (سلام الله عليها) ، بقول الله تعالى : الذي يصف أباها (صلى الله عليه وآله) بأنه رسول من عند الله تعالى ، وأنه يعزّ عليه ويشق وقوع المسلمين في شدّة أو ضيق ، وهو حريص على سعادتهم ، وعطوف عليهم ، ورحيم بهم .

[فإن تعزوه وتعرفوه : تجدوه أبي دون نسائكم]

أي أنكم إذا أردتم أن تتعرفوا إليه ، فإنكم تجدونه أبي وحدي دون نسائكم ، وأنا وحيدته ، وبضعة منه .

[وأخا ابن عمي دون رجالكم ، ولنعم المعزِيُّ إليه]

قضية المؤآخاة بين المسلمين قام بها النبي (صلى الله عليه وآله) أكثر من مرة .

فقد آخى بين المسلمين في مكة ، وآخى بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة ، وفي جميع الحالات كان يترك عليّاً (عليه السلام) بلا أخٍ ، فيطالب عليّ بحقه ويقول: يارسول الله ! آخيت بين المسلمين وتركتني ، فيقول (صلى الله

---

[1] التوبة /١٢٨

عليه وآله) : ياعلي ! أنت أخي ، أما ترضى أن تدعى إذا دعيت ، وتكسى إذا كسيت ، وتدخل الجنة إذا دخلت ؟

قال (عليه السلام) : بلى يارسول الله ! وكان ذلك عند نزول قوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة ﴾ [1]

فالزهراء (عليها السلام) أطلقت هذه المؤاخاة ، واحتجت بها على المسلمين ، ومن ثم قالت نعم النسب الذي يعود إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ونعم المؤاخاة المنسوبة إليه ، لأنه الشرف ما بعده شرف ، والكرامة ما بعدها كرامة .

[فبلّغ بالرساة ، صادعاً بالنذارة]

أي أن النبي (صلى الله عليه وآله) قام بواجبه خيرَ قيام ، فقد بلّغ رسالة ربه .

وقد أظهر وصدع بالإنذار والتخويف من عذاب الآخرة لكل من يخالف أوامر الله سبحانه ، أو يكفر به .

[مائلاً عن مدرجة المشركين ، ضارباً ثبجهم ، آخذاً بأكظامهم]

ومن صفاته (صلى الله عليه وآله) : أنه كان متناقضاً مع عقيدة المشركين ، متبايناً مع أعمالهم الكافرة الشريرة ، ضارباً كاهلهم ، وشادّاً على خناقهم ، حتى آمنوا وأسلموا واهتدوا ، فصار بهم رؤوفاً رحيماً .

---

[1] راجع كتاب علي من المهد إلى اللحد للقزويني /ص ٢١٨ وقد ذكر اسم خمسين كتاباً من كتب السنة تذكر قصة المؤآخاة .والآية ١٠/ الحجرات

[داعياً إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة]

ومن صفاته (صلى الله عليه وآله) : أنه كان داعياً إلى الله سبحانه ، متواضعاً لعباده . يرشدهم إلى صراط ربهم المستقيم ، بالبراهين الواضحة ، والمواعظ النافعة ، المعبّرة المقنعة .

وكان يجادل المعاندين بأحسن الطرق التي يمكن أن تستعمل لإقناع الآخرين ، لأن غايته كانت هداية الناس ، لا الغلبة والإنتصار عليهم في المجادلة والمناقشة .

[يكسر الأصنام ، وينكث الهام]

ومن صفاته (صلى الله عليه وآله) : أنه كان يكسّر الأصنام ، ويقضي على عبادتها ، ويقضي على رؤساء الشرك ، أمثال أبو جهل ، وأبوسفيان ، وأبو لهب وغيرهم ، من الذين كانوا أصناماً متحركة ، وأشد خطورة من الأصنام الحجرية .

[حتى انهزم الجمع وولو الدبر]

أي استمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بجهاده المتواصل ، وبأخلاقه الكريمة وبمواعظه وإرشاداته الإلهية العالية ، حتى اضطُر للحروب والغزوات ، وفي النهاية كان النصر لله ولرسوله ، فقضى على الكفار والجاحدين ، والمشركين المعاندين ، حتى انهزموا وولوا مدبرين ، إلى غير رجعة .

[حتى تفرّى الليل عن صبحه ، وأسفر الحق عن محضه]

أي حتى انجلى ليل الكفر وظلماته السوداء ، وظهر صبح الإسلام ، ببياضه الناصع ، وبان للجميع حقائق الأمور ، وزالت الحواجز التي كانت تحجب الحقائق عن بصر المبصرين ، وطلعت شمس الحق والدين .

[ونطق زعيم الدين ، وخرست شقاشق الشياطين]

في السابق كان لا يستطيع أحد أن يتكلم بإسم الدين ، وأما بعد بزوغ فجر الإسلام ، فأصبح كل إنسان متدين ، ينطق بإسم الدين .

وبذلك خرست وانطفأت مكايد وحيَل الشياطين ، وأتباعهم من الكافرين والجاحدين ، وذلك بعد بعثة سيد المرسلين ، وإمام الأنبياء أجمعين سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله اجمعين) .

[وطاح وشيظ النفاق ، وانحلت عقد الكفر والشقاق]

أي بعد أن قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الكافرين ، وهدم أركان المشركين ، ذكرت هنا (سلام الله عليها) : إن المنافقين حاولوا الإعتداء على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولكنّ الله تعالى نجّاه منهم ، وأفشل تدبيرهم ، وأفسد مساعيهم ، ونجّى رسوله الكريم منهم ، ووأد محاولاتهم التي كانت

تهدف إلى القضاء على الإسلام والمسلمين ، كما حصل في ليلة العقبة عندما حاول المنافقون قتله (صلى الله عليه وآله) [1] .

[وفهتم بكلمة الإخلاص ، في نفرٍ من البيض الخماص]

كلمة الإخلاص : هي كلمة (لاإله إلاّ الله) ، وقد تفوّه بها العرب ، وقالوها بألسنتهم ، قالوها في نفرٍ من البيض ، أي أصحاب الوجوه البيضاء .

وربما أرادت الزهراء (عليها السلام) بقولها هذا أن تقسم الناس إلى قسمين : قسم فاه بكلمة الإخلاص ولفظها بلسانه ، و لم يعتقدها بقلبه .

وقسم ثانٍ : وهم قلة ، وجوههم منيرة من العبادة ، وأجسادهم ضامرة من كثرة الصوم ، وهذا الوصف ينطبق على الصفوة من آل الرسول (صلوات الله عليهم أجمعين) .

[1] راجع إرشاد القلوب للديلمي ص٣٣١ . وتفسير الميزان ج٩/ص٣٤٤

صورة عن حالة العرب قبل الإسلام

كانت العرب قبل الإسلام ، قبائل مشرذمة متفرقة ، متباغضة ، تسودهم الفوضى ، وتفشّى فيهم عادات سيئة ، من الأخذ بالثأر ، وغزو بعضهم البعض .

ناهيك عن تلك العادة القبيحة ، التي هي وأد البنات ، أي دفنهنّ أحياءً ، والتي كانوا يعتبرونها من الفضائل ، ويقولون : وأد البنات من المكرمات[1]

وكانوا يعيشون حياة الذل والهوان ، أقوياء على بعضهم البعض ، ضعفاء أمام القوتين العظميين ، الشرق الفارسي ، والغرب الروماني .

ولنأخذ مثلاً : الكتاب الذي أرسله نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) إلى كسرى ملك الشرق - لأنه (صلى الله عليه وآله) أرسل كتباً ورسائل إلى الملوك والأمراء ، ليلقي عليهم الحجة وينذرهم - والذي جاء فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى كسرى بن هرمزد ؛ أما بعد : أسلم تسلم ، وإلاّ فأذن بحرب من الله ورسوله ، والسلام على من اتبع الهدى [2].

عندما وصل الكتاب إلى كسرى ، وقرأوه عليه ، وعرف محتواه ، غضب وطار صوابه ، وقال : كيف يتجرأ عليّ هذا العربي ، ويقول هذا الكلام ، وهو يعلم أن الجزيرة العربية كلها تعتبر مستعمرة صغيرة تحت حكمي ؟ .

---

[1] فاطمة هي فاطمة / للدكتور شريعتي ص١٠١

[2] البحار ج٢٠/ ٣٨١

والتفت إلى الرسول حامل الكتاب ، وقال : لولا أنه قبيح قتل الرسول لقتلتك ، وأمر جنوده أن يُحمّلوه تراباً وحجارةً من أرضه ، وأخذ الكتاب ومزقه .

وعندما عاد الرسول إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأخبره الخبر ، وما جرى معه ، تنبأ النبي بالغيب وقال : مزق الله ملكه كما مزق كتابي ، أمّا إنكم ستمزقون ملكه . وبعث إليّ بترابٍ ، أمّا إنكم ستملكون أرضه [1].

فكان كما قال (صلى الله عليه وآله) .

هذه صورة مصغرة عن مهانة العرب ، وحقارتهم عند الآخرين ، وعن حالة الفوضى والتحلل ، والتفسخ الإجتماعي عندهم قبل الإسلام ...

أقول : ولسنا أحسن حالاً منهم ، نحن ، في هذه الأيام -في آخر القرن العشرين - فنحن في حالة فوضى ، وتفرقة ، وتبعية للأجنبي ، واستزلام للكافرين .

هذه إسرائيل - جرثومة الفساد في الأرض - التي تعتبر كشعرة سوداء في جلد البعير الأبيض ، وهؤلاء هم العرب والمسلمون ، مع كثرتهم الهائلة ، يرونها ويرون ظلمها للشعب العربي الفلسطيني المسلم ، وكيف طردته من بلاده ، على مرأى ومسمع من العالم ...

لا يحركون ساكناً ، وهم فيما بينهم مُتفرقون ، مُتباغضون مُتقاتلون ، كأسلافهم عين بعين ، والسبب واحد : أولئك كانوا كافرين مشركين ، وهؤلاء عادوا إلى ما كان أسلافهم عليه ، من الإرتداد والكفر ، والجحود

---

[1] البحار ج٢٠/ص٣٨١

بنظام السماء ، ورحمة أهل السماء ، فكانوا مصداقاً لقوله (صلى الله عليه وآله) : لتأمرن بالمعروف ، ولتَنهُنَّ عن المنكر ، أو لَيستعملنّ عليكم شراركم ، فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم [١].

وهذا خير وصف ، وأحسن تعبير ، عن حالة العرب في ذاك الزمان .

وما ذكرته فاطمة الزهراء (عليها السلام) : في معرض كلامها عن حالة العرب الذين كانت تخاطبهم ، يمكن أن ينطبق على عرب زماننا الذي نحن فيه .

[وكنتم على شفا حفرة من النار]

ما أقرب الكافر من النار ! لأن الإنسان ينتقل بالموت إلى إحدى حالتين : إمّا إلى النعيم الدائم ، إذا كان من أهله ، وإمّا إلى العذاب الدائم ، إذا كان من أهله .

فالعرب ! لولا نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) ، وبعثته المباركة ، لكان الكفر والإلحاد باقيين فيهم ، ينقلهم الموت إلى الجحيم ، والعذاب الأليم – فهم على حافة جهنم بانتظار الموت فقط – .

[مذقة الشارب ، ونهزة الطامع]

[١] جامع السعادات ج٢/ص٢٣٤

إنها (عليها السلام) تصف حال العرب قبل الإسلام من تفرّق وتشرذم ، بحيث أنهم يُقضَى عليهم كقضاء العطشان على شربة الماء ، ويُطمعُ بهم ، ويُؤكلون وليمةً سهلة لكل جائع .

[وقبسة العجلان ، وموطيء الأقدام]

أي شعلة نار ، أو قبس منها ! لكل من أراد ذلك ، وهو في عجلة من أمره .

وأيضاً وصفتهم (سلام الله عليها) ، بأنهم موطيء لأقدام كل قويّ ، ولا كرامة لهم .

[تشربون الطرق، وتقتاتون القِد والورق]

أي كنتم تشربون الماء العكر ، الممزوج ببول الإبل ، والمتجمّع في المستنقعات ، وموطيء أرجل الحيوانات .

وأما طعامكم فلم يكن أحسن حالاً : فكان الجلد واللحم اليابس المقدد ، وأوراق الشجر ...

ومع أن أرض الله واسعة ، فإنكم لجهلكم وغبائكم ، لم تعرفوا كيف تستغلونها ، وتنتفعون بها .

[أذلة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم]

الخاسيء : هو المنبوذ المطرود من قومه لحقارته .

أي وكنتم في حالة من الخوف والرعب ، بحيث أنكم كنتم تتوقعون دوماً الهجوم والإعتداء عليكم ، لأن الغزو كان عادة العرب ، وكان يحصل فيه كل ألوان الخطف والقتل والظلم ، والإغتصاب والإعتداء بأشكاله وألوانه .

فالعرب كانوا أذلة خاسئين ، لأنهم كانوا لا يستفيدون من خيرات الأرض وزراعتها ، ونمائها الطيب ، ولا يستطيعون أن يسيروا في ركب حضارة عصرهم ، ولم يكونوا أحسن حالاً من عرب زماننا .

[فأنقذكم الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآله)]

بعد أن أشارت الزهراء (عليها السلام) إلى الحالة المخزية التي كان عليها العرب قبل الإسلام ، ذكّرت المسلمين المستمعين إليها بأن المنقذ من هذه الحالة التي كانوا عليها هو الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، وقالت : إنه أبوها !

النور الساطع ، والضياء اللامع ، المنصور المؤيد ، المصطفى الأمجد ، أبو القاسم محمد (صلى الله عليه وآله) .

[بعد اللتيّا والتي]

هذا مثل يضرب في هذا المعنى .

أي بعد أن تحمل الرسول (صلى الله عليه وآله) في سبيل الدعوة إلى الإسلام ، ورفع راية الله تعالى في الأرض ما تحمل ، وجرى عليه ما جرى من الأذية

والإعتداء ، تعطينا الزهراء (عليها السلام) فكرةً عن الرجال الذين ابتلي بهم النبي (صلى الله عليه وآله) فتقول :

[وبعد أن مُنيَ ببُهم الرجال]

البُهم من الرجال هم الأقوياء ، ولكنهم أغبياء ، فهم أقرب إلى الحيوانية منهم إلى الإنسانية .

فهؤلاء الذين أُبتلي بهم الرسول (صلى الله عليه وآله) ، هم الذين حاربوه ، وأرادوا القضاء عليه ، وعلى دينه ، بكل ما عندهم من قوة وإرادة ، مع كثرتهم وقوتهم وشجاعتهم ، ولكن الله سبحانه نصره عليهم وأخزاهم .

[وذؤبان العرب]

الذئب هو ذاك الحيوان المفترس .

ولقد شبهتهم الزهراء (عليها السلام) بالذئاب الجشعة المفترسة ، التي ليس لها ذمام ، أو ضمير ، أو حسن جوار .

ولقد قال الله سبحانه عن هذه الفئة من الناس في كتابه المجيد : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ [1].

---

[1] الأعراف /١٧٩

[ومَرَدة أهل الكتاب]

وأيضا أُبتلي النبي (صلى الله عليه وآله) ، بالمردة والمحاربين من أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى ، الذين حاربوه وقاتلوه ، وكادوا له المكائد ، ولكنّ الله نصره عليهم ، وأيده ، وأخزاهم .

[﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ﴾ [1]]

لأن الله سبحانه ناصرٌ من نصره ﴿ **إنْ تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ [2] ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقويٌّ عزيز** ﴾ [3].

[أو نجم قرنٌ للشيطان ، أو فغرت فاغرة من المشركين]

أي كلما تحرك شيطان من شياطين الكفر ، أو كلما فتح ثعبان فاه ليسمم المجتمع الإسلامي . لأن شياطين الكفر والإلحاد ، وثعابين الشرك والعناد ، بذلوا كل ما عندهم من قوة لكي يقضوا على الإسلام ، ولكن الله تعالى أبى إلاّ أن يعلي كلمته ، ويتم نوره ﴿ **ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ [4]

---

[1] المائدة /٦٤

[2] محمد /٧

[3] الحج / ٤٠

[4] التوبة /٣٢

وكلام الزهراء (عليها السلام) جاء تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ **كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله** ﴾ المتقدم ذكرها .

[قذف أخاه في لهواتها]

أي أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان كلما عرض له عارض من هؤلاء الأعراب ، أمثال مشركي قريش ، ومَرَدة أهل الكتاب ، يقذف الصاعقة القاضية على الكفر والإلحاد : ابن عمه وخليفته عليٌّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، الذي وهب نفسه للحق وللدفاع عن راية الإسلام .

[فلا ينكفيء حتى يطأ صماخها بأخمصه]

أي إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا يتراجع حتى يطأ أُذنيّ هؤلاء الأبطال والشجعان من الأعراب برجليه ، ويذلهم بقوّته ﴿ **كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله** ﴾ بأمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

[ويخمد لهبها بسيفه]

أي يطفيء نار الحرب ، ويُفني الكفار والمشركين بقوته وسيفه (عليه السلام).

[مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في أمر الله ، قريباً من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ، مشمراً ناصحاً ، مجداً كادحاً]

أي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أجهد نفسه وأتعبهالمرضاة ا لله تعالى ، وهو القريب من رسوله (صلى ا لله عليه وآله) .

وليس القرب الجسدي فقط ، بل ما تعنيه (عليها السلام) هو القرب المعنوي ، لأنه (عليه السلام) هو نفس النبي (صلى ا لله عليه وآله) ، بنص قوله تعالى : ﴿ **وأنفسنا وأنفسكم** ﴾ من آية المباهلة [1] .

وهو (عليه السلام) سيد أولياء ا لله تعالى ، وأميرهم وقائدهم بعد رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) .

[وأنتم في رفاهية من العيش ، وادعون ، فاكهون ، آمنون]

أشارت (عليها السلام) إلى أن المسلمين كانوا في رفاهية وعيش رغيد ، لا يشعرون بالمسؤلية ، يراقبون من بعيد ، ويدعون المسلمين الخلّص يجاهدون ، ويقاتلون في سبيل إعلاء كلمة الإيمان ، فإن انتصروا ، فإنهم منهم ، وإن انكفأوا فإنهم لم يخسروا شيئاً ، وهكذا يحافظون على أنفسهم من المخاطر والتعرض للقتل .

بينما أمير المؤمنين (عليه السلام) كان البطل في كل الأوقات : في ليلة المبيت ، فدى رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) حتى هاجر من مكة إلى المدينة ، وفي وقعة بدر الكبرى ، ويوم الأحزاب وخيبر ، وهكذا بقية الحروب والغزوات .

---

[1] آل عمران / ٦١

وأولئك الصحابة يحافظون على حياتهم ، ويفرون من الزحف والقتال ، عندمايرون أن النجاة في الهرب والفرار .

ففي يوم أحد كانت المأساة من فرار المسلمين ، ويوم حنين كانت الفضيحة أكبر ، ويوم خيبر كان العار منطبعاً على جبين الفاشلين ، الذين عادوا خائبين ، ويوم الخندق كان يوم الخوف والهلع والرعب ، الذي استولى على النفوس ، وقد صور الله سبحانه الفزع الذي استولى على المسلمين بقوله تعالى : **﴿ إذْ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذْ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا ﴾** [1].

وأما إمام الأحرار ، الكرار غير الفرّار ، كما قال عنه النبي المختار (صلى الله عليه وآله) ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) فلم ينهزم من زحف قط ، ولم يهرب من حرب أبداً ، كما ورد ذلك في سيرته ، وفضائله ، وغزواته .

[تتربصون بنا الدوائر ، وتتوكفون الأخبار]

أي عندما تدور معارك طاحنة بيننا وبين المشركين والكافرين ، تنتظرون أن تأتيكم أخبار هلاكنا ، وتتوقعون أن نهزم ونغلب ، ويقضى علينا ، ولكن الله تعالى ناصر عبده وأولياءه .

---

[1] الأحزاب / ١٠/ ١٢

[وتنكصون عند النزال ، وتفرّون من القتال]

أي أن صفاتكم معنا كانت مكشوفة ، ونفاقكم كان معروفاً ، والبراهين على ذلك في المعارك التي انهزمتم فيها ، والغزوات التي كنتم أول الفارين منها ، وأعظم برهان على ذلك ، فراركم في غزوة أُحد ، وحنين ، وخيبر . وقد روى ذلك العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه النص والإجتهاد [1] .

---

[1] المورد / ٥٠ في فرار من فرّ منهم من الزحف . راجع ترى العجب العجاب .

الأصـل

فلما اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ، ومأوى أصفيائه ، ظهر فيكـم حسـكة النفاق ، وسمل جلباب الدين ، ونطق كاظم الغاوين ، ونبغ خامل الأقلّـين وهدر فنيق المبطلين ، فخطـر في عرصـاتكم ، وأطلـع الشـيطان رأسـه مـن مغرزه ، هاتفاً بكم ، فألفاكم لدعوته مستجيبين ، وللغِرة فيـه ملاحظـين ، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحمشكم فألفاكم غضاباً ، فوسمتـم غـير إبلكم ، ووردتم غير مشربكم .

هذا والعهد قريب ، والكلم رحيب ، والجرح لمـّا يندمـل ، والرسـول لمـّا يقبر ، ابتداراً خوف الفتنـة ﴿ ألا في الفتنـة سـقطوا وإن جهنـم لمحيطـة بالكافرين ﴾ .

فهيهـات منكـم ، وكيـف بكـم ؟ وأنّـى تؤفكـون ! وكتـاب الله بـين أظهركم ، أموره ظاهرة ، وأحكامه زاهـرة ، وأعلامـه بـاهرة ، وزواجـره لائحة ، وأوامره واضحة ، وقد خلّفتموه وراء ظهوركم ! .

أرغبة عنه تريـدون ، أم بغـيره تحكمـون ؟ ﴿ بئـس للظـالمين بـدلا ﴾ ، ﴿ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾

ثم لم تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نفرتهـا ، ويسـلس قيادهـا ، ثـم أخـذتم تورون وقدتها ، وتهيّجون جمرتها ، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغـويّ ، وإطفاء أنوار الدين الجليّ ، وإخماد سنن النبي الصفيّ ، تسـرّون حسـواً في

ارتغاء ، وتمشون لأهله وولده في الخَمَر والضراء ، ونصبر منكم على مثل حزّ المُدَى ، ووخز السنان في الحشا ، وأنتم الآن تزعمون : أن لا إرث لنا ، ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ أفلا تعلمون ؟ بلى ، تجلّى لكم كالشمس الضاحية إني إبنته !.

أيها المسلمون أأُغلب على إرثيه ؟! .

الشرح

حالة المسلمين بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)

بعدما أن أنهت (صلوات الله وسلامه عليها) سَرْدَ ما جرى في حياة أبيها (صلى الله عليه وآله) ، بدأت بشرح ما ظهر بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) فقالت (عليها السلام) :

[فلما اختار الله لنبيّه (صلى الله عليه وآله) دار أنبيائه ، ومأوى أصفيائه]

﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ﴾[1]

أي أن الله سبحانه ينقل أنبياءه وأولياءه من دار الدنيا إلى الدار الآخرة ، نقل رأفة ورحمة ، والكافر ينقله بقسوة ونقمة ، لأن الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر .

[ظهر فيكم حسكة النفاق ، وسمل جلباب الدين]

أي بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ظهر بالمسلمين النفاق الذي كانوا يُخفُونه طيلة حياته (صلى الله عليه وآله) ، والحسكة هي الشوكة ، والمراد بها العداوة لأهل البيت (عليهم السلام) .

---

[1] القصص/ ٦٨

وبظهور النفاق ، يندرس ويختفي رداء الدين ، الذي كان في منتهى الحسن والجمال . وقد ظهر من ذلك أنهم قد استعملوا الدين للدنيا ، ولبسوا جلود الخرفان على قلوب الذئبان .

[ونطق كاظم الغاوين]

أي نطق ، وتكلم الذي كان بالأمس يخاف الكلام ، لأنه من المنافقين ، فيخاف أن يفضحه الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ولذا كان (صلى الله عليه وآله) يهددهم بفضح أمرهم ، وليلة العقبة أكبر شاهد على ما نقول : إذ نجى ا لله تعالى رسوله (صلى الله عليه وآله) منهم بإعجوبة ، وقد كشفهم (صلى الله عليه وآله) وسمّاهم بأسمائهم لبعض أصحابه المخلصين [١] .

بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) أصبح للمنافق سوق يبيع ويشتري فيها ما يشاء .

[ونبغ خامل الأقلّين]

أي برز الساقط الخامل ، الذي لم يذكر له التاريخ فضيلة ، أو منقبة طيلة حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) [٢] .

أما بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) فلقد أصبح من النابغين الظاهرين البارزين .

---

[١] راجع إرشاد القلوب للديلمي /ص٣٣١ والميزان ج٩/ص٣٤٤

[٢] راجع دلائل الصدق للشيخ المظفر ج٣/ص٩٢ ، وفدك في التاريخ /ص٩٦ وتعرّف على بعض الصحابة الذين لم يكن لهم منقبة أو موقف شريف .

[وهدر فنيق المبطلين]

أي رفع صوته الذي لم يكن يسمع ، كما لم يكن يرى له منقبة أو ذكر .

[فخطر في عرصاتكم]

أي مشى المنافق بينكم متبختراً نشطاً ، بعد أن كان خاملاً في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ، ولا وجود له .

[وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم]

أي أن الشيطان في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان مختفياً ، هارباً خائفاً ، أمّا بعد وفاته ، فإنه قد خرج من مخبأه ، ودعا أتباعه الذين وعدهم وقال في حقهم : ﴿ لأغوينهم أجمعين إلآ عبادك منهم المخلصين ﴾[1].

ولقد قيل : إذا حضرت الملائكة هربت الشياطين ، أمّا هنا فينطبق القول: إذا غابت الملائكة حضرت ونطقت الشياطين .

وهكذا .. فالشيطان كان منادياً لكم ، وصارخاً في أنديتكم .

[فالفاكم لدعوته مستجيبين ، وللغِرّة فيه ملاحظين]

أي بعد أن ناداكم واستنهضكم ، وجدكم بانتظار دعوته ، ولتغريره وخداعه منتظرين ، ولما يريده منكم فاعلين .

---

[1] الحجر /٣٩

[ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحمشكم فألفاكم غضاباً]

أي طلب منكم النهوض لإطفاء نور الله تعالى ، فوجدكم قد نهضتم بسرعة وخفة ، ثم حمّسكم ورغّبكم من أجل فعل الشر ، وغصب حق أصحاب الحق ، فوجدكم مؤآزرين له ، مسرعين لمرضاته .

[فوسمتم غير إبلكم ، وأوردتم غير مشربكم]

أي أنكم أخطأتم في المورد ، والمشرب ، وبالقول والعمل ، ففعلتم أفعالاً ليست لكم ، ولبستم لباساً لا يحق لكم أن تلبسوه .

وهذا إشارة منها (سلام الله عليها) إلى الخلافة التي غصبوها ، والمنصب الذي زعموا أنهم أهل له ، وقد غصبوه من أصحابه الشرعيين .

[هذا والعهد قريب]

أي فعلتم كل هذه الأفعال ، وغيّرتم في الشرع والدين ، وعهد صاحب الدعوة والدين ما زال قريباً ، لمّا يمضِ على وفاته أيام ، أو ساعات ، وجسمه لمّا يدفن بعد .

[والكلم رحيب]

أي أن الجرح بوفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) واسع .

وهل هناك جرح أوسع وأعظم ، وأشد ألماً على قلوب المؤمنين من وفاة رسول رب العالمين ، وحبيب قلوب المؤمنين (صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين) .

[والجرح لمّا يندمل ، والرسول لمّا يقبر]

أي ظهرت فيكم علامات الغدر والخيانة ، والتغيير والتبديل عن سنة الرسول ، والرسول (صلى الله عليه وآله) ما زال على وجه الأرض ، لم يقبر بعد ، وجرحنا لفقده وغيابه لم يلتئم .

[ابتداراً خوف الفتنة ، ﴿ ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾]

أي أنهم ادّعوا : إن استعجالهم في اجتماع السقيفة خوف الوقوع في الفتنة .

ولكن الزهراء (عليها السلام) بيّنت أن عملهم هذا هو الفتنة بعينها .

بل هي الفتنة الكبرى ، يغصبون الحق من أهله ، ويكذبون على الناس ، ولكنهم في الفتنة سقطوا ، وأيّدت (سلام الله عليها) كلامها بقوله تعالى : **﴿ ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾** [١] .

نعم من يغصب الحق من أهله ، ويتجرأ على حرمة الإسلام ، وكرامة نبي الإسلام ، وآله الكرام ، فهو من أهل هذه الآية التي ذكرتها فاطمة الزهراء (عليها السلام) .

[فهيهات منكم ، وكيف بكم ، وأنّى تؤفكون]

---

[١] التوبة /٤٩

يحق للزهراء (عليها السلام) أن تتعجب من هؤلاء القـوم ، الذيـن سـارعوا إلى اغتصاب الخلافة لئلا تكون هناك فتنة ! .

وهل من عاداتهم أن يحافظوا على عدم حصول فتنة ؟.

وتتعجب أيضا من هؤلاء الناس الذين لم يكن لهم ذكر أو منقبة أو موقف كيف انخدعت بهـم الأمـة ، وصدّقـت هـذه المزاعـم الكاذبـة ، والإدعـاءات الباطلة !.

[وكتاب ا لله بين أظهركم]

أي لو لم يكن لهم دليل ، لكانوا أمـام ا لله تعـالى مـن المعذوريـن ، ولكـن كتاب ا لله تعالى بينهم ، يتلونه آناء الليل ، وأطراف النهار .

[أموره ظاهرة ، وأحكامه زاهرة ، وأعلامه باهرة]

أي أن القرآن نزل باللغة العربية ، ولغته واضحة لكـل عربـي ، وأحكامـه مشرقة ومضيئة لكل من يفكر بها .

والعلامات التي يُستدل بها علـى عظمـة القـرآن منـيرة متلألئـة ، شـعاعها يخطف الأبصار .

[وزواجره لائحة ، وأوامره واضحة]

أي أن القرآن الكريم فيه زواجر ، وأوامر .

فزواجره ونواهيه عن اتباع الهوى ، وإطاعة النفس الأمّارة بالسوء ، واضحة بيّنة ، وأوامره بطاعة الله سبحانه وطاعتنا ، وأخذ أحكام الدين منّا ، ليست بحاجة إلى دليل أو برهان .

[وقد خلّفتموه وراء ظهوركم]

بعد أن ذكرت (سلام الله عليها) القرآن ، وأن دلائله وأحكامه واضحة بيّنة ، تتأسف من تركهم له ، ونبذهم إيّاه ، وجعله وراء ظهورهم .

[أرغبةً عنه تريدون ؟ أم بغيره تحكمون ؟ ﴿ بئس للظالمين بدلاً ﴾]

أي أن الزهراء (عليها السلام) تستفهم منهم استفهاماً توبيخيّاً ! وتسألهم : لماذا أعرضوا عن القرآن وأحكامه ؟ وهل رغبوا غيره لأنه أفضل منه ؟ أم استبدلوه بغيره من القوانين التي شرعها الإنسان ؟ فبئس ما استبدلوا به ، وأنهم ظالمون لأنفسهم ولغيرهم من الأجيال القادمة .

وقد اقتبست (سلام الله عليها) الشطر الأخير ، من قول الله تعالى في وصف إبليس وأتباعه : **﴿ وإذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ﴾** [1] .

وجاءتهم بدليل آخر من القرآن الكريم فقالت :

---

[1] الكهف / ٥٠

[﴿ ومن يبتغِ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾] (٢)

وهذا ما حصل بالفعل فقد غيّروا وبدلوا في كثير من الإحكام ، وجاؤا بأحكام مطابقة لما كان سائداً في الجاهلية .

ومن أراد الأدلة على ذلك فليراجع كتاب النص والإجتهاد للمقدس السيد عبد الحسين شرف الدين (ره)

[ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها ، ويسلس قيادها]

أي أنها (سلام الله عليها) شبّهت الخلافة بالناقة النافرة ، التي لا يستطيع أحد ركوبها ، وأن الخلافة سرعان ما تنقاد لكم ، وتهدأ الإضطرابات المضادة لكم ، وتحكمون الناس بما تريدون ، وتطبقون القانون الذي تحبون .

[ثم أخذتم تورون وقدتها ، وتهيجون جمرتها]

أي أن الزهراء (عليها السلام) تشير إلى ما سيجري عليها من الآلام والمحن ، أو ما سيجري على أبنائها وذريتها من بعدها من القتل والأسر والسبي والتشريد وأنهم سيثيرون الفتن ضد أهل البيت (عليهم السلام) كما يُنفخ في الجمرة حتى تلتهب .

---

(٢) آل عمران/٨٥

[وتستجيبون هتاف الشيطان الغويّ]

أي أن الشيطان هو الذي يوسوس في صدور أتباعه من النـاس ويغويهـم ، ويبعدهم عن الصراط السويّ ، ومن ثـمّ يتبرأ منهم ، كما قال سبحانه عنه : ﴿ **ما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي** ﴾ [1] وقـال سبحانه أيضاً ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قـال إنـي بريء منك إني أخاف ا لله رب العالمين** ﴾ [2] .

نعم : إن المسلمين بعد وفـاة النبي (صلى الله عليه وآله) قـد دعـاهم الشـيطان فاستجابوا له ، وتركوا دينهم ورسالتهم ، وارتدوا علـى أدبـارهم كـافرين ، ضالين مضلين ، إلاّ الصفوة منهم .

[وإطفاء أنوار الدين الجليّ ، وإخماد سنن النبيّ الصفيّ]

أي أنكـم اتبعتـم الشـيطان الغـوي بفعلكـم هـذا ، وأطفـأتم أنـوار الديـن الواضحة البيّنة ، وقضيتم على صـراط ا لله المسـتقيم ، وأخمـدتم سـنة رسـول رب العالمين (صلى الله عليه وآله) ، الذي كان لا ﴿ **ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحي يوحى** ﴾ [3] وكانت سنته صافية ، لا غبار عليها .

ومـع هـذا تظهـرون أنكـم تريـدون الإصـلاح ، والقضـاء علـى الفتنـة ، ولكنكم أوقعتم الأمة في فتنة لا نهاية لها .

---

(١) إبراهيم /٢٢

(٢) الحشر / ١٦

(٣) النجم /٣/٤

[تسرون حسواً في ارتغاء]

هذا مثل يضرب لمن يتظاهر بأنه يشرب رغوة الحليب ، وهو بالواقع يشرب الحليب ، وغرض الزهراء (عليها السلام) بضرب هذا المثل أن تقول للمسلمين : إنكم تظاهرتم بأنكم تريدون الحفاظ على الدين ، والقضاء على الفتنة ، ولكن الحقيقة والواقع هو أنكم لا تريدون إلا الحكم والسلطة ، وسد باب آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) ، وإطفاء نور الرسالة المبين ، يقول سبحانه : ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ [1] .

[وتمشون لأهله وولده في الخَمَر والضراء]

الخمر : بفتح الخاء والميم ، هو ما يستترك من الشجر وغيره .

والضراء : هو الشجر الملتف أو الأرض المنخفضة .

وما تريد الزهراء (عليها السلام) قوله : إنها تحاول أن تكشف الذين خدعوا أنفسهم وغيرهم من ضعفاء النفوس ، وعبيد الدنيا ، بأنهم ، حفاظاً على الدين وخوفاً على الإسلام ، سارعوا واختاروا خليفة لهم .

إن ما فعلوه كان مناقضاً ومغايراً لأقوالهم .

---

(١) التوبة /٣٢

فهاهم يظهرون عن خبث نياتهم ، وسوء أفعالهم ، فيمنعون أهل البيت إرثهم وحقوقهم التي فرضها الله ورسوله لهم ، ويستنّون الإعتداء عليهم ، بل وقتلهم وتشريدهم في البلاد .

ولكن الله سبحانه يأبى إلا أن يرفع راية الحق ، في كل زمان ومكان .

وهذه راية أهل البيت (عليهم السلام) ترفرف في كل بقاع الأرض ، وهاهم الموالون لأهل البيت (عليهم السلام) ينتشرون في أقطار الدنيا .

[ونصبر منكم على مثل حز المُدَى ، ووخز السنان في الحشا]

كم كانت معاناة الزهراء (عليها السلام) مؤلمة ، وحزنها شديدا .

وهل يمكن لأيّ إنسان أن يصبر على مثل تقطيع الجسم بالسكاكين ، أو على مثل وخز الأمعاء بالسيوف والنبال ؟

وهكذا كان الصبر عند أهل البيت (عليهم السلام) إيماناً واحتساباً ، من أجل بقاء الدين ، وحفاظاً على شريعة سيد المرسلين ، (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) .

[وأنتم الآن تزعمون : أن لا إرث لنا]

أي لكي تبرروا جريمتكم الكبرى , وهي غصْب الخلافة ، تزعمون وتدّعون إفتراءً وكذباً وزوراً ، أن لا إرث لنا ، وهذه مسألة قد أوضحها القرآن الكريم بأعظم بيان ، وشرحها نبي الإسلام بأفصح لسان .

[﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من ا لله حكماً لقومٍ يوقنون﴾][1]

أرادت (سلام ا لله عليها) أن تثبت لمن خاصمها وغصب حقها أنه لا يوجد في الوجود سوى حكمين : حكم سماوي إلهي ، وحكم جاهلي عدواني .

فالذي لا يريد حكم ا لله تعالى ، أو لا يسير على طريق ا لله تعالى ونظامه في الأرض ، فهو سائر لا محالة على طريق الشياطين ، والمشركين الجاهليين .

وقد جاءت (عليها السلام) بهذه الآية من سورة المائدة لتُذكّرهم ، لعلهم يتذكرون ، وفي التذكير آيات للموقنين .

[أفلا تعلمون ؟ بلى تجلى لكم كالشمس الضاحية إنّي إبنته]

هل يعقل أن أحداً من المسلمين لا يعرف من هي فاطمة الزهراء (عليها السلام) ؟ وإبنة من ؟ .

نعم : إنهم يعلمون ذلك ، وضوح الشمس في وسط النهار ، ولكن الشيطان أغواهم ، فأنساهم ذكر ا لله ، ففعلوا ما فعلوا .

فالزهراء (عليها السلام) تستنكر ، وتشدد اللّوم بأنهم يعرفونها ، ويعرفون أن لغضبها يغضب ا لله تعالى ورسوله ، ولرضاها يرضى ا لله ورسوله (صلى ا لله عليه وآله) ومع هذا أصرّوا على عنادهم .

---

[1] المائدة / ٥٠

[أيها المسلمون ! أأُغلبُ على إرثيه ؟]

الهاء للوقف والتسكين ، والأصل - إرثي - .

أي أن الزهراء (عليها السلام) التفتت إلى المسلمين معاتبة ومؤنبة ، ومستفهمة ومستنكرة .

لماذا تسلب إرثها ؟ ولا تأخذ منه شيئاً ، وهي صاحبة الحق ! .

الأصـل

يابن أبي قحافة ! أفي كتاب ا لله أن ترث أباك ولا أرث أبي ؟ .

لقد جئت شيئاً فريّاً !! أفعلى عمدٍ تركتـم كتـاب ا لله ، ونبذتمـوه وراء ظهوركم ؟ إذْ يقول : ﴿ وورث سليمان داوود ﴾ ، وقال : فيمـا اقتـصّ من خبر يحي بن زكريا إذْ قال : ﴿ فهب لي من لدنك وليـّاً يرثـني ويـرث من آل يعقوب ﴾ ، وقال: ﴿ وأُلوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتـاب ا لله ﴾ ، وقال : ﴿ يوصيكم ا لله في أولادكم للذكر مثل حظ الإنثيـين ﴾ وقال : ﴿ إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربـين بـالمعروف حقـاً علـى المتقين ﴾ .

وزعمتـم : أن لا حظـوة لي ولا إرث مـن أبـي ، ولا رحـم بيننـا ، أفخصّكم ا لله بآيةٍ أخرج أبي منها ؟ .

أم هل تقولون : إنّ أهل ملتين لا يتوارثان ؟ .

أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة ؟ .

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟ ! .

فدونكها مخطومة مرحولـة ، تلقـاك يـوم حشـرك ، فنعـم الحكـم ا لله ، والزعيم محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون .

ولا ينفعكم إذ تندمـون ، ﴿ ولكـل نبـأ مسـتقر وسـوف تعلمـون ﴾ ، ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ .

الشرح

الزهراء (عليها السلام) تأتي بأدلتها

ومن ثم التفتت فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى الرئيس والزعيم ، الذي جلس مجلساً لا يحق له الجلوس فيه ، وليس هو بأهل له ، وقالت له :

[يابن أبي قحافة]

بدأت الصديقة الطاهرة (عليها السلام) بتوجيه الخطاب إلى الرئيس بإسم والده فلماذا لم تخاطبه : بياخليفة رسول الله ؟ ! .جوابنا على ذلك

أولاً : إن الزهراء (عليها السلام) لا تعتقد بأنه خليفة رسول الله ، لأنه (صلى الله عليه وآله) لم يستخلفه .

وثانياً : لِمَ لم تخاطبه بالكنية ؟ كأن تقول : - يا أبا بكر - لأن الخطاب بالكنية للتعظيم ، وهي لم تكن في موقف تعظيم ومدح ، بل هي في موقف معارضة ، وفضح للمؤآمرة .

وثالثاً : إن خطابها له بابن أبي قحافة ، هو للطعن به وبوالده ، لأن أبا قحافة لم يكن ذاك الرجل الوجيه ، المعتبر في المجتمع العربي الجاهلي . فقد

كان خادماً ينقل الطعام من المطبخ إلى مضيف عبد ا لله بن جذعان في الطائف ، وكان منادياً إلى مائدته [١] .

فمخاطبتها (عليها السلام) له بهذا الشكل هو تعريض به وبأبيه .

روى في العقد الفريد ، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ، قالا : إن أبا سفيان صخر بن حرب كان غائباً عندما توفي النبي (صلى الله عليه وآله) ، وفي طريق عودته لقي رجلاً مقبلاً من المدينة .

قال له : مات محمد ؟ قال : نعم.

قال : فمن قام مقامه ؟ قال : أبو بكر .

قال أبو سفيان : فماذا فعل المستضعفان عليّ والعباس ؟ قال : جالسين .

قال : أما وا لله لئن بقيت لهما لأرفعن من أعقابهما ثم قال : إني أرى غبرة لا يطفيها إلا دم .

فلما قدم المدينة جعل يطوف في أزقتها ويقول :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيّما تيم بن مرة[٢] أو عدي[٣]

فما الأمر إلا فيكم وإليكم ولس لها إلا أبو حسن علي[٤]

ونقل في كتاب دلائل الصدق ، عن كتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري برواية إبن أبي الحديد ، قال : عندما رجع أبو سفيان من سفره ، وعلم أنه

---

[١] فاطمةالزهراء من المهد إلى اللحد /ص٥١٥

[٢] الجد الأعلى لأبي بكر

[٣] الجد الأعلى لعمر بن الخطاب

[٤] عبد ا لله بن سبأ /ص١١٨

قد مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قال ومن ولي بعده ؟ قيل له : أبو بكر قال : أبو فصيل ؟ قالوا : نعم .

إلى أن قال : فكلم عمر أبابكر فقال : إن أبا سفيان قد قدم ، وإنّا لا نأمن شره ، فدفع له ما في يده ، فتركه فرضي [1] .

وروى في تاريخ الطبري : إن أبا سفيان ، بعد رجوعه من سفره ، قال لعلي - (عليه السلام) - : ما بال هذا الأمر - أي الخلافة - في أقل حي من قريش ، والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً ...

وفي رواية أخرى قال أبو سفيان : ما لنا ولأبي فصيل إنما هي بنو عبد مناف ، قال : فقيل له : إنه قد ولّى ابنك - أي جعله والياً على بعض المناطق - قال : وصلته رحم [2].

إذن أبو بكر لم يكن له ذاك التاريخ العريق ، بل كان محل سخرية وهزء من أبي سفيان بقوله : أبي فصيل ، ولهذا تركوا له الأموال التي كانت في يده ، وجعلوا ابنه والياً لكي يسكتوه ، فكانوا معه كرماء ، إلى أقصى درجات الكرم .

أمّا فاطمة الزهراء (عليها السلام) : فقد حرموها من كل شيء ، حتى من الحياة !.

فبعد ان نادته (سلام الله عليها) بهذا النداء الذي كله احتقار واستصغار ، قالت :

---

(1) دلائل الصدق ج٣/ص٥٢

(2) تاريخ الطبري ج٣ /ص٢٠٢ ، وفدك في التاريخ /ص٦٧

[أفي كتاب ا لله أن ترثَ أباك ولا أرثُ أبي ؟ لقد جئت شيئاً فريّاً!!]

بدأت الزهراء (عليها السلام) بهجومها على الطاغي الباغي الغاصب ، وألقت عليه أول حجة لها بإستفهام إستنكاري . فهل يعقل أن كل إنسان يرث أباه إلا فاطمة (عليها السلام) ؟ لقد جئت – ياأبا بكر–فعلاً منكراً ، وأمراً قبيحاً ، وبدعة بالدين جديدة ، حيث تؤول القرآن وتفسره على هواك !!.

[أفعلى عمد تركتم كتاب ا لله ؟ ونبذتموه وراء ظهوركم]

أخذت تستغرب وتستنكر عليهم تركهم كتاب ا لله الذي سيسألون عن أحكامه يوم القيامة .

لماذا تركوه ونبذوه وراء ظهورهم ، لعلها توقظ ما بقي عندهم من ضمير أو إيمان أو دين ، إن كان بقي عندهم شيء !.

وجاءتهم بحجج من كتاب ا لله تعالى . وهل هناك حجة أقوى من كتاب ا لله تعالى لقوم يؤمنون ؟ .

[إذْ يقول : ﴿ وورث سليمان داوود ﴾] [1]

إن داوود وسليمان (عليهما السلام) كانا نبيّين ، بصريح القرآن الكريم ، وقد ورث سليمان من أبيه المال ، وليس النبوّة والعلم كما ادعى البعض ، لأنه كان نبيّاً في حياة أبيه داوود [2].

---

[1] النمل /١٦

[2] دلائل الصدق ج٣/ ص٦١

وقال الزمخشري في تفسير الكشاف : وروي أن سليمان (عليه السلام) غزا أهل دمشق ونصيبين ، فأصاب ألف فرس ، وقيل : ورثها من أبيه ، وأصابها أبوه من العمالقة [١] . وكذلك قال البيضاوي [٢] .

[وقال فيما اقتص من خبر يحي بن زكريا ، إذْ قال : ﴿ فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾]

وجاءت (سلام الله عليها) ببرهان ثان من كتاب الله عز وجل : وهو أن الأنبياء يَرثون ويُورّثون ، رداً على الذي ترأس المسلمين ، وادعى أن الأنبياء لا يُورثون .

فالآية الأُولى ، أثبتت بالمطلق أن نبي الله سليمان (عليه السلام) ورث من أبيه المال .

وهذه الآية تستدل (سلام الله عليها) بها على أن زكريا (عليه السلام) خاف من الموالي –والموالي هم أبناء العم والأقارب –

قال في الكشاف : إن الموالي كانوا أشرار بني إسرائيل [٣] .

فهل يعقل أن زكريا خاف من أشرار بني إسرائيل أن يرثوا النبوّة والعلم من بعده فطلب من الله تعالى أن يرزقه غلاماً لذلك الإرث ؟!.

---

[١] الكشاف ج٤/ص٩١

[٢] فاطمة من المهد إلى اللحد /ص٤٥٤

[٣] دلائل الصدق ج٣/ ص٦٣

بل الحق والحقيقة أنه خاف على الأموال من بعـده ، فسـأل ا لله تعـالى أن يرزقه غلاماً يرثه ، ويـرث أل يعقـوب ، وذلـك معـروف مـن مذهـب أهـل البيت (عليهم السلام) وهذا بإجماع علمائهم ، وحتى أغلب مفسري أهـل السـنة على ذلك .

قال الفخر الرازي في تفسيره - بعد أن ذكـر الإختـلاف علـى أقـوال - قال : أحدها أن المراد بالميراث بالموضعين -أي بالآيتين - هـو وراثـة المـال ، وهذا قول : إبن عباس والحسن والضحاك .

أو يرث المال والنبوّة : عن السديّ ، ومجاهد ، والشعبي [1]

فالزهراء (عليها السلام) جاءت بشطر من الآية ، ولنذكر الآية من أولها ، قـال سبحانه : ﴿ **قال ربي إنّي وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ... * وإنّي خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي مـن لدنـك ولياً * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضيّا** ﴾ [2] .

بهذه الآيات احتجت فاطمة الزهراء (عليها السـلام) : إن زكريـا خـاف علـى ماله أن يرثه أبناء عمومتـه الأشـرار الأشـقياء ، ولم يكـن خوفـه علـى العلـم والنبوّة ، كما زعم الذين أعماهم التعصب ، وغرتهم الحياة الدنيا ، وغرهـم با لله الغرور ، ﴿ **فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيـاة الدنيـا ويوم القيامة يُردّون إلى أشد العذاب وما ا لله بغافل عمّا تعملون** ﴾ [3] .

---

[1] دلائل الصدق ج٣/ ص٦٢

[2] مريم /٤/٦

[3] البقرة /٨٥

[وقال : ﴿ وأُلوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب ا لله ﴾ [١]
وقال : ﴿ يوصيكم ا لله في أولادكم للذكر مثل حظ الأُنثيين ﴾ [٢]
وقال : ﴿ إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين ﴾] [٣] .

هذه الآيات الثلاثة : إنما تذكر التوارث مطلقاً عند عموم الناس ، الأنبياء وغيرهم ، وهذا ما احتجّت به الزهراء (عليها السلام) ، وهي أعظم حجّة لو كانوا يفقهون ، أو على الوفاء بعهد ا لله عازمين .

جاءتهم بآيات عن توارث الأنبياء خاصة ، وعن توارث عموم الناس .

فهل رجعوا عن غيهم وظلمهم ؟ وهل ارتدعوا عن غصْب حق أصحاب الحق ؟ ﴿ بئس للظالمين بدلا ﴾ .

[وزعمتم أن لا حظوة لي ، ولا إرث من أبي ، ولا رحم بيننا]

أي أنكم ادّعيتم ، وأنتم تعلمون أن ما قلتموه كذباً وزوراً ، أن لا قرابة بيني وبين أبي ، ولا منزلة لي عنده ، بحيث يخصكم بالحديث الذي منعتموني الارث من خلاله ، ولا يخبرني بذلك !.

لقد جئتم بكثير من الإفتراءات والآكاذيب .

---

[١] الأنفال /٧٥

[٢] النساء/١١

[٣] البقرة/١٨٠

[أفخصّكم ا لله بآية أخرج أبي منها]

أي هل أن ا لله خَصّكم ، وأنزل عليكم آية من كتابه المجيد تتحدّث عن الميراث ، وأخرج أبي منها ؟ .

أم أن آيات الميراث ليست عامة تشمل جميع الناس ؟ .

أم أن أبي ترك ذرية غيري ، وهم أقرب مني إليه رحماً ؟ .

[أم هل تقولون : إنّ أهل ملتين لا يتوارثان ؟]

أي أن الزهراء (عليها السلام) تحتج عليهم بموانع الإرث .

ومن موانع الإرث : أن يكون كل من الوارث والموروث على ملة ودين مختلف .

فقالت (عليها السلام) : فهل تقولون : وتصل بكم الجرأة أن تتهموني وأبي أنّ كلّ واحد منّا على دين يخالف به دين الآخر ؟ حتى لا نتوارث !

[أولستُ أنا وأبي من أهل ملةٍ واحدةٍ ؟]

يا لجور الزمان ! لقد آلت الأمور إلى أن بضعة الرسول (صلى ا لله عليه وآله) ، وسيدة نساء العالمين ، من الأولين والآخرين ، تصل إلى هذا المستوى من الاستنكار والاحتجاج على القوم .

إنها تثبت لهم أنها (سلام ا لله عليها) ، وأبيها (صلى ا لله عليه وآله) من ملة واحدة ، ودين واحد .

[أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟ !]

وتزيد الزهراء (عليها السلام) من استنكارها وتعجبها ، من فعل هؤلاء القوم ، الذين غصبوا الخلافة ، وادعوا منصباً ليسوا بأهل له .

هذا المنصب بحاجة إلى عالم بكل علوم القرآن الكريم ، عامه وخاصه ، مطلقه ومقيده ، مجمله ومبينه ، محكمه ومتشابهه ...

أوضحت الزهراء (عليها السلام) أن الحاكم الإسلامي يجب أن يكون أشجع الناس ، وأورع وأتقى ، وأعلم الناس .

وهذه الصفاة المحمودة لا تجتمع إلاّ في رسول ربّ العالمين ، وفي وليّه وخليفته ، وحِصن الإسلام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) .

[فدونكها مخطومة مرحولة ، تلقاك يوم حشرك]

أي خذها إليك جاهزة مهيأة ، وهي إشارة إلى فدك ، وربما كانت الإشارة إلى الخلافة والإمارة ، وشبهتها بالناقة المسرجة الجاهزة للسفر .

فالخطم : هو الزمام الذي تقاد به الناقة .

والرحل : مثل السرج للفرس يوضع على ظهر الناقة للسفر والترحال .

وفي كلام الزهراء (عليها السلام) التهديد للمخاطب - وهو خصوص أبو بكر لأنه الغاصب والمعتدي - لما سيؤول إليه أمره يوم القيامة .

يقال للمعتدي : إفعل ما شئت ، فسوف ترى عاقبة أمرك عن قريب ، وسيلقى كل امريء نتيجة عمله يوم القيامة .﴿ **ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا** ﴾ [1]

[فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعد القيامة]

ما أبلغ هذا الكلام ، وماأعظم هذا الوعيد ، لقوم يعقلون .

تصوير رائع ، ومشهد مهيب ليوم القيامة : الحاكم هو الله سبحانه وتعالى ، نستجير بالله من غضب الله عز وجل ، والزعيم والقائد والمسؤول الأول هو نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) ، له المقام المحمود ، الذي يحمده ويغبطه عليه كل أهل المحشر ، وله الشفاعة الكبرى ، والمكانة العظمى يوم القيامة .

وكفى بهذا اليوم عزاً وعظمةً للمحقين ، وذلاً وعاراً للظالمين .

عندها سيقف الجميع بين يدي الخالق العادل ، الذي سيأخذ للمظلوم حقه من الظالم .

[وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم إذْ تندمون]

نعم كفى بيوم القيامة خسارة كبرى لأصحاب الباطل ، الذين استهانوا بالله تعالى ، وبرسوله ، ولم يطبقوا قانونه ، بل اعتدوا على أوليائه ، وفتكوا وشردوا ، وغصبوا وظلموا ...

---

[1] الكهف /٤٩

فلهم موعد لا يعدونه ، ولهم ساعة بها يندمون ، ولكن هل ينفعهم النـدم في ذلك الحين ؟ ! .

لأن مجال التوبة والندم في الدنيا ، وأمّا في الآخرة فلا ينفع الندم ، ولا ينفع التأسف ، وسيخسر الذين أبطلوا حدود الله تعالى .

فالزهراء (سلام الله عليها) أدمجت كلام الله تعالى في كلامها .

فخسارة المبطلين : أخذتها من قوله تعالى : ﴿ **فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون** ﴾ [1] .

وأخذت (عليها السلام) عدم منفعة الندم للنادمين من قوله تعالى : ﴿ **ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لمّا رأوا العذاب وقُضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون** ﴾ [2].

وقوله سبحانه في آية أخرى :﴿ **وأسروا الندامة لمّا رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون** ﴾[3] .

فالزهراء (عليها السلام) ألقت عليهم أعظم حجة ، وأبلغ نصيحة ، ولم تترك لهم أي اعتذار أو تبرير لأعمالهم الشنيعة .

[﴿ ولكل نبأ مستقر فسوف تعلمون ﴾ ، ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ﴾]

---

(1) غافر /٧٨

(2) يونس /٥٤

(3) سبأ /٣٣

ما زالت الزهراء (عليها السلام) تهدد الغاصب ، وتأتي بآيات من كتاب الله المجيد ، وتذكّره ، علّه يرتدع ويعود عن غيّه ، ويتوب إلى الله تعالى ، ويُرجع الحق إلى أهله ، فجاءته بآيتين في آخر هذا الفصل ، قبل أن توجه خطابها إلى الأنصار ؛ الأُولى : قوله تعالى: ﴿ **لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون** ﴾ [1] .

أي لكل خبر ونبأ مكان مستقر فيه ، وسوف نرد عليه ، ونحاسب .فإذا كان خيراً ، فلنا فيه الخير ، وإذا كان شراً فلنا فيه الشر .

الثانية : قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم** ﴾ [2] .

نعوذ بالله من غضبُ الله تعالى وعذابه الدائم ، ونستجير به عز وجل من ذاك العذاب المخزي ، الذي لا شرف فيه ، ولا كرامة .

أي عاقل يسمع هذا الكلام ، ويفكر في مغزاه ، وما يرمي إليه كلام الله سبحانه ، ومن ثمّ يظلم أو يعتدي على أحدٍ بعده .

---

(١) الأنعام /٦٧

(٢) الزمر/٤٠

الأصـل

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت :

يامعشر النقيبة ، وأعضاد الملة ، وحضنة الإسلام .

ما هذه الغميزة في حقـي ، والسِّنة في ظلامـتي ؟ أما كـان رسـول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) أبي يقول : (المرء يحفظ في وُلده) ؟ سرعان ما أحدثتـم ، وعجلان ذا إهالة ، ولكم طاقة بماأحاول ، وقوّة علـى مـاأطلب وأزاول ، أتقولون مات محمد (صلى ا لله عليه وآله) ؟ فخطـب جليـل : استوسـع وهنـه ، واستنهر فتقه ، وانفتق رتقه ، وأظلمت الأرض لغيبته ، وكُسفت النجـوم لمصيبته ، وأكدت الآمال ، وخشعت الجبال ، وأُضيـع الحريـم ، وأُزيلـت الحرمة عند مماته .

فتلك وا لله النازلة الكبرى ، والمصيبـة العظمـى ، لا مثلهـا نازلـة ، ولا بائقة عاجلة ، أعلن بها كتاب ا لله جل ثناؤه ، في أفنيتكـم ، وفي ممسـاكم ومصبحكم ، يهتف في أفنيتكم ، هتافاً وصراخاً ، وتلاوةً وألحاناً ، ولَقبلَـه ما حل بأنبياء ا لله ورسله ، حكم فصـل وقضـاء حتـم : ﴿ ومـا محمـد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أنقلبتـم علـى أعقـابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر ا لله شيئاً وسيجزي ا لله الشاكرين ﴾ .

إيهاً بني قيلة ! أأهضم تراث أبي ؟ وأنتم بمرأى منّي ومسمع ، ومنتدى ومجمع ، تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة ، وأنتم ذوو العدد والعُدَّة ، والأداة والقوّة ، وعندكم السلاح والجُنّة .

توافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون ، وأنتم موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصلاح ، والنخبة التي أُنتخبت ، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت .

قاتلتم العرب ، وتحمّلتم الكدّ والتعب ، وناطحتم الأمم ، وكافحتم البُهم ، لا نبرح أو تبرحون ، نأمركم فتأتمرون ، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام ، ودرّ حلب الأيام ، وخضعت ثغرة الشرك ، وسكنت فورة الإفك ، وخمدت نيران الكفر ، وهدأت دعوة الهرج ، واستوسق نظام الدين ، فانّى حِرتم بعد البيان ، وأسررتم بعد الإعلان ؟.

بؤساً لقوم ﴿ نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وهمّوا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرّة أتخشونهم فا لله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾.

ألا : وقد أرى أن أخلدتم إلى الخفض ، وأبعدتم من هو أحقُّ بالبسط والقبض ، وخلوتم بالدعة ، ونجوتم من الضيق بالسعة ، فمججتم ما وعيتم ، ودسعتم الذي تسوغتم ، فـ ﴿ إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن ا لله لغني حميد ﴾ .

ألا : وقد قلت ما قلت هذا ، على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم ، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ، ولكنها فيضة النفس ، ونفثة الغيظ ،

وخَوَر القناة ، وبثة الصدر ، وتقدمة الحجة ، فدونكموها ، فاحتقبوها دَبِرَة الظهر ، نَقِبَة الخُف ، باقية العار ، موسومة بغضب الجبار ، وشنار الأبد ، موصولة بـ ﴿ نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة ﴾ فبعين الله ما تفعلون ، ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون ﴾ وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فاعملوا إنّا عاملون ، وانتظروا إنّا منتظرون .

الشرح

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت :

[يا معشر النقيبة ، وأعضاد الملة ، وحضنة الإسلام]

بعد أن أنهت (سلام الله عليها) الكلام الذي أرادت أن تذكّر به الرئيس الغاصب وقد وجهت له بعض العبارات اللاذعة ، المرشدة لعلها توقظه من غفلة حب الدنيا – الذي هو رأس كل خطيئة – ، ومن سكرة حب المنصب الذي وصل إليه بالطرق الشيطانية ، بعد هذا ، أرادت أن تذكّر الأنصار ، الذين حضنوا الإسلام ، ونبي الإسلام ، فقالت : يامعشر النقيبة ! أي أيتها الطائفة النجيبة ، ياأصحاب الفتوّة والشهامة .

نسبت إليهم ذلك لأنها تريد أن تهيج عزائمهم وعواطفهم . فوصفتهم بأنهم أعوان الدين ، الذين ساعدوا على إعلاء كلمته في المدينة ، وحضنوا الإسلام والمسلمين ، فكان لهم الفضل في بزوغ شمس الهداية ، وفي انتقالهم من مرحلة الهروب من مكة إلى مرحلة المواجهة في المدينة .

[ما هذه الغميزة في حقي ، والسِّنَة في ظلامتي ؟]

بعد أن مدحتهم (سلام الله عليها) ، أخذت بعتابهم ، وإلقاء اللّوم عليهم ، وتستنكر التغافل ، والتقصير في أخذ الحق ممن ظلمها ، والسكوت عن أخذ حقها وردّ إرثها المشروع .

والغميزة : هي التغافل والسكوت عن إعطاء الحق .

والسِّنة : بكسر السين ، هو الفتور في أول النوم .

والظلامة : هو ما يأخذه الظالم منك ، وأنت تطالب به .

وغرض الزهراء (عليها السلام) أن تقول لهم : هل أنتم غافلون ، أم متغافلون عن ظلامتي ، فلا تنصفوني ممن ظلمني ؟ ! .

[أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبي يقول : المرء يحفظ في ولده ؟!]

أي أن كرامة الإنسان تحفظ في كرامة أولاده ، وحفظ حقوقهم .

بُؤساً لتلك الأيام التي أحوجت الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين ، أن تطالب أُولئك الأعراب ، بأن يحفظوها ، ويراعوا كرامتها ، وقربها من أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

[سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ذا إهالة]

أي تتعجب (سلام الله عليها) من سرعتهم في التغيير والتبديل في سُنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وفي الإفتراء عليه في الأقوال .

وعجلان ذا إهالة : هذا مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل حدوثه .

والمعنى : إنكم دبرتم الإمور ضدنا بكل استعجال ، وبكل سرعة .

[ولكم طاقة بما أحاول ، وقوّة على ما أطلب وأزاول]

أي أنكم باستطاعتكم مساعدتي ، وإنصافي ، وعندكم المقدرة على إرجاع ظلامتي ممن ظلمني .

[أتقولون : مات محمد (صلى الله عليه وآله) ؟]

أي أن الزهراء تستفهم وتستنكر عليهم أنهم يقولون : مات محمد (صلى الله عليه وآله) ، يعني : مات دينه وتراثه بموته ؟!!.

وهذا ما جعلكم تتجرؤون علينا أهل البيت ، وتظلموننا وتغصبون حقنا !

[فخطب جليل ، استوسع وهنه ، واستنهر فتقه ، وانفتق رتقه]

بلى : وأيُّ مصيبة أعظم من مصيبة فقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

هذه المصيبة هي كالحصن الذي تشقق ، واتسعت الشقوق فيه ، أو كالطعنة التي أحدثت جرحاً والجرح مازال يَدمي ، أو كالشق الذي كان ملتئماً ، ومن ثم انشق ثانية ، وهذه الصفات تعود إلى الخطب الجلل ، والمصيبة بفقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

[وأظلمت الأرض لغيبته ، وكسفت النجوم لمصيبته]

أي عند غيابه أظلمت الدنيا بعد أن كانت منيرة بطلعته البهية ، ومشرقة بأنواره القدسية ، وبغيابه غاب عن الأرض وحي السماء بواسطة الأمين جبرائيل (عليه السلام) .

[وأكدت الآمال ، وخشعت الجبال]

أي بوفاته (صلى الله عليه وآله) ، انقطعت الآمال ، وخابت الظنون ، وخشعت وتناثرت الجبال مع عظمتها من هول فقده وغيابه (صلى الله عليه وآله) ، وهو من قوله تعالى : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله** ﴾ [١] .

[وأُضيع الحريم ، وأُزيلت الحرمة عند مماته (صلى الله عليه وآله)]

حريم الرجل هم أهله وعائلته .

وقد أشارت (سلام الله عليها) بأنه بعد وفاة أبيها ، أُضيعت حريمه ، وأعتدى على أهل بيته (عليهم السلام) بالضرب والقتل والتشريد .

ولم يبقَ لهم أي أحترام في نفوس المسلمين ، بحيث أن أي أعرابي لا يفقه من الدين شيئاً ، له اعتبار واحترام أكثر من أهل البيت (عليهم السلام) .

[فتلك والله النازلة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، لامثلها نازلة ، ولا بائقة عاجلة]

وأي داهية كبرى !.

وهل من مصيبة أعظم من تغيير مجرى الدين ، وسيرة الرسالة ، التي ضحى من أجلها سيد المرسلين ما ضحى ، وعانى من أجلها ما عانى ؟ .

---

[١] الحشر /٢١

فموته (صلى الله عليه وآله) بحد ذاته مصيبة كبرى ، فكيف إذا حرّفوا الدين من بعده ؟ وجعلوا منه مطية يركبونها للوصول إلى مآربهم وغاياتهم الدنيوية الزائلة .

[أعلن بها كتابُ الله جل ثناؤه في أفنيتكم ، في ممساكم ومصبحكم ، هتافاً وصراخاً ، وتلاوةً وألحاناً]

أي أن كتاب الله عز وجل يتلى في بيوتكم ، في مسائكم وصباحكم ، بأصواتٍ مختلفة شدةً وضعفاً ، وعلواً وانخفاضاً ، وبأشكالٍ مختلفةٍ ، سواء كان تلاوةَ ترتيل ، أو بصوت مع لحن وتجويد .

[ولَقبلَه ما حلّ بأنبيائه ورُسله ، حكم فصل ، وقضاء حتم]

أي أن الله سبحانه قد ذكر في كتابه المجيد قِصَصَ أنبيائه الكرام ، ورُسله العظام ، وما جرى لهم مع قومهم ، وما جرى لقومهم من بعدهم من الإرتداد والإنحراف .

وليس أبي محمد (صلى الله عليه وآله) غيرهم ، بل هو منهم ومثلهم ، ولستم أنتم بأفضل من قوم أيّ نبيّ من أنبيائه ، مثلكم كمثلهم ، وحالكم كحالهم ، بالتراجع والإرتداد عن الدين ، والعبودية للمردة والشياطين .

[﴿ وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر ا لله شيئاً وسيجزي ا لله الشاكرين ﴾] [1]

بعد أن بينت (سلام الله عليها) أن أباها (صلى الله عليه وآله) كبقية الأنبياء (عليهم السلام) ، وأن أمته ليست إلا كبقية الأمم ، جاءت بالآية الكريمة شاهداً على قولها ، وتصديقاً له .

والمعنى : أن محمداً (صلى الله عليه وآله) يأتي عليه الموت كما أتى على الأنبياء (عليهم السلام) ، لأن كل نفس لا بد أن تذوق الموت ، قراراً إلاهياً جارياً على جميع المخلوقات .

ولكن موته (صلى الله عليه وآله) لا يعني موت شريعته ودينه ، إلا أن تخرجوا من الدين كما دخلتم به ، وتعودوا على أعقابكم القهقري ، تعبدوا الأصنام والأوثان كما كنتم .

ومن يرتد منكم عن دينه ، ويعود إلى الجاهلية فلا يضر إلاّ نفسه ، وا لله سبحانه يجازي الشاكرين ، الذين هم على دينهم صامدين ، ولربهم مطيعين

روى في تفسير الميزان : عن تفسير القمي ، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال : لتركبن سنة من كان قبلكم ، حذو النعل بالنعل ، والقُذّة بالقُذّة [2] ، لا تخطئون طريقهم ، ولا يخطيء شبر بشبر ، وذراع بذراع ، وباع بباع ،

---

[1] آل عمران /١٤٤

[2] قال في مجمع البحرين ج٣/ص١٨٦ القُذّة بالضم والتشديد : ريش السهم ، والجمع قُذذ و(حذو القذة بالقذة) أي كما يقدر كل واحدة من الريش على قدر صاحبتها وتقطع ، ضرب مثلاً للشيئين ، يستويان ولا يتفاوتان .

حتى أن لو كان من قبلكم دخل جحر ضب لدخلتموه ، قالوا : اليهود والنصارى تعني يارسول ا لله ؟ قال : فمن أعني ؟ لَتَنْقُضُنّ عُرى الإسلام عُروة عُروة ، فيكون أول ما تنقضون من دينكم الأمانة ، وآخره الصلاة [١]

وروى أيضا : عن صحيحيّ البخاري ومسلم ، عن أنس ، أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : لَيَرِدَنَّ عليّ الحوض رجال ممن صاحبني ، حتى إذا رُفعوا اختلجوا دوني ! فلأقولنّ : أي رب أصحابي ، فَلَيُقَالَنّ : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . . [٢]

وروى أيضا : عن الصحيحين ، عن أبي هريرة ، أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي-أو قال من أُمتي- فيُحلّؤون[٣] عن الحوض ، فأقول : يارب أصحابي فيقول : لا علم لك بما أحدثوا بعدك ارتدوا على أعقابهم القهقرى [٤] .

[إيهاً بني قيلة ، أأهضم تراث أبي ، وأنتم بمرأى مني ومسمع ، ومنتدى ومجمع]

أي أيها الأنصار الشجعان ! أأُظلم بينكم ، وأُسلب تراث أبي ، وأنتم ترون ذلك وتسمعون ، وأنه لا يفصلنا أي فاصل زماني أو مكاني ؟!.

---

[١] الميزان ج٣/ص٣٨٠ والبحار ج٢٨/ص٢٤ .

[٢] نفس المصدر

[٣] أي يُصدون عنه ويمنعون من وروده .

[٤] نفس المصدر ونقل في البحار ج٢٨ / ص٢٢ وما بعدها عن الصحاح عند السنة في دخول بعض الصحابة النار وطردهم عن الحوض ! راجع .

وبني قيلة : هم فبيلتا الأوس والخزرج ، نسبة لأحد أجدادهم .

[تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة]

أي كيف أُظلم بينكم ، وأنتم تسمعون دعوتي ومناشدتي ، وأنتم تعرفون بأنه يجب نصرة المظلوم ، وإرجاع حقه إليه من ظالمه .

[وأنتم ذووا العُدد والعدّة ، والأداة والقوّة]

تتعجب الزهراء (عليها السلام) وتزداد تعجباً واستغراباً ، من الأنصار لِمَ لا ينصرونها ، وهم طالما دافعوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وعن الإسلام وهم الآن لا ينقصهم شيء من العدد والعُدّة والعتاد ، والوسائل التي يحتاجها المحارب .

[وعندكم السلاح والجُنة]

أي ما عذركم وأنتم لا ينقصكم شيء للدفاع عن مظلوميتي .

فواسائل الحرب والدفاع عن المظلومين ما زالت عندكم ، فلِمَ هذا التواني والتقاعس عن نصرتي ؟! .

[وتوافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخة فلا تعينون]

ويل لأولئك المسلمين ، لقد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، كأنهم خشب مسنّدة .

تدعوهم سيدة نساء أهل الجنة ، وأهل الدنيا والآخرة ، وتصرخ في آذانهم ، وهم جامدون ، كأن في آذانهم وقرا .

[وأنتم موصوفون بالكفاح ، ومعروفون بالخير والصلاح]

أي ما هذا التواني والتقاعس عن نصرتي وأنتم معروفون ومشهود لكم بالكفاح ، والدفاع عن الدين ، وقد اشتهرتم بالعبادة والتقى والخير والصلاح تناديهم (سلام الله عليها) وتستنهضهم ، ولكن لا حياة لمن تنادي .

[والنخبة التي انتخبت ، والخيرة التي اختيرت]

أي وأنتم الذين انتخبكم الله للدفاع عن دينه ، والجهاد في سبيله ، واختاركم لتكونوا أنصاراً لرسوله (صلى الله عليه وآله) ، وحضنة لرسالته .

[قاتلتم العرب ، وتحملتم الكدّ والتعب]

أي أنكم قاتلتم العرب ، وجاهدتم في سبيل الذود عن الإسلام ، ونشر الرسالة السماوية ، وتحملتم الكثير من العناء والصعاب في سبيل ذلك .

[وناطحتم الأمم ، وكافحتم البُهم]

أي وصل بكم الأمر أنكم حاربتم الأمم ، والملل من اليهود والنصارى ، وبارزتم الشجعان من الرجال لمؤازرة الدين ، ونصرة سيد المرسلين .

[لا نبرح أو تبرحون ، نأمركم فتأتمرون]

أي كان هذا النجاح الذي وصلتم إليه ، والعزّة والمنعة التي حصّلتموهـا ، كانت بفضل طاعتكم لنا ، وامتثالكم لأمرنا ، لأن أمرنا من أمر الله تعالى ، وطاعتنا طاعة لله عز وجل .

[حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام ، ودرَّ حلب الأيام]

أي حتى إذا انتظم بنا أمر الإسلام ، وانتصرتم بنا على كل من عادى كلمة (لا إله إلا الله) ، وظهرت بنا الخيرات ، وأنزلت السماء بركاتها ، وأخرجت الأرض خيراتها .

[وخضعت ثغرة الشرك ، وسكنت فورة الإفك ، وخمدت نيران الكفر]

أي بعد أن سُدّت أبواب الشرك ، وقُضيَ على الكفر والإفك والإلحاد .

[وهدأت دعوة الهرج ، واستوسق نظام الدين]

أي بعد انقضاء عهد الفوضى والتحلل والهرج والرذيلة ، الذي كان يُخيّم على الجزيرة العربية ، وبعد أن استتب الدين الحنيف ، وانتشرت راياته ، وعلت كلمة التوحيد .

[فأنّى حرتم بعد البيان ، وأسررتم بعد الإعلان]

أي لماذا هذه الحيرة ، بعد أن كان ذلك بيناً لكم وواضحاً ؟ ولماذا هذه السرّية في أموركم ، بعد أن كان لا يوجد بيننا وبينكم أي سرّ ؟ وقد عين لكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) خليفة ، وأوضح لكم كل ما تحتاجونه من أمور دينكم ودنياكم وآخرتكم .

[ونكصتم بعد الإقدام ، وأشركتم بعد الإيمان]

أي ولماذا هذا التراجع عن الدين ، وسنة سيد المرسلين ، بعد أن أقدمتم ، وأصبحتم خير أمة أُخرجت للناس ؟.

ولماذا رجعتم إلى الشرك والإلحاد ، والكفر والعناد ، بعد أن تذوقتم حلاوة الإيمان ؟.

[بؤساً لقوم ﴿ نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وهمّوا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فا لله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾][1]

الزهراء (عليها السلام) ، كعادتها ، تدمج كلام الله تعالى من كتابه المجيد ضمن كلامها .

وهذه الآية نزلت في الكفار الذين نكثوا إيمانهم ، وارتدوا عن الهداية ، وهمّوا باخراج الرسول من المدينة .

---

(1) التوبة /١٣

جاءت بها الزهراء (عليها السلام) لتبيّن أن القوم قد ارتدوا بعد إيمانهم ، ونكثوا وخانوا وعودهم التي أعطوها للرسول (صلى الله عليه وآله) بأن يدافعوا عن آله وذويه ، كما يدافعون عن أهلهم وذويهم ، وذلك بعد أن عرض الأنصار على رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأموال جزاءً لما نابه من الحروب ، وشكراً لهدايته إياهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾ [1] ، فقال بعضهم : عرضنا عليه أموالنا فقال : لا . قاتلوا عن أهل بيتي من بعدي [2] .

لهذا تلت الزهراء (عليها السلام) هذه الآية لتذكّرهم ، وتحرك ما تبقى من ضمائر حيّة ، إن كان بقي هناك من شيء .

[ألا : قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض]

أي إنني أرى أنكم بعد ما قدمتم من أجل الدين ، وضحيتم في رضى رسول رب العالمين (صلى الله عليه وآله) ، رجعتم إلى الراحة ، وعدتم إلى ذلك النفاق والكفر ، بعد عز الإسلام والإيمان .

[وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض]

أي أبعدتم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن الخلافة ، الذي هو صاحبها الشرعي ، بنصٍ من الله تعالى ، ورسوله (صلى الله عليه وآله) ؛

---

[1] الشورى/٢٣

[2] تفسير الميزان ج١٨/ص٥٢

والذي هو أدرى بأمورها ، وأعلم باحكام الشرع والدين ، وأهدى إلى الحق **﴿ أفمن يَهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يَهدي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون ﴾**.[1]

[وخلوتم بالدعة ، ونجوتم من الضيق بالسعة]

أي انفردتم إلى الراحة والسكون ، وهربتم من الشدّة بالحق ، إلى السعة والبحبوحة بالباطل .

لأن سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) هي سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، يساوي بين الناس في العطاء والمعاملة ، فالمسلمون عنده سواء كأسنان المشط لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى .

[فمججتم ما وعيتم ، ودسعتم الذي تسوغتم]

أي لماذا رميتم من أفواهكم ما حفظتموه ؟.

ولماذا تقيأتم الشيء الذي شربتموه ؟ ولستم من الجهال حتى تفعلوا هذا الفعل ، فلا عذر لكم عند الله تعالى .

فصورت (سلام الله عليها) العلم والمعرفة بالأكل والشرب ، فاستنكرت من الأنصار فعلهم ، لماذا تقيؤا ولفظوا مااستأنسوا بأكله وشربه .

والدسع : هو التقيوء .

---

[1] يونس/٣٥

[﴿ فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن ا لله لغنيٌّ حميد ﴾][1]

وقد جاءتهم (سلام الله عليها) بهذه الآيـة الكريمـة في ضمـن كلامهـا لتعرفهـم أنهم بهذا العمل لا يضرون إلاّ أنفسهم ، وليس هناك خســارة للإسـلام مـن ارتدادهـم .

[ألا : وقد قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم ، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم]

كانت الزهراء (عليها السلام) تعلم علم اليقين ، أن هؤلاء القوم قد اتفقوا على ظلمهـا ، وغصـب حقهـا ، وعـدم نصرتهـا ، مهمـا كلفهـم الأمـر ، ولكنهـا أرادت أن تلقي عليهم الحجة ، وتذكّرهم إن نفعت الذكرى ، وسـيتذكرون إن كانوا ممن يخشى .

[ولكنها فيضة النفس ، ونفثة الغيظ ، وخَوَر القناة ، وبثة الصدر]

أي أن الزهراء (عليها السلام) فاضت نفسها بـالآلام ، كمـا يفيـض الإنـاء إذا امتلأ .

وعندما يغضب الإنسان يظهر ذلك على ملامحه وأفعاله ، فلا يسـتطيع أن يخفي ما به . وضعف النفس أن تتحمل ما يجري عليها ، فشـكت وبثـت مـا

---

[1] إبراهيم/٨

يجول في نفسها وخاطرها كما قال يعقوب (عليه السلام) : ﴿ **إنما أشكوا بثي وحزني إلى ا لله** ﴾ [١] .

والخور : هوالضعف ، والقناة : الرمح .

وهي تعلم أن الكلام معهم بعد ما فعلوا ، من غصب الخلافة ، وهي الجريمة الكبرى ، لن يجديها نفعاً ، ولكنها روّحت عن نفسها بما فاضت من الغيظ والغضب ، لقبح فعلهم .

[وتقدمة الحجة]

وألقت عليهم الحجة أمام ا لله سبحانه ، والناس ، والتاريخ .

حتى لا يأتوا يوم القيامة ويقولوا : ﴿ **إنا كنا عن هذا غافلين** ﴾ [٢] .

أو حتى لا يأتي منافقو اليوم ، ووارثوا أُولئك المنافقين ويقولون : لو كانت الزهراء صاحبة حق فعلاً ، لطالبت به .

فهذه هي (عليها السلام) قد طالبت بحقها ، وألقت حجتها ، وأظهرت جرائم القوم لمن يريد أن يسمع ! فهل من أنصفها ، أو ينصفها ؟!.

[فدونكموها ، فاحتقبوها دَبِرة الظهر]

أي خذوا الخلافة معيوبة ناقصة ، كالناقة المجروحة الظهر ، المعيوبة ، وشدوا عليها حقائبكم ، وتمسكوا بها .

---

[١] يوسف /٨٦

[٢] الأعراف /١٧٢

وأي عيب أقبح من هذا العيب ، أن يذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة للبيعة ، واستلام الإمارة والخلافة ، والنبي (صلى الله عليه وآله) لم يقبر بعد ، وأهله مفجوعون به ؟!

وقد تولى القيادة من هو ليس بأهل لها ، بل لا يعرف من الحق والشرع موطيء قدمه [١] .

[نقبة الخف ، باقية العار]

أي خذوا الخلافة ، نقبة الخف ، أي رقيقة الأرجل ، وشبهتها بخف الناقة الضعيفة الرقيقة .

ولكن عار اغتصابكم لها سيبقى مخلدا أبدَ الدهر ، لأنكم أخذتموها بإسلوب الخداع والقهر .

ولقد قال عمر بن الخطاب ، فيما بعد ، حين فاء إلى جسامة الفعل الشنيع الذي شارك به : كانت بيعة أبي بكر فلته ، وقى ا لله المسلمين شرها ، فمن عاد لمثلها فاقتلوه [٢] .

[موسومة بغضب ا لله ، وشنار الأبد]

نعم الخلافة التي شبهتها (عليها السلام) بالناقة المعيوبة ، وهي موسومة بغضب ا لله تعالى .

---

[١] راجع النص والإجتهاد ، وكتاب الغدير ج٧ ، ودلائل الصدق ج٣ ، وتعرف على جهل القوم بالشرع والدين .

[٢] تلخيص الشافي ج٢ /ص١٠٤ ، مصادرها كثيرة من طرق السنة .

وأي غضب لله أشد من غضبه عز وجل إنتقاماً لأوليائه ، ودفاعاً عن تحريف دينه القويم ؟؟.

والله سبحانه يغضب لغضب الزهراء (عليها السلام) ، ويرضى لرضاها .

[موصولة بـ ﴿ نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة ﴾] [1] .

نعم إذا بقيتم على إصراركم على غصب الخلافة ، وسلب حقوقنا أهل البيت ، فإن مصيركم إلى النار ، التي هي دائمة التوقد والإشتعال ، تصل بأوجاعها وأذيتها إلى القلوب والأفئدة .

[فبعين الله ما تفعلون ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون﴾] [2]

بعد اليأس منهم ، وكأنهم خشب مسنّدة ، لا يعقلون ، ولا يفقهون ما يقال لهم ، تركت الأمر لله تعالى ، وجعلته هو الشاهد والحاكم .

وأدخلت الآية في كلامها بأنهم سيعلمون عاقبة أعمالهم ، عند منقلبهم من دار الدنيا إلى الآخرة وهم ظالمون ، وعندها يندمون ، ولا ينفع هناك ندم النادمين .

[وأنا ابنة نذيرٍ لكم بين يدي عذابٍ شديد]

---

(1) الهمزة/٦/٧

(2) الشعراء /٢٢٧

وزادتهم تخويفاً وإنذاراً ، بصعوبة عاقبتهم ، وعسر منقلبهم ، بأن الله سبحانه يسجل عليهم ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) هو خصمهم يوم القيامة وهو البشير بنعيم المؤمنين ، وهو النذير بعذاب المجرمين والمنافقين الكافرين ، الذين تكون نهايتهم إلى العذاب الشديد الدائم .

[فاعملوا ﴿ إنا عاملون * وانتظروا إنا منتظرون ﴾] [1]

أي اعملوا ، ونحن نعمل ، ﴿ **قل كل يعمل على شاكلته** ﴾ [2].

وكل عامل ينتظر الوقت الذي يأخذ فيه أجْرَ عمله .

فأنتم تأملون أن تربحوا من أعمالكم في هذه الدنيا ، ونحن نأمل أن نربح من صبرنا على أذيتكم وغصبكم حقوقنا في الآخرة .

فأنتظروا ، ونحن أيضاً منتظرون .

وهكذا أنهت فاطمة الزهراء (عليها السلام) كلمتها بهذه العبارات المحزنة ، والكلمات المؤثرة ، من كلام الله سبحانه ، التي تدلنا دلالة واضحة على عمق حزنها ، ومدى تأثرها وغضبها ممن ظلمها ، وغصب حقها ، وخذلها ولم ينصرها وينصفها .

وإتماماً للحجة ، وإكمالاً للفائدة ، لا بد لنا من أن نذكر جواب أبي بكر ورده عليها ، وما هنالك من مضامين مهمة ، وفوائد جمّة ، لا تخفى على ذي بصيرة ووعي ، وخاصة المراوغة في جوابه ، واختلاقه الحديث الذي لم

---

[1] هود/١٢٢

[2] الإسراء/٨٤

يروه أحد غيره من المسلمين ، ولم يسمعه أحد منهم ، وهذا ما سنقرأه في كلامه .

١٩١

جواب أبي بكر

الأصل

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان – أبي قحافة – قال :

يا بنت رسول الله ! لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً ، رؤوفاً رحيماً ، وعلى الكافرين عذاباً أليماً ، وعقاباً عظيماً ، إن عزوناه وجدناه أباك دون النساء ، وأخا إلفك دون الأخلاء ، آثره على كل حميم ، وساعده في كل أمر جسيم ، لا يحبكم إلا كل سعيد ، ولا يبغضكم إلا كل شقي بعيد ، فأنتم عترة رسول الله الطيبون ، والخيرة المنتجبون ، على الخير أدلتنا ، وإلى الجنة مسالكنا .

وأنت ياخيرة النساء ، وابنة خير الأنبياء ، صادقة في قولك ، سابقة في وفور عقلك ، غير مردودة عن حقك ، ولا مصدودة عن صدقك ، والله ما عدوت رأي رسول الله !!! ولا عملت إلا بإذنه ، وإن الرائد لا يكذب أهله ، وإني أشهد الله وكفى به شهيدا ، إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) **يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضةً ، ولا داراً ولا عقاراً ، وإنما نورث الكتاب والحكمة ، والعلم والنبوّة ، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه .**

وقد جعلنا ما حاولتِه في الكراع والسلاح ، يقاتل بها المسلمون ، ويجاهدون الكفار ، ويجالدون المردة الفجّار ، وذلك بإجماع من المسلمين!

لم أنفرد به وحدي ، ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي ، وهذه حالي ومالي ، هي لكِ ، وبين يديكِ لا تزوى عنك ، ولا تدّخر دونكِ ،وإنك أنت سيدة أُمة أبيك ، والشجرة الطيبة لبنيك ، لا يُدفع مالك من فضل ، ولا يوضع في فرعك وأصلك ، حكمك نافذ فيما ملكت يداي ، فهل ترين أن أُخالف في ذلك أباكِ (صلى الله عليه وآله) .

الشرح

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان ، وقال :

[يابنت رسول الله !]

يعرف أنها ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ويعاملها هذه المعاملة ، فكيف لو كان لا يعرفها ؟.

[لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً ، رؤوفاً رحيماً ، على الكافرين عذاباً أليماً ، وعقاباً عظيماً]

كل هذا كلام جميل ، وبيان حق ، لا غبار عليه .

[إن عزوناه وجدناه أباك دون النساء ، وأخا إلفك دون الأخلاء]

هذا إعتراف منه ، ورد على قولها (عليها السلام) في أول خطبتها : فإن تعـزوه تجدوه أبي دون نسائكم ، وأخا ابن عمي دون رجالكم .

ولكن هذا لم يمنعهم من سوق أمير المؤمنين (عليـه السلام) بـالإكراه والتهديـد لمبايعة أبي بكر ، ولم يمنع عمر بن الخطاب ، عند ما قـال لهـم أمـير المؤمنـين (سلام الله عليه) : إذاً ستقتلون عبد الله وأخا رسوله ، فيقول عمر : أمّا عبد الله فنعم ، وأمّا أخو رسوله فلا ! [1] .

[آثره على كل حميم ، وساعده في كل أمر جسيم]

أي أن النبي (صلى الله عليه وآله) آثر علياً (عليه السلام) ، وفضله على كل صـاحب وصديق ، وساعده في كل أمر مهم وعظيم .

[لا يحبكم إلا كل سعيد ، ولا يبغضكم إلا كل شقي]

أُنظر أيها القاريء وفكـر في هـذا الكـلام ، الـذي ظـاهره حـق وعـدل ، وباطنه لؤم وخيانة .

هؤلاء قوم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، **﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون ﴾** [2] .

---

[1] الإمامة والسياسة ج١/ص١٣

[2] الصف/٣

[فأنتم عترة رسول ا لله الطيبون ، والخيرة المنتجبون ، على الخير أدلتنا وإلى الجنة مسالكنا]

إنه يعر ف ويعترف ، أنهـم عـترة رسـول ا لله (صلى الله عليه وآله) ، والخـيرة الطيبة ، التي انتجبها ا لله تعالى واختارها ، ويعرف أن حب أهل البيت (عليهم السلام) يقود إلى الجنة .

[وأنتِ ياخيرة النساء ، وابنة خير الأنبياء ، صادقة في قولكِ]

ما دامت صادقة في قولها لِمَ لم تعطها حقها في ميراث أبيها ، ونحلتها الـتي خصها ا لله ورسوله بها ؟! ولِمَ طلبت منها الشهود ؟!.

ولكنه لا يريد من هذا الكلام إلا المراوغـة والخديعـة ، وهـذا مـا يسـمّونه اليوم بالسياسة .

[سابقة في وفور عقلكِ ، غيرمردودة عن حقكِ ، ولا مصدودة عن صدقكِ]

ما هذه المراوغة الصريحة ، والتناقض البيّن ؟.

لقد صدها وردها وسلبها كل شيء ، ثم يقول : إنها غـير مصـدودة عـن حقها !.

إنه التناقض والتدليس الصريح ، ولكنها السياسة وحب الدنيا !.

[وا لله ما عدوت رأي رسول ا لله]

وهل كان من رأيه (صلى الله عليه وآله) أن تسلب ابنته وبضعته (عليها السلام) نحلتها التي أعطاها إيّاها أبوها ؟!

وهل كان من رأيه (صلى الله عليه وآله) أن تحرمها من إرثها ، ولا تعطيها حقوقها التي فرضها الله ورسوله لها ؟!.

والله إنك افتريت ، وعلى حقوق رسول الله تعديت ، وفي الغي والضلال تماديت .

[ولا عملتُ إلا بإذنه]

لا حول ولا قوة إلا بالله : وهل أذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تأمر جلاوزتك بأن يدخلوا بيت بضعته الزهراء (عليها السلام) ، ويقتحموا باب دارها ويحرقوه ، ويضربوها ، وقد أدى ذلك إلى كسر ضلعها ، وإسقاط جنينها ، وموتها من ذلك الفعل الشنيع !!.

وهل أذن الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن تخرجوا زوجها أمير المؤمنين يقاد أمام المسلمين للبيعة ؟.

بل فعلت ما أملته نفسك الأمارة بالسوء ، ﴿ فبئس للظالمين بدلا ﴾ .

[إن الرائد لا يكذب أهله]

هذا ادعاء في غير موضه ، ومن أين له هذه الريادة ؟.

هل هي من رسول الله ؟ وقد فعل مع بضعته ووحيدته ما فعل !.

إنه الإفك والبهتان ، وسيحاسب عليه بين يدي الديّان سبحانه .

[وإني أُشهد الله وكفى به شهيداً]

إنه يعلم أن لا أحد من المسلمين سمع ما يريد قوله ، ولا أحد يشهد معه ، ويعلم أيضاً أنه إن كذب على الله فإنه سبحانه يمهل ولا يهمل ، فلذلك قال

[إني سمعت رسول الله يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ذهباً ولا فضةً ، ولا داراً ولا عقاراً ، إنما نورّث الكتاب والحكمة ، والعلم والنبوّة وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا ، أن يحكم فيه بحكمه]

لقد كفانا مؤنة مناقشة هذا الخبر المكذوب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، كلٌّ من : شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (ره) في كتابه تلخيص الشافي [1] : والسيد عبد الحسين شرف الدين (ره) في كتابه النص والإجتهاد [2] : والشيخ المظفر في كتابه دلائل الصدق [3] ، وغيرهم من العلماء الذين تعرضوا لذكر موضوع الإرث ، وكيف أن أبا بكر منع الزهراء (عليها السلام) إرثها بهذا الحديث الذي افتراه .

وهذا الحديث يتعارض مع القرآن الكريم .

وقد ذكرت الزهراء (عليها السلام) الآيات الدالة على التوارث مطلقاً ، وقد مرّ معنا ذلك .

---

(١) ج٣/ص١٤٤

(٢) ص١١٣ المورد/٧

(٣) ج٣/ص٥٦

وقد أجمع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وعلماؤهم على التوارث مطلقاً ، لا فرق بين الأنبياء وغيرهم .

ولكن القوم ارتبكوا بهذا الحديث المخالف لكتاب ا لله تعالى ، وسنة أنبيائه الكرام ، ولهم كلام كثير واختلاف كبير ، يُراجع في مظانه .

والمقصود من هذا الحديث المفترى ، هو منع الزهراء من إرثها ونحلتها ، وكل عطايا الرسول (صلى الله عليه وآله) لها ، لكي لا يصل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) أيُّ مال ، حتى لا يفكر في الخلافة ، أويستعين به ضدهم .

[وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح ، يقاتل به المسلمون ، ويجاهدون الكفار ، ويجالدون المردة الفجار]

لكي يجلب إليه أذهان المسلمين ، ويأخذ بعقولهم قال : إن هذه الأموال جعلت للمجاهدين ، وللدفاع عن الدين ، مع أن واقع الحال ، والذي يرويه المؤرخون ، قد انتقلت هذه الأموال له ، ولعمر بن الخطاب من بعده ، ولبني أمية من بعدهما يتوارثونها أمير عن أمير وحاكم عن حاكم ، حتى عهد عمر بن عبد العزيز ! [1] .

[وذلك بإجماع من المسلمين ، لم أنفرد به وحدي ، ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي]

---

[1] راجع دلائل الصدق ج٣/٥٤

ياسبحان الله ! وأيُّ إجماع هذا الذي يدعيه ؟!.

فكيف يكون هناك إجماع يتعارض مع كتاب الله تعالى ؟! الذي صرّح بالتوارث مطلقاً ، سواء كان الوارث أو المورّث أنبياء أو غيرهم . كما مرّ من كلامها (عليها السلا) وهناك سيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وإجماعهم على ذلك .

الذين هم عدل القرآن في حديث الثقلين ، وهم سفينة نوح التي من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، والذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، والذين لا غيروا ولا بدلوا تبديلا .

والأعجب من ذلك قوله إنه لم ينفرد به وحده !.

وهذا القول افتراء واضح وفاضح ، وأن الأُمة قد أجمعت على أن هذه الرواية لم تُسمع من النبي (صلى الله عليه وآله) طيلة حياته المباركة .

فهو إذن منفرد بهذا الحديث ومستبد به .

[وهذا حالي ومالي هي لكِ ، وبين يديكِ ، لا تزوى عنكِ ، ولا تدخر دونكِ ، أنتِ سيدة أُمة أبيكِ ، والشجرة الطيبة لبنيكِ ، لا يُدفع في فرعكِ وأصلكِ ، حكمكِ نافذ فيما ملكت يداي ، فهل ترين أن أخالف في ذلك أباكِ]

بهذه المراوغة ؛ والتلاعب بالألفاظ ، والنفاق في التعبير ، أنهى كلامه .

إن فاطمة الزهراء (عليها السلام) تريد حقها وإرثها ، ولا تريد منه منّةً ، أو حسنةً ، أو صدقة .

وهل يعقل أن الزهراء (عليها السلام) ، التي طهرها الله سبحانه ، وعصمها عن الخطأ والزلل ، تأتي أبا بكر وتطالب بشيء لا حق لها به ؟.

وهل هي مخالفة لأبيها (صلى الله عليه وآله) حتى قال لها : إنه لايستطيع أن يخالف أباها ؟.

إنه يخالف كلام الله صراحة ولا يخجل ، ولو حاول أن يظهر أنه لا يخالف رسول الله في حديث هو يرويه ، وعلى الله ورسوله يفتريه ، بل سولت له نفسه حب الدنيا ، فكان له ما أراد ، وعند الموت يخسر هنالك المبطلون ، ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾ [1] .

---

[1] الشعراء /٢٢٧

جواب الزهراء (عليها السلام)

الأصل

فقالت : (عليها السلام)

سبحان الله ! ما كان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله صادفاً ، ولا لأحكامه مخالفاً ، بل كان يتبع أثره ، ويقفو سُوَره ، أفتجمعون إلى الغدر ، اعتلالاً عليه بالزور ، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته ، هذا كتاب الله حكماً عدلاً ، وناطقاً فصلاً ، يقول : ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ ، ويقول : ﴿ وورث سليمان داوود ﴾ ، فبيّن عز وجل فيما وزع من الأقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظ الذكران والأناث ، ما أزاح به علة المبطلين ، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين ، كلا ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ .

الشرح

بعد أن سمعت فاطمة الزهراء (عليها السلام) هذا الكلام ، من أبي بكر ، وكيف راوغ وتلاعب بالألفاظ ، وحاول أن يظهر نفسه بمظهر المؤمن الشفيق الغيور على الإسلام والمسلمين ، قالت له :

[سبحان الله ! ما كان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله صادفاً ، ولا لأحكامه مخالفاً]

تعجبت الزهراء (عليها السلام) ، واستعظمت هذا الإفتراء على مقام أبيها النبي (صلى الله عليه وآله) الصادق الأمين ، الذي ﴿ **ماينطق عن الهوى * إن هو إلا وحيٌ يُوحى** ﴾ [1] .

كيف يكذبون على لسانه (صلى الله عليه وآله) ، وكيف يخالفون كتاب الله تعالى في الإرث .

[بل كان يتبع أثره ، ويقفو سُوَره ، أفتجمعون إلى الغدر ، اعتلالاً عليه بالزور]

إن النبي (صلى الله عليه وآله) أجل وأعظم من أن يخالف كلام الله تعالى وكتابه بل كان متّبعاً التعاليم التي تأتيه بكل نزاهة وإخلاص ، ولكنكم أجمعتم على الغدر بنا أهل البيت ، فلم تفوا بوصيته .

وها أنتم الآن تأتون بالزور والكذب والبهتان ، وتدّعون بأنه لا يورث .

[وهذا بعد وفاته شبيهٌ بما بغي له من الغوائل في حياته]

أي هذا الغدر والتزوير والكذب بعد وفاته ، ليس بالشيء الجديد .

---

[1] النجم /٣/٤

لقد فعلتم ما فعلتم في حياته ، وخاصة ليلة العقبة ، عندما أراد المنافقون منكم أن يُنفّروا الناقة ، ليسقط (صلى الله عليه وآله) في الوادي ، فكشفهم الله تعالى إليه ، فعرفهم فرداً فرداً [1] .

[هذا كتاب الله حكماً عدلاً ، وناطقاً فصلاً ، يقول : ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ ﴿وورث سليمان داوود﴾]

أكدت الزهراء (عليها السلام) ما ذكرته بخطابها الأول ، من أن الإرث مذكور بالقرآن صراحةً ، وذكرت الآيات الدالة على ذلك .

فهل نترك القرآن ونتمسك بحديث مختلقٍ ، ومكذوب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟!.

[فبيّن عز وجل فيما وزع من الأقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظ الذكران والإناث ، ما أزاح به علّة المبطلين ، وأزال التظني والشبهات في الغابرين]

ثم عادت (سلام الله عليها) فأكدت ما ذكرته سابقاً من كلام الله تعالى في الميراث ، وأنه عام إلى جميع الناس ، من الذكران والإناث .

وأكدت آيات مواريث الأنبياء (عليهم السلام) ، لأن أباها منهم .

---

[1] راجع إرشاد القلوب للديلمي /ص٣٣١ ، وتفسير الميزان ج٩/ص٣٤٤

وبينت أيضاً أنه لا مجال للشك أو الشبهة لأحد من الأجيال الحاضرة أو الآتية في قضية المواريث . إنها كما بينها الله سبحانه في كتابه المجيد .

[كلا ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾]

وكعادتها (سلام الله عليها) في ذكر كلام الله سبحانه في ضمن كلامها ، لتؤكد أنهم لن يتراجعوا عن غيهم ، ولن يعودوا إلى رشدهم ، وتمثلت بقول يعقوب (عليه السلام) عندما أخبره أولاده بأن الذئب أكل يوسف : ﴿ **بل سولت لكم أنفسكم أمراًفصبر جميل ...** ﴾ [(١)] .

وهكذا أهل البيت (عليهم السلام) ، عند اليأس من إصلاح المخاطب ، وحمله على سلوك الطريق القويم ، يعودون إلى الصبر ، وكظم الغيظ ، حتى يوفّيهم الله سبحانه ويعطيهم أجر الصابرين .

---

(١) يوسف /١٨

٢٠٥

جواب أبي بكر مرّة ثانية

الأصل

فقال أبو بكر : **صدق الله ورسوله ، وصدقت إبنته ، أنتِ معدن الحكمة ، وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجة ، لا أُبعد صوابكِ ، ولا أُنكر خطابكِ ، هؤلاء المسلمون بيني وبينكِ ، قلّدوني ما تقلّدت ، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت ، غير مكابر ، ولا مستبد ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود .**

الشرح

لاحظ أيها القارىء المنصف ، التلاعب بالكلام ، وتغيير الأسلوب ، والتذبذب بالعبارات ، والنفاق الواضح الفاضح . قال :

[صدق الله ، وصدق رسوله ، وصدقت ابنته ، أنتِ معدن الحكمة ، وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجة ، لا أُبعد صوابكِ ، ولا أُنكر خطابكِ]

يظهر لنا من كلامه أنه تراجع عن ظلمها ، وغصبها حقها ، وأنه اعترف بصدقها ، وأحقيتها بما طالبت ، ولكن كل هذا كان باللسان والكلام ، كما قال الشاعر :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

[هؤلاء المسلمون بيني وبينكِ ، قلدوني ما تقلدتُ]

هذا اعتراف منه أنه أخذ الخلافة من هؤلاء المسلمين الحاضرين ، ولم يكن هناك نص من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، كما يتحدث أتباعه اليوم ! وليس هناك نص من القرآن الكريم عليه .

[باتفاق منهم أخذتُ ما أخذتُ]

الملاحظ إنه ادعى أول الأمر أنه أخذ فدكاً والإرث من الحديث الذي رواه عن الرسول (صلى الله عليه وآله) : نحن معاشر الأنبياء ... .

والآن أصبحت حجته أن المسلمين قلدوه هذا ، وباتفاقهم فعل ما فعل .

ولكنّ الإجماع الذي ادعاه لم يتم ، وهو غير صحيح .

[غير مكابر ، ولا مستبد ، ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود]

ما زال مصراً على عناده ، مع كل هذه الأدلة التي جاءته بها (سلام الله عليها) وبهذا أنهى كلامه .

ولكنه والله مستأثر ومستبد . من يفعل ببضعة الرسول (صلى الله عليه وآله) هذه الأفعال ، ويعمل هذه الأعمال ، التي لا يأتيها أو يفعلها الكافر فضلاً عن المسلم .

خطاب الزهراء (عليها السلام) إلى المسلمين

الأصـل

فالتفتت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس وقالت :

معاشر المسلمين ! المسرعة إلى قيل الباطل ، المغضية على الفعل القبيـح الخاسر ، أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالهـا ؟ كـلا بـل ران علـى قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم ، فاخذ بسـمعكم وأبصـاركم ، ولبئـس مـا تأوّلتم ، وساء ما به أشرتم ، وشرّ ما منه اغتصبتـم ! لتجـدنّ وا لله محملـه ثقيلاً ، وغبّه وبيلاً ، إذا كشف لكـم الغطـاء ، وبـان مـا وراءه الضـرّاء ، وبدا لكم من ربكـم ما لم تكونوا تحتسبون ، وخسر هنالك المبطلون .

الشرح

الآن : وبعد هذا النقاش المؤلم ، والحوار المحـزن ، أرادت (سلام الله عليها) أن توجّه كلمة أخيرة إلى الجماهير المسلمة ، الموجودة في المسجد ، لعلهـا تحـرك عواطفهم ، وضمائرهم ، إن كان بقي عندهم من الضمـائر مـا يتحـرك ، أو من الغيرة الإسلامية ما يثور !!.

وقـد دمجـت الآيـات القرآنيـة كعادتهـا بكلامهـا ، وسبكت العبـارات السماوية بإسلوبها ، مما يدلنا على عمق بلاغتها ، وغزارة علمها .

فهـي ابنـة محمـد المصطفـى (صلى الله عليه وآله) ، أفضـل مـن نطـق بالضـاد ، وزوجة علي المرتضى (عليه السلام) ، سيد البلغاء والمتكلمين .

فالتفتت (عليها السلام) إلى الناس وقالت :

[معاشر الناس ! المسرعة إلى قيل الباطل]

أي أيهـا النـاس ! المسـرعون إلى قـول البـاطل ، والسـاكتون عـن الحـق : والساكت عن الحق شيطان أخرس .

[المغضية على الفعل القبيح الخاسر]

أي المتغاضية والمتعامية عن الأفعال القبيحة ، الخاسرة عند الله تعالى.

وأيُّ قبح أعظم من أن تظلم بضعة الرسول (صلى الله عليه وآله) ووحيدته بينهم وهم باستطاعتهم نصرتها ، وأخذ حقوقها ممن ظلمها .

[أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها]

إنها (سلام الله عليها) تستشهد دوماً بالقرآن الكريم .

وهل هناك أعظم حجة ، وأبلغ بياناً منه لقوم يعقلون ؟.

وهـذا تـأنيب صريـح ، ونقـد لاذع للمسـلمين الذيـن لا يتدبـرون آيـات القرآن ، في فضل أهل البيت (عليهم السلام) ، وفي أحكام الإرث .

أخذت كلامها هذا من قوله تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [١] .

[كلا ، بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم]

أي أن أعمال الإنسان تعود عليه إمّا سلباً ، أو إيجاباً .

فإذا كانت أعماله خيراً وبراً وإحساناً ، تعود على نفسه بالهداية والتوفيق والغفران .

وإذا كانت أعماله شراً وعقوقاً وإساءةً ، تعود عليه بالإقفال على قلبه ، وتضليله عن الطريق السويّ .

وهذا ما أشارت إليه (عليها السلام) ، بأن المسلمين عندما تواطأوا على فعل القبيح ، وأخذ الخلافة من أصحابها الشرعيين ، وظلموا أهل بيت نبيهم (صلوات الله عليهم) ، أخذوا يُحرّفون أحكام القرآن ، ويغيّرون معالم الإسلام ، وقد أقفلت خطاياهم على قلوبهم فلم يعودوا يفقهون .

وقد أخذت كلامها هذا من قوله تعالى : ﴿ **بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ [٢] .

[فأخذ بسمعكم وأبصاركم]

---

[١] محمد /٢٤

[٢] المطففين /١٤

أي نتيجة لأعمالكم ، وجزاءًلأفعالكم ، أخذ ا لله بسمعكم وأبصاركم ، فلا ترون إلا مصالحكم ، ولا تسمعون إلا ما يعود عليكم بالنفع في عاجلكم بعد أن تركتم آخرتكم .

قال ا لله سبحانه وتعالى : ﴿ **قل أرأيتم إن أخذ ا لله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير ا لله يأتيكم به ...** ﴾ [(١)] .

[ولبئس ما تأوّلتم ، وساء ما به أشرتم ، وشرّ ما منه اغتصبتم]

أي بئس التأويل الذي أولتم به كتاب ا لله ، إذ أخذتم علمه من غير معدنه ومن غير أهله ، وبئس المشاورة التي تشاورتم بها على غصب حقوقنا أهل البيت ، وبئس النتيجة التي توصلتم إليها ، وهو جعلكم الدين سلعة لمصالح الحكام والأمراء ، يحكمون بأهوائهم إلى يومنا هذا ، وليس بعدل ا لله تعالى ، وكتابه ، وسنة نبيه (صلى ا لله عليه وآله) .

[لتجدنّ وا لله محمله ثقيلاً ، وغبّه وبيلاً]

أي أنتم الآن لا تعرفون مدى الجريمة التي ارتكبتموها ، ومستوى الإنقسام الذي سببتموه في الأمة .

إن كل ما يأتي من انحراف عن الدين ، وتزوير في شريعة سيد المرسلين (صلى ا لله عليه وآله) ، فهو في رقبتكم ، وأنتم مسؤولون عنه يوم القيامة .

---

(١) الأنعام /٤٦

روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال : من استن خيراً فله أجره ، ومثل أجور من اتبعه ، غير منتقص من أجورهم .

ومن استن شراً فأُستن به ، فعليه وزره ، ومثل أوزار من اتبعه ، غير منتقص من أوزارهم ، قال : فتلا حذيفة بن اليمان : ﴿ **علمت نفس ما قدمت وأخرت** ﴾ [١] .

قال في تفسير القمي : إنها نزلت في الثاني ، يعني ما قدمه من ولاية أبي فلان ، ومن ولاية نفسه ، وما أخره من ولاة الأمر من بعده [٢] .

جريمة عظيمة ، وانحراف خطير في سيرة الحكام ، حصدت الأمة عاقبته على مر التاريخ ، إلى يومنا ، من أكلِها المظالم ، والقتل والتشريد ، والتحريف في معالم الدين ، وسنة سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) ، كل ذلك بسبب الإنحراف الذي حصل بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ، وسكوت الساكتين ، ورضى الطامعين بالدنيا وزخرفها .

ولسوف يجدون جهنم لهم بالمرصاد ، ويلقون هناك العذاب الشديد ، المخصص لظالمي ذرية سيد الأنبياء والمرسلين ، وحبيب رب العالمين (صلى الله عليه وآله أجمعين) .

[إذا كشف لكم الغطاء ، وبان ما وراءه الضراء ، وبدا لكم ما لم تكونوا تحتسبون]

---

[١] الإنفطار /٥

[٢] راجع تفسير الإختيار سورة الإنفطار للمؤلف .

أي أن الإنسان يعيش في الحياة في حالة من الغفلة ، والتسويف في أمور الآخرة ، فإذا مات كشف الله الغطاء عن بصيرته ، ورأى الحقيقة رأي العين وعرف ما كان يجب فعله في دار الدنيا ليسرّه في الآخرة ، وظهر له نتيجة أعماله القبيحة التي فعلها فيها ، وأن عذاب الظالمين هناك مما لا يتصوره عقل ولا يخطر على قلب بشر .

ثم أدخلت (سلام الله عليها) في ختام كلامها قول الله تعالى : ولنذكر الآية بكاملها ، ﴿ **ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾ [1]

أين العقلاء اليوم ؟.

أين الذين عندهم ذرةٌ من الإيمان ، ليفكروا بهذا الكلام عن مصير الذين يظلمون ، ويعتدون ليتمتعوا بحطام الدنيا أياماً معدودةً .

إنهم يخلدون في نارٍ حامية ، مطبقة عليهم أبداً .

بعد أن أنهت كلامها (صلوات الله عليها) عطفت على قبر أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وألقت بنفسها عليه ثم قالت :

قد كان بعدكَ أنباءٌ وهنبثةٌ	لو كنتَ شاهدها لم تكثر الخطبُ
إنّا فقدناكَ فقد الأرض وابلها	واختل قومكَ فأشهدهم وقد نكبوا
وكل أهل له قربى ومنزلة	عند الإله على الأدنين مقتربُ
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم	لمّا مضيت وحالت دونك التُربُ

---

[1] الزمر /٤٧

تجهمتنا رجال وأستُخفّ بنا — لمّا فُقدتَ وكل الإرث مغتصبُ

وكنتَ بدراً ونوراً يستضاء به — عليكَ ينزل من ذي العزّة الكتبُ

وكان جبريل بالآيات يؤنسنا — فقد فُقِدتَ وكل الخير محتجبُ

فليتَ قبلكَ كان الموت صادفنا — لمّا مضيتَ وحالت دونكَ الكثبُ

إنّا رزينا بما لم يرزَ ذو شجنٍ — من البرية لا عجمٌ ولا عربُ

بعد أن أنهت الزهراء (عليها السلام) خطابها أمام الصحابة في المسجد، واحتجاجها عليهم، بكتاب الله تعالى، والسنة النبوية الشريفة، والبراهين العقلية المتينة، عكفت على قبر أبيها (صلى الله عليه وآله) وروت غليلها من البكاء على صاحب القبر، وشكت إليه أصحابه، وما فعلوا بها من بعده .

بعد أن أنهت هذه المهمة الشريفة المباركة، عادت إلى بيتها، ولا أدري كيف عادت !.

هل هي منتصرة أم منكسرة، رابحة أم خاسرة ؟.

نعم، بإمكاننا أن نقول : إنها ظاهراً منكسرة وخاسرة، متألمة وحزينة .

ولكن حقاً وواقعاً كانت هي الرابحة، وهي المنتصرة، لأنها بيّنت للناس وللتاريخ، من هم هؤلاء القوم، الذين غيروا كلام الله تعالى، ونقضوا حكم رسوله (صلى الله عليه وآله)، وغصبوا الحق من أهله (عليهم السلام) .

من هم هؤلاء الذين فعلوا ما فعلوا، وظلموا وقتلوا، وسفكوا الدماء بإسم الدين، وبظل الإسلام .

إن فاطمة الزهراء (عليها السلام) أظهرت زيفهم ونفاقهم ، وهـذا مـا سنعرفه من كلامها (عليها السلام) عندما ذهب أبو بكر وعمر لإسترضائها وعيادتها في مرضها الذي ماتت فيه .

بعد خروج الزهراء (عليها السلام) من المسجد ، جرى كلام ومعاتبة بين أبي بكر والأنصار ، منه تعرف كرهه لأهل البيت (عليهم السلام) ، واعتقاده بهم .

يروي إبن أبي الحديد [١] : إن أبا بكر صعد المنبر وقال : أيها الناس ! ما هذه الرعة إلى كل قالة ؟.

أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ ألا من سمع فليقل ، ومن شهد فليتكلم .

إنما هو ثعالة ! شهيده ذنبه ، مربٌّ لكل فتنة ، كأم طحال أحب أهلها إليها البغيّ .

ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت : ولو قلت ، لبحت ، إني ساكت ما تركت ، ثم التفت إلى الأنصار وقال : قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم ، وأحق من لزم عهد رسول الله أنتم ، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم ، ألا إني لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك .

ثم نزل [٢] .

قال إبن أبي الحديد : قرأت هذا الكلام على النقيب ، أبي يحي جعفر بن يحي بن أبي زيد البصري وقلت له : بمن يعرّض ؟ فقال بل يصرح !.

---

[١] في شرح نهج البلاغة ج٤ /ص٨٠

[٢] فدك في التاريخ /ص٥٠

قلت : لو صرح لم أسئلك ، فضحك وقال : لعليّ بن أبي طالب !!

قلت : هذا الكلام كله لعليّ يقوله ؟ قال : نعم ، إنه الملك يابنيّ .

قلت فما مقالة الأنصار ؟.

قال : هتفوا بقول عليّ ! فخاف من اضطراب الأمر عليهم ، فنهاهم .

فسألته عن غريبه : -أي عن معنى الكلمات - فقال : أمّا الرعة : - بالتخفيف -أي الإستماع والإصغاء .

والقالة : القول . وثعالة : إسم الثعلب ، مثل ذؤالة للذئب .

وشهيده ذَنَبه : أي لا شاهد له على ما يدعيه إلا بعضه ، وجزء منه ، وأصله مَثَل .وأم طحال : امرأة بغيّ في الجاهلية ، يضرب بها المَثَل ، فيقال : أزنى من أم طحال [1] .

فكّر أيها القاريء المنصف ، بكلام أبي بكر : الذي يصف فيه مولانا أمير المؤمنين ، وسيد المتقين ، وقائد المسلمين في سبيل الدين ، وإعلاء كلمة رب العالمين في الأرَضين .

فكّر في هذا الرجل : الذي لم ير له التاريخ منقبة ، أو فضيلة إلا ما حَاكَ له أتباعه من الأكاذيب ، والأضاليل .

فهو يصف أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه ثعلب ! والزهراء (عليها السلام) بأنها ذنب الثعلب ! ويلقب مولانا علي (عليه السلام) بأنه مثل أم طحال الزانية !!.

فهل عنده ذرة من الإيمان ؟ أو قليل من الضمير والوجدان ، بل نقول : كما قال أبو جعفر النقيب لإبن أبي الحديد : إنه الملك !!!

---

[1] فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد /ص٥٠٤ ، والبحار مجلد٨/ص١٢٣ الطبعة القديمة .

شعاعٌ من نور الزهراء (عليها السلام)

شعّت فلا الشمسُ تحكيها ولا القمرُ زهراءَ من نورها الأكوانُ تزدهرُ
بنتُ الخلودِ لها الأجيالُ خاشعةٌ أُمُّ الزمانِ إليها تنتمي العصرُ
خصالُها الغرُّ جلّتْ أن تلوكَ بها منا المقاولُ أو تدنو لها الفكرُ
معنى النبوةِ سرُّ الوحيِّ قد نزلتْ في بيت عصمتِها الآياتُ والسورُ
حوتْ خلالَ رسولِ الله أجمعَها لولا الرسالةُ ساوى أصلَهُ الثمرُ
قلْ للذي راحَ يُخفي فضلَهَا حسداً وجهُ الحقيقةِ عنّا كيفَ ينستِرُ
أتقرنُ النورَ بالظلماءِ من سفهٍ ما أنتَ في القولِ إلاّ كاذبٌ أشِرُ
بنتُ النبيِّ الذي لولا هدايتُهُ ما كان للحق لا عين ولا أثرُ
هي التي ورثتْ حقاً مفاخرَهُ والعطرُ فيه الذي في الورد مدّخرُ
في عيد ميلادِها الأملاكُ حافلةٌ والحورُ في الجنة العُليا لها سمرُ
تزوجتِ في السما بالمرتضى شرفاً والشمسُ يقرنُها في الرتبة القمرُ
على النبوةِ أضفتْ في مراتبها فضلَ الولاية لا تُبقي ولا تذرُ
قف يا يراعي من مدح البتول ففي مديحها تهتقُ الألواحُ والزُبرُ
وارجع لنستخبر التاريخ عن نبأٍ قد فاجأتنا به الأنباءُ والسيرُ
هل أسقطَ القومُ حقاً حملَهَا فهوت تئن مما بها والضلعُ منكسرُ
وهلْ كما قيلَ قادوا بعلَها فعدتْ وراهُ نادبةً والدمع منهمرُ
إنْ كانَ حقاً فإنَّ القومَ قدْ مرقوا عن دينهمْ وبشرع المصطفى كفروا

إعلموا أني فاطمة ج٩/ص١٧٧

كلام الزهراء لأمير المؤمنين (عليهما السلام) بعد رجوعها من المسجد

الأصـل

ثم انكفأت (عليها السلام) ، وأمير المؤمنـين (عليه السلام) يتوقـع رجوعهـا إليـه ، ويتطلع طلوعها عليه ، فلما استقرت بهـا الـدار ، قـالت لأمـير المؤمنـين (عليه السلام) :

ياابن أبي طالب ! اشتملتَ شَملَةَ الجنـين ، وقعـدتَ حجـرة الظنـين ، نقضتَ قادمةَ الأجدل ، فخانكَ ريش الأعزل .

هذا ابن أبي قحافـة ! يبتزّني نحلـة أبـي ، وبُلغـةَ ابنيّ ، لقـد أجهـر في خصامي ، وألفيتُه الألدّ في كلامي ، حتى حبستني قيلةُ نصرها ، والمهاجرةُ وصلها ، وغضّت الجماعةُ دوني طرفها ، فلا دافع ، ولا مـانع ، خرجـتُ كاظمة ، وعدتُ راغمة ، أضرعتَ خدّك ، يوم أضعتَ حـدّك ، افترسـتَ الذئاب ، وافترشتَ التراب ، ما كففـتَ قـائلاً ، ولا أغنيـتَ بـاطلاً ، ولا خيار لي ، ليتني متُّ قبل هينتي ، ودون ذلـتي ، عذيـري الله منـه عادياً ، ومنكَ حامياً ، ويلاي في كل شارق ، ويلاي في كل غارب ، مات العمـد ووهن العضد ، شكواي إلى أبي ، وعدواي إلى ربي !.

اللهم إنك أشد منهم قوّة وحولاً ، وأشد بأساً وتنكيلاً .

الشرح

بعد أن أدت الزهراء (عليها السلام) دورها الأكمل ، وبلّغت رسالتها للجماهير على وجهها الأفضل ، والناس في المسجد ، كل منهم على هواه : فمنهم منافق ، راوغ وحافظ على دنياه .

ومنهم : من صاح وطالب بأمير المؤمنين (عليه السلام) .

ومنهم : عبّر عن هذه المأساة بالبكاء والعويل حتى قيل : فما رأينا أكثر باكٍ ولا باكية من ذلك اليوم .

ومنهم من بقي على غيّه وفجوره .

وهكذا عادت أم الحسنين (عليهم السلام) إلى زوجها الذي كان ينتظر رجوعها بفارغ الصبر .

ولكن بقي لديها كلام ، عليها أن تسجله للتاريخ ، وللمنصفين من أبناء الأمة ، فصاغته بطريقة الحوار مع زوجها (عليهما السلام) .

قال : ثم انكفأت وأمير المؤمنين (عليه السلام) يتوقع رجوعها إليه ، ويتطلع طلوعها عليه ، فلما استقرت بها الدار ، قالت لأمير المؤمنين (عليه السلام) :

[يابن أبي طالب]

بدأت الزهراء (عليها السلام) خطابها لأمير المؤمنين (عليه السلام) بإسم أبيه (أبو طالب) وذلك من باب التعظيم والمدح .

وهذا النـداء مغـاير كـل المغـايرة لمـا قالتـه (عليها السلام) في خطابهـا السـابق للمدّعي الغاصب ، عندما نادته : ياابن أبي قحافة ، لأن أبـا قحافـة مـن قـد علمنا وضعه في المجتمع العربي قبل الإسلام !.

وأمّا أبو طالب : فهو المعروف في مجتمعه بشيخ الأباطح [١] ، وسيد أهل مكة .

إنه عظيم من عظماء قريش ، وحامي الرسول (صلى الله عليه وآله) ، والمدافع عن الدعوة عندما كانت في المهد .

عندما نادته الزهراء (عليها السلام) بهـذا النـداء ، وخاطبتـه بهـذا الخطـاب ، كانت تعني هذه النواحي بأبي طالب (عليه السلام) ، مـن الشـجاعة والبطولـة ، والشرف والكرم والمروءة .

وهذا الكلام المادح لأمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه إبن أبي طـالب ، الرجـل العظيم المعروف ، هو لتستنهضه للأخذ بحقها من ظالمها .

[اشتملتَ شملة الجنين ، وقعدتَ حجرة الظنين]

أي حبست نفسك في بيتك ، كالطفل في بطن أمـه ، وجلسـت في دارك كما يجلس المتهم خوفاً من الناس .

[نقضتَ قادمة الأجدل ، فخانكَ ريش الأعزل]

---

[١] إسم للسيل في الوادي ، الذي يحمل معه الرمل والحصى الصغير . وأبو طالب لقب بهذا اللقب لكرمه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أي كنتَ صقراً تكسر وتفتك بجميع الطيور ، وأصبحتَ الآن كالطائر الكبير الذي وقع ريشه فصار أعزلاً ، لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، حتى اعتدى عليه ضعاف الطيور وأحقرها .

[هذا ابن أبي قحافة !]

أي أنت العظيم ، وهذا الوضيع ، وأنت الأسد الكاسر ، وهذا الثعلب الماكر ، وأنت إبن أبي طالب (عليه السلام) ، المشهود له بالمناقب والفضائل ، وهذا ابن أبي قحافة الذي كان خادماً عند إبن جذعان .

وقد ذكرنا آنفاً : إن ذكرها أبا قحافة ليس للتعظيم ، بل للطعن والتحقير

[يبتزني نحلة أبي ، وبلغة إبنيّ]

أي هذا الخامل الذي ليس له ولا لأبيه ذكر ، يسلبني عطية والدي الذي أعطانيها ، ويغتصب معاش ولديّ

[لقد أجهر في خصامي ، وألفيتُه الألدّ في كلامي]

أي لقد أعلن مخاصمتي ، ومعاداتي ، وقد افترى على الرسالة والرسول (صلى الله عليه وآله) ، فأنكر ما في القرآن من التوارث مطلقاً ، سواء كانوا أنبياء أم لا ، وكذب على لسان الرسول (صلى الله عليه وآله) بحديث افتراه .

[حتى حبستني قيلةُ نصرها ، والمهاجرةُ وصلها]

أي كان ما فعله إبن أبي قحافة من التجرّوء علـى ا لله وكتابـه ورسـوله ، ومن دسّه الآحاديث الكاذبة ، ومـن غصـب حقـي ، وبُلغـة أطفـالي ، حتـى خذلني الأنصار ، وحبسوا مساعدتهم عني ، وانكفـأ المهـاجرون ، ولم يمـدّوا يَدَ العون ، وكأنما الجميع قد قطع صلته برسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) .

[وغضّت الجماعةُ دوني طرفها ، فلا دافع ولا مانع]

أي كل الحضور أغمضوا أعينهم ، وأقفلوا آذانهم ، فلا مـن يدافـع ، ولا من يردع ، وكأنهم غير موجودين .

[خرجتُ كاظمة ، وعدتُ راغمة]

أي خرجتُ من بيتي متألمة مقهورة ، وعـدتُ عـاجزة مخذولـة ، لأنـه لا ناصر لي ولا معين .

[أضرعتَ خدك ، يوم أضعتَ حدّك]

أي أذليتَ نفسك ، بعدما أبيتَ أن تأخذ حقك .

[افترستَ الذئاب ، وافترشتَ التراب]

أي بعد أن كنتَ أسداً تقتل ، وتفترس الجميع ، وصـل بـك الأمـر إلى أن تفترش التراب .

[ما كففتَ قائلاً ، ولا أغنيتَ باطلاً]

أي أنك ما كففتَ المشككين ، ولا دفعتَ المتجرئين عليّ ، ولا ردعتَ الباطل والمبطلين .

[ولا خيار لي ، ليتني متُّ قبل هينتي ، ودون ذلتي]

أي أن الزهراء (سلام الله عليها) لم يعد لها خيار ، إلاّ أن تتمنى لو أنها ماتت قبل أن تتعرّض للإهانة والمذلة التي لحقت بها ، ليس من الذي اغتصب حقها فقط ، بل ومن مجموع المسلمين الذين لم يناصروها ، ولم يؤآزروها لأسترداد إرثها الشرعيّ .

[عذيري الله منه عادياً ، ومنكَ حامياً]

أي أنتصر بالله تعالى ، وأستعين على هذا الذي تجاوز الحد في عدائي ، وليس لي ناصر ولا معين إلاّ الله سبحانه ، وأستعين بالله أيضاً وأصبر على أنك لا تحميني من أعدائي .

[ويلاي في كل شارق ، ويلاي في كل غارب]

تُقال هذه الجملة عند حصول المصيبة الشديدة .

أي وامصيبتاه في كل شروق شمس ، وفي كل غروب .

ولماذا هذا التوجع والتألم ؟ .

[مات العمد ، ووهن العضد]

أي مات الذي كنا نعتمد عليه ، وتعني بـه رسـول ا لله (صلى الله عليه وآله) ، وضعف المساعد ، الذي كان القوة الضاربة بين يديه ، وتعني به مولانـا أمـير المؤمنين (عليه السلام) .

[شكواي إلى أبي ، وعدواي إلى ربي]

أي أبث شكواي إلى أبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، وأوكل أعدائي إلى ربـي يقتص منهم كما يشاء ، وكيف يريد .

ثم اتجهت إلى ا لله سبحانه بقلب ملؤه الأسى واللوعة ، وقالت :

[اللهم إنك أشد منهم قوّةً وحولاً ، وأشد بأساً وتنكيلاً]

أي ياربِّ ! إني أوكل أعدائي إليـك ، تقتـص منهـم حـين تشـاء ، وأنّـى تشاء .

إن مظلمتي بين يديك ، وإنك أشد حولاً وبطشاً وقوةً

بهذا الدعاء القصير أنهت الزهراء (عليها السلام) كلامها .

من قصيدة للشيخ عبد المنعم الفرطوسي

شجونٌ تُستهلُّ لها الدموعُ وتُحرقُ من لواعجها الضلوعُ

وقفتُ على البقيع فسالَ طرفي وقلبي فالدموعُ هيّ النجيعُ

كأن مصيبةَ الزهراء بيتٌ بقلبي للأسى وهو البقيعُ

أمثلَ البضعةِ الزهراءِ تُجفى ويُعفى قبرُها وهو الرفيعُ

ويغصبُ حقُّها جهراً وتؤذى بحيثُ وصيةُ الهادي تضيعُ

تُصدُّ عن البكاء على أبيها فتحبس في محاجرها الدموعُ

وتُقتطعُ الآراكة حين تأوي لظلِّ غصونِها كفٌّ قطيعُ

ويُحرقُ بيتها بالنار حقداً ويُهتكُ سترها وهو المنيعُ

ويكسر ضلعها بالباب عصراً فيسقطُ حملُها وهو الشفيعُ

ويدمى صدرها المسمارُ كسراً فينبع بينَ ثدييها النجيعُ

ويُنثرُ قرطُها لطماً ويلوى عليها السوطُ والسيفُ الصنيعُ

وحمرة عينها للحشر تبقى بها من كفِّ لاطمها تشيعُ

تنوح فتسمع الشكوى وتدعو وما في المسلمين لها سميعُ

مصائبُ بالفظاعة قد تناهتْ وكلُّ مصيبةٍ خطبٌ فظيعُ

قضت ألماً من الزهراء فيها حشاشة قلبها وهو المروعُ

.إعلموا أني فاطمة ج٩/ص١٩٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جواب أمير المؤمنين (عليه السلام)

الأصـل

لا ويل عليكِ ، بل الويل لشانئكِ .

ثم نهنهي عن نفسكِ يابنة الصفوة ، وبقية النبوّة ، فما ونيتُ عن ديني ولا أخطأتُ مقـدوري ، فإن كنـتِ تريديـن البُلغـة ، فرزقـكِ مضمـون ، وكفيلكِ مأمون ، ومـا أُعـدّ لـكِ خـير مما قُطـع عنـكِ ، فاحتسـبي الله .

فقالت : حسبي الله . وأمسكت .

الشرح

لا بد لأمير المؤمنين (عليه السلام) من أن يجيبها ليخفف عنها الآلام والأحـزان التي ألمت بها فقال :

[لا ويل عليكِ ، بل الويل لشانئكِ]

هذا رد على قول الزهراء (عليها السلام) : ويلاي ، فقال لها : ليس الويل لكِ أو عليكِ ، بل الويل والعذاب الشديد ، والعقاب الأليم لمبغضكِ ، وظالمكِ ، وغاصب حقكِ .

[نهنهي عن نفسكِ يابنة الصفوة ، وبقية النبوّة]

أي هوني عن نفسكِ يابنت من اصطفاه ا لله تعالى على العالمين ، وجعله سيد الأنبياء والمرسلين ، وفضله على المخلوقات أجمعين : من الأولين والآخرين .

[فما ونيتُ عن ديني ، ولا أخطأتُ مقدوري]

أي لم أتأخر عن أمر فيه لربي رضا ، وهذا هو ديدني وطريقتي ، و لم أتوانَ عن شيء وقع تحت قدرتي واستطاعتي ، وإنما أنا ساكت الآن لأجل الدين ، ورضا رب العالمين ، وبقاء رسالة سيد المرسلين ، ولأنه (صلى الله عليه وآله) أمرني بالصبر والسكوت ، إن لم أجد أعواناً أجاهد بهم .

[فإذا كنتِ تريدين البُلغة ، فرزقكِ مضمون ، وكفيلكِ مأمون]

أي إن كنتِ تريدين من مطالبتكِ بأرض فدك ، والإرث وغيرها من الحقوق ، ما تبلغي به الكفاف من العيش لكِ ولأولادكِ ، فرزقكِ مضمون ، لأن الرزق على ا لله سبحانه ، وهو ضامن أرزاق كل المخلوقات ، بشراً كانوا أم لا ، وا لله لا يخلف الميعاد .

[وما أُعد لكِ أفضل مما قطع عنكِ ، فاحتسبي ا لله]

أي ما أعد ا لله لك في الآخرة ، من الدرجات الرفيعة ، والمنازل العالية ، **﴿ مع الذين أنعم ا لله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**

وحسن أولئك رفيقا ﴾ [(١)] خير لك وأفضل من الأراضي ، والإرث ، وخير لك من الدنيا وما فيها ، فاحتسبي واصبري لما يرضي ا لله سبحانه ، وتعود عاقبته بالنفع الكبير عليكِ .

فقالت (عليها السلام) :

[حسبي ا لله]

وأمسكت .

بهذه الكلمات المهدئة ، والعبارات المطمئنة ، هدأت بعد غضب ، وسكنت بعد حزن ، واطمأنت إلى كلام أمير الكلام (عليه وعليها الصلاة والسلام) .

وروي : إن أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن سمع من الزهراء (عليها السلام) هذا الكلام ، أراد أن يحرّك غيرتها ، ويعلِمها ، وليعلِمَ التاريخ أيضاً ، أنه إنما سكت عمن ظلمها ، و لم ينتصر لها بالقوّة ، لأجل الدين ، ولأجل الحفاظ على رسالة رب العالمين .

إذ أنه بعد أن سمع شكايتها ، وهمّ بالخروج مُغضباً لإستخلاص حقها ، سمع المؤذن يقول : (أشهد أن لا إله إلا ا لله ، أشهد أن محمداً رسول ا لله) فالتفت (عليه السلام) إلى الزهراء (عليها السلام) وقال : يا فاطمة ! إن أنا خرجت على مثل حالي هذه ، فلن تسمعي لهذا الصوت ذكراً بعد اليوم !!.

أأخرج ؟ أم تصبري ؟؟.

فقالت (عليها السلام) : بل أصبر ياابن العم ، لا تخرج [(٢)].

---

(١) النساء /٦٩

(٢) إعلموا أني فاطمة ج١٠/ص٣٧٠

يسأل البعض : لماذا لم يقم أمير المؤمنين (عليه السلام) ليأخذ حقه بالقوّة ، وهو المعروف بشجاعته وقوته ؟ .

إن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو باب مدينة العلم ، وهو نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فهو يعلم علم اليقين أن الإسلام ما زال في المهد ، وأن الدولتين العظميين – الشرق الفارسي والغرب الروماني – تنتظران مصير الدين الجديد ، وأن العرب ، سواء الذين أسلموا ، أم الذين استسلموا مستعدون للإرتداد والرجوع عن الدين الجديد إلى الجاهلية التي عاشوا في ظلماتها سنين طويلة .

فأيّ خلاف داخلي ، سيكون فرصة للأعداء حتى ينقضوا على الإسلام ، ويقضوا عليه .

لهذا عندما بلغه (عليه السلام) قول ابن عمه عتبة بن أبي لهب :

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفاً عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن
عن أول الناس إيماناً وسابقةً وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عون له بالغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن

بعث إليه (عليه السلام) ، ونهاه عن ذلك ، وقال : سلامة الدين أحب إلينا من غيره [1] .

إذن سلامة الدين هي الغاية ، وإن وقع عليه وعلى أهل بيته الظلم والقتل والتشريد .

---

[1] راجع عبد الله بن سبأ /ص١١٤ عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

حديث إحراق دار فاطمة الزهراء (عليها السلام) من طرق أهل السنة

بعد أن نجح الحزب السري ، الذي أُسِّسَ في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ، بالإنقلاب ، بعد وفاته ، وبالإستيلاء على الحكم ، وأصبحت المعارضة ضعيفة ومنحصرة في أفراد معدودين ،

منهم : العباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأُبيّ بن كعب ، وعبادة بن الصامت وأبي الهيثم بن التيهان ، وخذيفة بن اليماني ، وجماعة من بني هاشم ، وجمع من المهاجرين والأنصار [1] .

وبعد أن باءت بالفشل محاولات فاطمة الزهراء (عليها السلام) وحوارها مع أولئك المنافقين .

جمع أبو بكر مستشاريه : عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، والمغيرة بن شعبة ، وتشاور معهم ، وقرَّ رأيهم على أن يذهبوا إلى العباس بن عبد المطلب ، لإستمالته وإبعاده عن عليّ (عليه السلام) وأصحابه ، فيضعف بذلك تيار المعارضة .

ولكنهم باءوا بالفشل ، وبقي العباس على تمسكه بعليّ (عليه السلام) .

---

[1] راجع كتاب عبد الله بن سبأ وأساطير أُخرى/ص١٠٢ ، وتاريخ اليعقوبي ، وشرح ابن أبي الحديد ، والإمامة والسياسة لابن قتيبة .

وأصبح هؤلاء المعارضون لما جرى في سقيفة بني ساعدة في غفلة من الزمن يعتبرون أن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) هو الخليفة الشرعي بنصٍّ من الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) .

وكانوا يجتمعون كلهم أو بعضهم ، في أغلب الأحيان ، في بيت أميرهم عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

وقد ذكر المؤرخون سبب الهجوم على دار فاطمة (عليها السلام) ، لإحراقه . وهو أنه : غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر ، منهم علي بن أبي طالب والزبير ، فدخلا بيت فاطمة ومعهم السلاح [١] .

فبلغ أبا بكر وعمر : أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله .

وأنهم إنما اجتمعوا ليبايعوا علياً [٢] .

روى في العقد الفريد [٣] .

قال : ...فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له : إن أبوا فقاتلهم ، فأقبل بقبسٍ من نار على أن يضرم عليهم الدار ، فلقيتهم فاطمة فقالت : يابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا ؟!

قال : نعم ! أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة [٤] .

---

[١] الرياض النضرة ج١/ص١٦٧ وشرح ابن أبي الحديد ج١/ص١٣٢ وج٦/ص٢٩٣ وتاريخ الخميس ج١/ص١٨٨

[٢] تاريخ اليعقوبي ، وتاريخ إبن شحنة /ص١١٢ ، وشرح إبن أبي الحديد ج٢/ص١٣٤

[٣] ج ٣/ص٦٣

[٤] راجع البحار ج٢٨/ص٣٣٩ ودلائل الصدق ج٣/ص٧٨ وعبد الله بن سبأ /ص١٠٨

وروى في كنز العمال [١] .

قال : إن عمر قال لفاطمة : ما من الخلق أحد أحب إليّ من أبيك ، وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك ، وأيم الله ! ما ذاك بمانعي ان اجتمع هؤلاء النفر عندك أن آمر بهم أن يحرق عليك الباب [٢] .

وروى في الإمامة والسياسة [٣] .

قال : إن عمر جاء فناداهم ! وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال : والذي نفس عمر بيده ، لتخرجن ، أو لأحرقنها على من فيها ، فقيل له : ياأبا حفص إن فيها فاطمة ؟! فقال : وإن [٤] .

وروى في أنساب الأشراف [٥] .

قال : إن أبا بكر أرسل إلى علي يريد البيعة ، فلم يبايع ، فجاء عمر ومعه فتيلة ، فتلقته فاطمة على الباب ، فقالت : ياابن الخطاب أتراك محرقاً عليّ بابي ؟ قال : نعم ، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك [٦] .

وروى في تاريخ الطبري [٧] .

---

[١] ج٣/ص١٤٠

[٢] عبد الله بن سبأ /ص١٠٨ ودلائل الصدق ج٣/٨٧

[٣] لابن كتيبة ج١/ص١٢

[٤] راجع البحار ج٢٨/ص٣٥٦ ودلائل الصدق ج٣/ص٨٧ وعبد الله بن سبأ /ص١٠٨

[٥] للبلاذري ج١/ص٥٥٦

[٦] راجع البحار ج٢٨/ص٣٨٩ وتلخيص الشافي ج٣/ص٧٦ وعبد الله بن سبأ /ص١٠٨

[٧] ج٣/ص٢٠٢

قال : أتى عمر بن الخطاب منزل علي ، وفيه طلحة والزبير ، ورجال من المهاجرين فقال : وا لله لأحرقن عليكم ، أو لتخرجن إلى البيعة ، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف ، فعثر فسقط السيف من يده ، فوثبوا عليه فأخذوه [١]

وروى في تاريخ إبن شحنة [٢] .

قال : إن عمر جاء إلى بيت علي ليحرقه على من فيه ، فلقيته فاطمة فقال ادخلوا فيما دخلت فيه الأمة [٣] .

وروى في شرح نهج البلاغة [٤] .

نقلاً عن كتاب السقيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهري ،قال : جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ، ونفر قليل من المهاجرين ، فقال : والذي نفسي بيده ! لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم [٥] .

كتاب الغرر [٦] .

قال : قال زيد بن أسلم : كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلىباب فاطمة (عليها السلام) حين امتنع علي (عليه السلام) وأصحابه عن البيعة ، فقال عمر لفاطمة أخرجي من في البيت ، أو لأحرقنه ومن فيه ، قال : وفي البيت علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين (عليهم السلام) ، وجماعة من أصحاب رسول الله

---

(١) البحار ج٢٨/ص٣٣٨ ودلائل الصدق ج٣/ص٨٨

(٢) مطبوع بهامش الكامل لابن الأثير ج٧/ص١٦٤

(٣) الغدير ج٧/ص٧٧ وعبدا لله بن سبأ /ص١٠٨

(٤) لابن أبي الحديد ج٢/ص١٢٤

(٥) البحار ج٢٨/ص٣٢١ ودلائل الصدق ج٣/ ٨٨

(٦) لابن خنزابة طبعة قديمة

(صلى الله عليه وآله) فقالت فاطمة (عليها السلام) : أتحرق عليّاً وولدي ؟! قال : أي والله ! أو ليخرجن وليبايعن [١] .

وروى أبو الفداء في تاريخه [٢] .

قال خلا جماعة من بني هاشم ، والزبير ، وعتبة بن أبي لهب ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد بن عمر ، وسلمان الفارسي ، وأبي ذر ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأُبيّ بن كعب ، ومالوا مع علي بن أبي طالب ، وقال في ذلك عتبة بن أبي لهب :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن
عن أول الناس إيماناً وسابقة وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن

وتخلف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان من بني أُمية .

ثم إن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة (رضي الله عنهما) وقال : إن أبوا عليكم فقاتلهم ، فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم ، فلقيته فاطمة (رضي الله عنها) وقالت : إلى أين يابن الخطاب ؟!.

أجئت لتحرق دارنا ؟! قال : نعم [٣] .

---

[١] البحار ج٢٨/ص٣٣٩ ودلائل الصدق ج٣/ص٧٨

[٢] ج١/ص١٦٤ وفي طبعة أخرى /ص١٥٦

[٣] كتاب الملاحظات /ص١٦٧

وروى أبو بكر الجوهري [١] .

قال : لمّا بويع لأبي بكر ، كان الزبير ، والمقداد ، يختلفان في جماعة من الناس إلى عليّ ، وهو في بيت فاطمة ، فيتشاورون ، ويتراجعون أمورهم ، فخرج عمر حتى دخل على فاطمة (عليها السلام) وقال : يابنت رسول الله ما من أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك ، وما من أحد أحب إلينا منك بعد أبيك ، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن آمر بتحريق البيت عليهم [٢] .

وروى الجوهري أيضاً [٣] .

قال : بالإسناد إلى سلمة بن عبد الرحمن ، قال : لما جلس أبو بكر على المنبر ، كان علي والزبير ، وناس من بني هاشم في بيت فاطمة ، فجاء عمر إليهم فقال : والذي نفسي بيده ! لتخرجن إلى البيعة ، أو لأحرقن البيت عليكم .

فخرج الزبير مصلتاً سيفه ، فاعتنقه رجل من الأنصار ، وزياد بن لبيد ، فدق به ، فبدر السيف ، فصاح أبو بكر وهو على المنبر : اضرب به الحجر .

قال أبو عمرو بن حماس : فلقد رأيت الحجر فيه تلك الضربة ، ويقال : هذه ضربة سيف الزبير [٤] .

---

[١] راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١/ص١٣٠

[٢] السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري البصري/ص٣٨ تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني والبحار ج٢٨/ص٣١٣ والملاحظات/ص١٦٩

[٣] شرح نهج البلاغة ج١/ص١٣٤ وج٢/ص١٩

[٤] السقيفة وفدك للجوهري /ص٥٠ ، والبحار ج٢٨/ص٣١٥ ؛ والملاحظات /ص١٧٠

وروى الجوهري أيضاً [١] .

من رواية أخرى : أن سعد بن أبي وقاص ، كان معهم في بيت فاطمة (عليها السلام) ، والمقداد بن الأسود أيضاً ، وأنهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً (عليه السلام) ، فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت ، فخرج إليه الزبير بالسيف ، وخرجت فاطمة (عليها السلام) تبكي وتصيح ، فنهنهت من الناس [٢]

وروى الواقدي بإسناده

قال : إن عمر بن الخطاب ، جاء إلى علي (عليه السلام) في عصابة فيهم أسيد بن حضير ، وسلمة بن أسلم ، فقال : اُخرجوا أو لنحرقنها عليكم [٣] .

وروى إبراهيم بن محمد الثقفي :

على ما نقل عنه الشريف المرتضى علم الهدى (ره) في كتابه الشافي ، بإسناده إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) أنه قال : والله ما بايع عليّ (عليه السلام) حتى رأى الدخان قد دخل بيته [٤] .

وروى الشهرستاني في الملل والنحل [٥] .

قال إبراهيم بن يسار بن هاني النظام : إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة ، حتى ألقت الجنين من بطنها ، وكان يصيح : احرقوا دارها بمن فيها

---

[١] نفس المصدر من شرح النهج

[٢] نفس المصدر من البحار ، والملاحظات ، وكتاب ماذا تقضون/ص٤٢٣

[٣] البحار ج٢٨/ص٣٣٩

[٤] البحار ج٢٨/ص٣٩٠ وكتاب تلخيص الشافي ج٣/ ص٧٦

[٥] ج١/ص٥٧

وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين [١] .

وهناك روايات وأحاديث أخرى تصور لنا كيف كان الهجوم على دار فاطمة (عليها السلام) لإخراج أمير المؤمنين (عليه السلام) ليبايع أبا بكر ، منها :

ماروواه إبن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة :

..وأن أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند عليّ ، فبعث إليهم عمر ، فجاء فناداهم ! وهم في دار عليّ ، فأبوا أن يخرجوا ، فدعا بالحطب وقال : والذي نفس عمر بيده لتخرجن ، أو لأحرقنها على من فيها ، فقيل له : يا أبا حفص ! إن فيها فاطمة ؟! فقال : وإن !.

فخرجوا فبايعوا إلا علياً ، فإنه زعم أنه قال : حلفت أن لا أخرج ، ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن .

فوقفت فاطمة على بابها ، فقالت : لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضراً منكم ، تركتم رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) جنازة بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم ، لم تستأمرونا ، ولم تردوا لنا حقاً .

فأتى عمر أبا بكر ، فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة ؟.

فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له : إذهب فأدع لي علياً ، قال : فذهب إلى علي فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : يدعوك خليفة رسول الله ، فقال علي : لسريع ما كذبتم على رسول الله !.

فرجع فأبلغ الرسالة ، قال : فبكى أبو بكر طويلاً .

---

[١] كتاب ماذا تقضون /ص٤٢٣

فقال عمر الثانية : لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة ، فقال أبو بكر لقنفذ : عد إليه ، فقل له : خليفة رسول ا لله يدعوك لتبايع ، فجاءه قنفذ فادّى ما أمر به ، فرفع علي صوته فقال : سبحان ا لله ! لقد ادّعى ما ليس له ، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة ، فبكى أبو بكر طويلاً ، ثم قام عمر فمشى معه جماعة ، حتى أتوا باب فاطمة ، فدقوا الباب ، فلما سمعت أصواتهم ، نادت بأعلى صوتها : يا أبتِ يا رسول ا لله ! ماذا لقينا بعدك من إبن الخطاب ، وإبن أبي قحافة ؟!.

فلما سمع القوم صوتها وبكاءها ،انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم تنصدع ، وأكبادهم تنفطر ، وبقي عمر ومعه قوم ، فأخرجوا عليّاً ، فمضوا به إلى أبي بكر ، فقالوا له : بايع ، فقال : إن أنا لم أفعل فمه ؟.

قالوا : إذا وا لله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك ! قال : إذا تقتلون عبد ا لله وأخا رسوله ، قال عمر : أما عبد ا لله فنعم ، وأما أخو رسوله فلا ! وأبو بكر ساكت لا يتكلم ، فقال له عمر : ألا تأمر فيه بأمرك ، فقال : لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه ، فلحق علي بقبر رسول ا لله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) يصيح ويبكي ، وينادي : ﴿ **يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني** ﴾ [1] .

وروى إبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة

---

[1] راجع الإمامة والسياسة ج١/ص١٢و١٣ والآية/١٥٠ /الأعراف

قال : عن ابي الأسود ، قال : غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة ، وغضب علي والزبير ، فدخلا بيت فاطمة معهما السلاح فجاء عمر في عصابة ، فيهم أسيدبن حُضير ، وسلمة بن سلامة بن قريش ، وهما من بني عبد الأشهل ، فاقتحما الدار ، فصاحت فاطمة : وناشدتهما الله ، فأخذوا سيفيهما ، فضربوا بهما الحجر حتى كسروهما ، فأخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا .

ثم قام أبو بكر ، فخطب الناس ، فاعتذر إليهم ، وقال : إن بيعتي كانت فلتة وقى الله شرها ، وخشيت الفتنة ، وأيم الله ما حرصت عليها يوماً قط ولا سألتها الله في سر ، ولا علانية قط ، ولقد قُلدتُ أمراً عظيماً مالي به طاقة ولا يدان ، ولقد وددت أن أقوى الناس عليه مكاني [1] .

وروى إبن أبي الحديد أيضاً

بإسناده عن أبي بكر الجوهري قال : عن الشعبي أنه قال : قال أبو بكر : ياعمر ! أين خالد بن الوليد ؟ قال : هو هذا ، فقال انطلقا إليهما - يعني عليّاً والزبير - فأتياني بهما ، فانطلقا ، دخل عمر ، ووقف خالد على الباب من خارج ، فقال عمر للزبير : ما هذا السيف ؟ قال : أعددته لأبايع عليّاً ، قال : وكان في البيت ناس كثير ؛ منهم المقداد بن الأسود ، وجمهور الهاشميين ، فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسره ، ثم أخذ بيد الزبير فاقامه ، ثم دفعه فأخرجه ، وقال : ياخالد ! دونك هذا ، فأمسكه خالد - وكان خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس ، أرسلهم

---

[1] راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١/ص١٣٢ ، وج٦/ص٤٧ ، والبحار ج٢٨/ص٣١٤

أبو بكر رداءً لهما – ثم دخل عمر فقال لعليّ : قم فبايع ، فتلكأ واحتبس ، فاخذ بيده ، وقال : قم ، فأبى أن يقوم ، فحمله ودفعه كما دفع الزبير !.

ثم أمسكهما خالد ، وساقهما عمر ومن معهما سوقاً عنيفاً ، واجتمع الناس ينظرون ، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال ، ورأت فاطمة ما صنع عمر ، فصرخت وولولت ، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن فخرجت إلى باب حجرتها ، ونادت : ياأبا بكر ! ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله ! والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله [١] .

وروى اليعقوبي في تاريخه

قال : ..وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله ، فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار ، وخرج علي ومعه السيف ، فلقيه عمر ، فصارعه عمر ... وكسر سيفه ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت : والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ، ولأعجّنّ إلى الله ! فخرجوا وخرج من كان في الدار ، وأقام القوم أيّاماً .

ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع ؛ ولم يبايع علي إلا بعد ستة أشهر ، وقيل : أربعين يوماً [٢] .

اعتذار القاضي عبد الجبار

---

[١] شرح النهج ج٢/ص١٩ والبحار ج٢٨/ص٣٢٢

[٢] تاريخ اليعقوبي ج٢/ص١٢٦ والملاحظات /ص١٧٧

واعتذر القاضي عبد الجبار – وهو من كبار علماء أهل السنة –عن فعل أبي بكر وعمر بهجومهم على بيت أهل البيت (عليهم السلام) وقصدهم بإحراقه وإخراج علي (عليه السلام) عنوة فقال : فأمّا ما ذكروه من حديث عمر في باب الإحراق ، فلو صحّ لم يكن طعناً على عمر ، لأن له أن يهدد من امتنع عن المبايعة إرادة للخلاف على المسلمين [١] .

فأجابه الشريف المرتضى (رضوان الله عليه)

فأمّا قوله : إن حديث الإحراق ما صحّ ، ولو صحّ لم يكن طعناً لأن له أن يهدد من امتنع عن المبايعة إرادة للخلاف على المسلمين .

فقد بينا أن خبر الإحراق قد رواه غير الشيعة ممن لا يتهم على القوم ، وإن دفع الروايات بغير حجة أكثر من نفس المذاهب المختلف فيها ، لا يجدي شيئاً ، والذي اعتذر به من حديث الإحراق إذا صحّ طريف !.وأي عذر لمن أراد أن يحرّق على أمير المؤمنين وفاطمة (عليهما السلام) منزلهما ؟.

وهل يكون في مثل ذلك علّة يُصغى إليها ، أو تسمع ، وإنما يكون مخالفاً على المسلمين ، وخارقاً لإجماعهم .

ثم قال : (ره) وبعد فلا فرق بين أن يهدد بالإحراق للعلة التي ذكرها ، وبين ضرب فاطمة (عليها السلام) لمثل هذه العلة ، فإن إحراق المنازل أعظم من ضربه بالسوط ، وما يحسن الكبير ممن أراد الخلاف على المسلمين أولى بأن

---

[١] راجع الشافي ج٤/ص١١٢ والملاحظات /ص١٧٧

يحسن الصغير ، فلا وجه لإمتعاض صاحب الكتاب ، من ضربة السوط ، وتكذيب نقلها ، وعنده مثل هذه الأعذار [١] .

أقول : هذه مجمل الروايات التي استطعنا أن نحصل عليها من طريق أهل السنة ، وقد رواها الثقات من علمائنا الأبرار .

أمثال : الشريف المرتضى – علم الهدى – في كتابه الشافي ، والشيخ أبو جعفر الطوسي – شيخ الطائفة – في كتابه تلخيص الشافي ج٣ ، والشيخ محمد باقر المجلسي في البحار ج٢٨ ، والشيخ محمد حسين المظفر في كتابه دلائل الصدق ج٣ ، والسيد مرتضى العسكري في كتابه عبد الله بن سبأ وأساطير أُخرى .

وربما هناك الكثير من المصادر المعتبرة المدفونة في طي الكتمان ، فيكون التقصير منّا في إظهارها ونشرها لطلاب الحقيقة ، وما أكثرهم في هذه الأيام

وقد لخص هذه الروايات المتقدمة شيخنا الأميني (ره) في غديره العذب الصافي ، لمن يحب أن يشرب ، والشارب منه لا يرتوي ، لأن لذته لا تنتهي

قال : [٢] ...أو إلى اللائذين بدار النبوّة ، مأمن الأمة ، وبيت شرفها ، بيت فاطمة وعليّ (سلام الله عليهما) وقد لحقهم الإرهاب والترعيد ، وبعث إليهم عمر بن الخطاب ، وقال لهم : إن أبوا فقاتلهم . فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار ، فلقيته فاطمة فقالت : يابن الخطاب ! أجئت لتحرق دارنا ؟ قال : نعم ، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة .

---

[١] الشافي ج٤/ص١١٩ و١٢٠ والملاحظات/ص١٧٨

[٢] تابعاً لما مر في /ص٥١ من هذا الكتاب

بعد ما رأى هجوم رجال الحزب السياسي دار أهل الوحي ، وكشف بيت فاطمة ، وقد علت عقيرة قائدهم بعدما دعا بالحطب : وا لله لنحرقن عليكم ، أو لتخرجن إلى البيعة ، أو لأحرقنها على من فيها .

فيقال للرجال : إن فيها فاطمة ، فيقول : وإن .

بعد قول ابن شحنة : إن عمر جاء إلى بيت علي ليحرقه على من فيه ، فلقيته فاطمة ، فقال : ادخلوا فيما دخلت فيه الأمة .

بعد ما سمع أنّةً وحنّةً من حزينة كئيبة - بضعة المصطفى - وقد خرجت عن خدرها ، وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها : يا أبت يارسول ا لله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة ؟ [1] .

بعد ما رآها وهي تصرخ وتولول ومعها نسوة من الهاشميات تنادي :يا أبا بكر ! ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول ا لله ، وا لله لا أكلم عمر حتى ألقى ا لله [2] .

بعدما شاهد هيكل القداسة والعظمة - أمير المؤمنين - يقاد إلى البيعة كما يقاد الجمل المخشوش [3] .

ويدفع ويساق سوقاً عنيفاً ، واجتمع الناس ينظرون ، ويقال له : بايع ، فيقول : إن أنا لم أفعل فمه ؟ .

---

[1] الإمامة والسياسة ، وأعلام النساء ، والإمام علي لعبد الفتاح عبد المقصود

[2] شرح النهج لابن أبي الحديد

[3] العقد الفريد ، وصبح الأعشى ، وشرح نهج البلاغة

فيقال : إذن وا لله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك ، فيقول : إذن تقتلون عبد ا لله وأخا رسوله [١] .

بعد ما رأى صنو المصطفى علياً لائذاً بقبر رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) وهو يصيح ويبكي ويقول : يابن أم ! إن القوم استضعفوني وكادوا بقتلونني [٢] .

بعد نداء أبي عبيدة الجراح لعلي (عليه السلام) يوم سيق إلى البيعة : يابن عم إنك حديث السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ، ومعرفتهم بالأمور .

ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك ، وأشد احتمالاً واستطلالاً ، فسلم لأبي بكر هذا الأمر فانك إن تعش ويطل بك بقاء ، فأنت لهذا الأمر خليق ، وحقيق ، في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك [٣] .

بعد رفع الأنصار عقيرتهم في ذلك اليوم العصبصب بقولهم : لا نبايع إلا عليّاً .

وبعد صياح بدريّهم : منا أمير ومنكم أمير ، وقول عمر : إذا كان ذلك فمت إن استطعت [٤] .

بعد قول أبي بكر للأنصار : نحن الإمراء ، وأنتم الوزراء !.

---

[١] الإمامة والسياسة ، وشرح نهج البلاغة

[٢] الإمامة والسياسة

[٣] الإمامة والسياسة ، وشرح النهج لابن أبي الحديد

[٤] صحيح البخاري باب فضائل أبو بكر في باب رجم الحبلى ، وطبقات بن سعد ، وسيرة إبن هشام ، والبيان والتبيين للجاحظ وغيرها من المصادر الكثيرة

وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفان كشق الأبلمة - يعني الخوصة - . إلى أن قال (ره) :

وما عساني أن أقول في تلك الخلافة ؟!.

بعد ما رآها أبو بكر وعمر بن الخطاب فلته ، كفلتة الجاهلية ، وقى ا لله شرها .

بعد حكم عمر : بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة [١] .

بعد قوله يوم السقيفة : - أي عمر - من بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ، ولا بيعة للذي بايعه تغرّة أن يقتلا [٢] .

بعد الذي قرأت ... ما رأيك بهذه الخلافة والبيعة التي يزعمون أنها شرعية ومحقة ؟؟.

وهذا الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه الإمام علي بن أبي طالب يصور لنا قضية هجوم القوم على دار فاطمة الزهراء (عليها السلام) ليحرقوه ، ويستخرجوا منه الأسد من عرينه ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأصحابه للبيعة ، بإسلوب شيق جميل ، وهو زبدة المخض .

فقال : [٣] واجتمعت جموعهم - آونة في الخفاء وأُخرى على ملأ - يدعون إلى إبن أبي طالب ، لأنهم رأوه أولى الناس بأن يلي أمور الناس ، ثم

---

[١] التمهيد للباقلاني ، وشرح النهج ، والصواعق المحرقة لإبن حجر

[٢] صحيح البخاري ، ومسند أحمد ، وسيرة إبن هشام ، ونهاية إبن الأثير ، وتيسير الوصول ، وشرح نهج البلاغة ، وتاريخ إبن كثير .

.. راجع الغدير للشيخ الأميني (ره)ج٧/ص٧٤/٨٠

[٣] ج١/ص١٨٩/١٩١

تألبوا حول داره يهتفون بإسمه , ويدعونه أن يخرج إليهـم لـيردوا عليـه تراثـه المسلوب ...

فإذا بالمسلمين أمام هذا الحدث ، مخالف أو نصير .

وإذا بالمدينة حزبان ، وإذ بالوحدة المرجوة شقان ، أوشكا على انفصال .

ثم لا يعرف غير ا لله ما سوف تؤول إليه الأمور بعد هذا الحال ...

فهلاّ كان عليٌّ – كإبن عبادة – [1] حريّا في نظر ابـن الخطـاب بـالقتل ، حتى لا تكون فتنة ، ولا يكون إنقسام ؟!.

كان هذا أولى بعنف عمر إلى جـانب غيرتـه علـى وحـدة الإسـلام ، وبـه تحدث الناس ، ولهجت الألسـن كاشـفة عـن خلجـات خواطـر جـرت فيهـا الظنون مجرى اليقين ، فما كان لرجل أن يجزم أو يعلم سريرة إبن الخطـاب ، ولكنهم جميعاً ساروا وراء الخيال .

ولهم سند مما عرف عن الرجل دائمـاً مـن عنـف ، ومـن دفعـات ، ولعـلّ فيهم من سبق بذهنه الحوادث على متن الإستقراء ، فـرأى بعيـن الخيـال قبـل رأي العيون ، ثبات علي أمام وعيد عمر لو تقـدم هـذا منـه يطلـب رضـاه ، وإقراره لأبي بكر بحقه في الخلافة ، ولعله تمادى قليـلاً في تصـور نتـائج هـذا الموقف ، وتخيل عقباه . فعاد بنتيجة لازمة لامعدى عنهـا هـي خـروج عمـر عن الجادة ، وأخذه هذا (المخالف) العنيد بالعنف والشدة !.

---

[1] سعد بن عبادة زعيم الخزرج ، وكان مريضا ، ولشدة تزاحمهم على البيعة يوم السقيفة كادوا أن يطؤوه ، فقال جماعة من قوم سعد : اتقوا سعداً لا تقتلوه ، قال عمر : اقتلوه قتله ا لله . راجع عبد ا لله بن سبأ /ص٩٧

وكذلك سبقت الشائعات خطوات إبن الخطاب ذلك النهار ، وهو يسير في جمع من صحبه ومعاونيه إلى دار فاطمة ، وفي باله أن يحمل إبن عم رسول الله – إن طوعاً وإن كرها – على إقرار ما أباه حتى الآن ، وتحدث أُناس بأن السيف سيكون وحده متن الطاعة !...

وتحدث آخرون بأن السيف سوف يلقى السيف !...

ثم تحدث غير هؤلاء وهؤلاء بأن (النار) هي الوسيلة المثلى إلى حفظ الوحدة ، وإلى (الرضا) والإقرار !...

وهل على ألسنة الناس عقال يمنعها أن تروي قصة حطب أمر به إبن الخطاب فأحاط بدار فاطمة ، وفيها علي وصحبه ، ليكون عدة الإقناع ، أو عدة الإيقاع ؟...

على أن هذه الأحاديث جميعها ومعها الخطط المدبرة ، أو المرتجلة ، كانت كمثل الزبد ، أسرع إلى ذهاب ، ومعها دفعة إبن الخطاب !...

أقبل الرجل محنقاً ، مندلع الثورة ، على دار عليّ ، وقد ظاهره معاونوه ، ومن جاء بهم ، فاقتحموها ، أو أوشكوا على اقتحام ، فإذا وجهٌ كوجه رسول الله يبدو بالباب حائلاً من حزن ، على قسماته خطوط آلآم .

وفي عينيه لمعات دمع ، وفوق جبينه عبسة غضب فائر ، وحنق ثائر ...

وتوقف عمر من خشية ، وراحت دفعته شعاعاً .

وتوقف خلفه – أمام الباب – صحبه الذين جاء بهم ، إذ رأوا حيالهم صورة الرسول تطالعهم من خلال وجه حبيبته الزهراء .

وغضوا الأبصار من خزي ، أو من استحياء ، ثم ولت عنهم عزمات القلوب ، وهم يشهدون فاطمة تتحرك كالخيال وئيداً وئيداً بخطوات المحزونة الثكلى ، فتقترب من ناحية قبر أبيها ...

وشخصت منهم الأنظار ، وأرهفت الأسماع إليها ، وهي ترفع صوتها الرقيق الحزين ، النبرات تهتف بمحمد الشاوي بقربها ، تناديه باكية مريرة البكاء : (يا أبت !...يا أبت !...)

فكأنما زلزلت الأرض تحت هذا الجمع الباغي ، من رهبة النداء ...

وراحت الزهراء ، وهي تستقبل المثوى الطاهر ، تستنجد بهذا الغائب الحاضر : (يا أبت يا رسول الله ! ...ما ذا لقينا بعدك من إبن الخطاب ، وإبن أبي قحافة !؟!) .

فما تركت كلماتها إلا قلوباً صدعها الحزن ، وعيوناً جرت دمعاً ، ورجالاً ودّوا لو استطاعوا أن يشقوا مواطيء أقدامهم ليذهبوا في طوايا الثرى مغيبين ...[1]

وهذا شاعر النيل ، الحافظ إبراهيم ، يفتخر بعمر بن الخطاب ، كيف دخل بيت عليّ (عليه السلام) ، وكيف حرق داره عليه إن لم يبايع .

وللمقدس العلامة الشيخ الأميني (ره) كلام جميل ، وتأسف مرير في هذا الموضوع ، وهو تابع لتعجبه وتأسفه – السابق – مما جرى في وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) يوم السقيفة ، فيقول :

---

[1] راجع الغدير ج٣/ص١٠٣/١٠٤

ثم ما عساني أن أقول : بعد ما يعربد شاعر النيل اليوم [1] ويؤجج النيران الخامدة ، ويجـدد تلكـم الجنايـات المنسـية (لاهـا الله لا تنسـى مـع الأبـد) ، ويعدها ثناءً على السلف ، ويرفع عقيرته بعد مضي قرون على تلكم المعرّات ويتبهج ويتبجح بقوله في القصيدة (العمرية) ، تحت عنوان ، عمر وعلي :

وقولة لعلي قالها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرّقت دارك لا أُبقي عليك بها إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

ماكان غير أبي حفص يفوه بها أمام فارس عدنان وحاميها

ماذا أقول : بعد ما تحتفل الأمة المصرية ، في حفلـة جامعـة في أوائـل سـنة ١٩١٨ م بإنشاد هذه القصيدة العمرية التي تتضمن مـا ذكـر مـن الأبيـات ؟ وتنشرها الجرائد في أرجاء العالم .

ويأتي رجال مصر نظراء : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الإبيـاري وعلي جارم ، وعلي أمين ، وخليـل مطـران [2] ومصطفـى الدميـاطي بـك ، وغيرهم .

ويعتنون بنشر ديوان هذا شعره ، وبتقدير شاعر هذا شعوره .

ويخدشـون العواطـف في هــذه الأزمنـة ، في هــذا اليـوم العصبصـب ، ويعكرون بهذه النعرات الطائفية صفو السلام والوئام ، في جامعة الإسلام ، ويشتتون بها شمل المسلمين ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا [3] .

---

[1] هو محمد حافظ إبراهيم المتوفى سنة١٩٣٣ م/١٣٥١هـ

[2] ملاحظة : إنه لبناني من مدينة بعلبك

[3] إشارة الى قوله تعالى : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ الكهف/١٠٣

وتراهم يجددون طبع ديوان الشاعر ، وقصيدته العمرية خاصة ، مرة بعد أخرى ، ويعلق عليها شارحها الدمياطي بقوله في البيت الثاني : المراد أن عليا لا يعصمه من عمر سكنى بنت المصطفى في هذه الدار ...

وتراهم بالغوا في الثناء على الشاعر وقصيدته هذه ، كأنه جاء للأمة بعلم جمّ ، أو رأي صالح ، أو أتى لعمر بفضيلة رابية ، تسر بها الأمة ونبيها المقدس .

فبشرى ، بل بشريان للنبي الأعظم ، بأن بضعته الصديقة لم تكن لها أيّ حرمة وكرامة ، عند من يلهج بهذا القول ! ولم يكن سكناها في دار طهّر الله أهلها وعصمهم ، يعصمهم منه ، ومن حرق الدار عليهم .

فزهٍ زهٍ بانتخابٍ هذا شأنه ، وبخٍ بخٍ ببيعةٍ تمت بذلك الإرهاب ، وقضت بتلك الوصمات [1] .

---

[1] راجع الغدير ج٧/٨٥/٨٧

من قصيدة الشيخ حبيب شعبان

أيا منزلَ الأحبابِ مالكَ موحشاً بزهرتكَ الأرياحُ أودتْ بما تسفي

تَعفيتَ يا ربعَ الأحبةِ بعدهمْ فذكرتني قبرَ البتولةِ إذْ عفي

رمتْها سهامُ الدهرِ وهيَ صوائبٌ بشجوٍ إلى أنْ جُرِّعتْ غصصَ الحتفِ

شجاها فراقُ المصطفى واحتقارُها لدى كلِّ رجسٍ من صحابته جلفِ

لقدْ بالغوا في هضمِها وتحالفوا عليها وخانوا الله في محكمِ الصحفِ

فآبتْ وزندُ الغيظِ يقدح في الحشا تعثرُ بالأذيالِ مثنيةَ العطفِ

وجاءتْ إلى الكرارِتشكو اهتضامَها ومدتْ إليهِ الطرفَ خاشعةَ الطرف

أبا حسنٍ يا راسخَ العلمِ والحجى إذا فرّت الأبطال رعباً من الزحف

ويا واحداً أفنى الجموعَ ولمْ يزلْ بصيحتِهِ في الروع يأتي على الألف

أراكَ تراني وابنَ تيمٍ وصحبَهُ يسومونني ما لا أُطيقُ من الخسفِ

ويلطمُ وجهي نصبَ عينيكَ ناصبُ العداوةِ لي بالضربِ منّي يستشفي

فتغضيْ ولا تُنضي حسامَكَ آخذاً بحقي ومنهُ اليومَ قدْ صفرتْ كفّي

لمنْ أشتكي إلاّ إليكَ وَمَنْ بهِ ألوذُ وهلْ لي بعدَ بيتكَ منْ كهف

وقدْ أضرموا النيرانَ فيهِ وأسقطوا جنيني فواويلاهُ منهمْ ويا لهفي

وما برحتْ مهضومةً ذاتَ علةٍ تأرقُها البلوى وظالمها مُغفي

إلىأنْ قضتْ مكسورةَ الضلعِ مسقطاً جنينٌ لها بالضربِ مسودّة الكتف

إعلموا أني فاطمة ج٩/ص١٨٧

قضية محسن إبن الزهراء (عليهما السلام)
من طرق أهل السنة

وأما قضية المحسن إبن فاطمة الزهراء (عليهما السلام) ، وكيف مات صغيراً على قول ؟! أو مات سقطاً بدفع عمر إلى الزهراء (عليها السلام) أو بضربها ، أو بضرب قنفذ ؟!.

هذا ما سنعرفه من نقل الروايات من طرق أهل السنة لكي تكون الحجة أقوى ، وتأكيداً لما روي من طرق الشيعة .

روى الشهرستاني في كتاب الملل والنحل [1] .

قال : عن إبراهيم بن يسار بن هاني النظام أنه قال : إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها ، وكان يصيح : أحرقوا دارها بمن فيها ! وما كان في الدار غير عليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين [2] .

وفي كتابي الميزان [3] وميزان الإعتدال [4] .

بعد أن أرّخا لمحمد بن أحمد بن حماد الكوفي الحافظ .

قالا : إنه كان مستقيم الأمر عامة دهره ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه أن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن [5] .

---

[1] ج١/ص٥٧

[2] دلائل الصدق ج٣/ص٨٧ ، وكتاب ماذا تقضون/ص٤٢٣

[3] لابن حجر ج١/ص٢٦٨ في حرف الألف

[4] للذهبي ج١/ص١٣٩

[5] ماذا تقضون /ص٤٣٨

وفي أسد الغابة [١]

اعترف إبن الأثير الجزري بوجود المحسن ولداً لفاطمة الزهراء (عليها السلام) ، حيث أفرد له ترجمة مستقلة في باب الميم ، وقال : وتوفي المحسن صغيراً [٢] .

وفي كتاب الذرية الطاهرة للدولابي [٣]

قال : بالإسناد إلى إبن إسحاق أنه قال : ولدت فاطمة بنت رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب : (حسناً) و(حسيناً) و (محسناً) فذهب (محسن) صغيراً ، وولدت (أم كلثوم) و (زينب) [٤] .

وذكر المؤلف الرواية في الكتاب مرة اخرى [٥] .

أيضاً في كتاب الذرية الطاهرة

قال : بالإسناد إلى هاني بن هاني ، عن عليّ - (ع) - قال : لمّا ولد الحسن سميته حرباً ، فجاء رسول الله (ص) ، فقال : أروني إبني ، ما سمّيتموه ؟ قلنا : حرباً قال : بل هو حسن .

فلما ولد حسين سميته حرباً ، فجاء النبي (ص) ، فقال : أروني إبني ، ما سمّيتموه ؟ قلنا : حرباً ، قال : بل هو حسين .

فلما ولد الثالث سميته حرباً فجاء النبي (ص) فقال : أروني إبني ، ما سمّيتموه ؟ قلنا : حرباً ، قال : بل هو محسن .

---

[١] لإبن الأثير الجزري ج٤/ص٣٠٨

[٢] عن تعليقة كتاب سليم بن قيس /ص٤٠

[٣] وهو : أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي الدولابي

[٤] الذرية الطاهرة/ص٩٠ رقم٨١

[٥] ص١٥٥ رقم /٢٠٧

ثم قال : سميتهم بأسماء ولد هارون : شبر وشُبير ومشبر [١] .

قال في التعليق على الحديث : إن هذا الحديث رواه : احمد بن حنبل في المسند ج١/ص١١٨ بإسناده عن حجاج بن إسرائيل .

وأيضاً ذكره في مسنده في مكان آخر عن يحي بن آدم عن إسرائيل في ج١/ص٩٨ .

وفي تذكرة الخواص

ذكر سبط بن الجوزي ، عند تعداده لأولاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فقال : وذكر الزبير بن بكار ولداً آخر من فاطمة بنت رسول الله (ص) إسمه محسن ، مات طفلاً [٢] .

---

[١] الذرية الطاهرة/ص٩٧ رقم/٩١

[٢] تذكرة الخواص /ص٥٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من قصيدة للسيد محمد جمال الهاشمي

الواثبـــين لظلـــم آل محمـــدٍ ... ومحمـــدٌ ملقـــىً بـــلا تكفـــينِ

والقـــائلين لفـــاطمٍ آذيتنـــا ... في طـــولِ نـــوحٍ دائـــمٍ وحنـــينِ

والقـاطعين أراكـة كـي لا تقيـلَ ... بظـــلٍّ أوراقٍ لهـــا وغصـــونِ

ومجمعي حطبٍ على البيـت الـذي ... لمْ يجتمـــعْ لـــولاهُ شمـــلُ الديـــنِ

والداخلـين علـى البتولـة بيتهـا ... والمســـقطينَ لهـــا أعـــزَّ جنـــينِ

والقـــائدين إمـــامهمْ بنجـــاده ... والطهـــرُ تدعـــو خلفهـــمْ برنـــينِ

خلوا ابن عمي أو لأكشفَ للدعـا ... راسـي وأشـكو للإلـه شـجوني

مـا كـان ناقـةُ صـالحٍ وفصيلُهـا ... بـــالفضلِ عنـــد الله إلا دونـــي

ورنـت إلى القـبر الشـريف بمقلـةٍ ... عـبرى وقلـبٍ مكمـدٍ محـزونِ

نـادت وأظفـارُ المصـابِ بقلبهـا ... أبتـاهُ عـزَّ علـى العـداةِ معيـني

أبتـاه هـذا السـامريُّ وعجلُـهُ ... تُبعا ومـالَ النـاسُ عـن هـارونِ

أيُّ الرزايـــا أتقـــي بتجلـــدٍ ... هـو في النوائـبِ مذحييـتُ قرينـي

فقدي أبـي أم غصـبَ بعلي حقـه ... أم كسرَ ضلعـيْ أم سقوطَ جنيـني

أم أخذَهـمْ إرثـي وفـاضلَ نحلـتي ... أم جهلهـمْ حقـي وقـدْ عرفونـي

قهـروا يتيميـكَ الحسـينَ وصنـوَهُ ... وسـألتُهم حقـي وقـدْ نهرونـي

إعلموا أني فاطمة ج٩/ص١٧٩

حديث الإحراق والهجوم على دار الزهراء (عليها السلام) من طريق الشيعة

وأمّا حديث الهجوم لإحراق دار فاطمة الزهراء (عليها السلام) لإخراج أمير المؤمنين (عليه السلام) للبيعة فقد أورده كثير من مؤرخي الشيعة ، وسنذكر ما استطعنا استقصاءه ، وما فاتنا أكثر ، فنقول وا لله المستعان ، وعليه القبول :

ففي كتابي سليم بن قيس الهلالي الكوفي [1] والإحتجاج للطبرسي[2]

من حديث طويل ، قالا : ..فقال عمر لأبي بكر : ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع ، فإنه لم يبق أحد إلا وقد بايع غيره ، وغير هؤلاء الأربعة .

وكان أبو بكر أرق الرجلين ، وأرفقهما ، وأدهاهما ، وأبعدهما غوراً .

---

[1] ص٣٥ : له كتاب جليل معتمد ، قال أستاذ العلماء في عصرنا الحاضر السيد الخوئي (ره) في معجم رجاله ج٨/٢١٦ وما بعدها : [قال النجاشي في زمرة من ذكره من سلفنا الصالح في الطبقة الأولى . سليم بن قيس الهلالي ، له كتاب ، يكنّى أبا صادق ...

وذكر هذا القول الشيخ الطوسي في الفهرست . ثم قال : وعدّه في رجاله في أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وفي أصحاب الحسن (عليه السلام) وفي أصحاب الحسين (عليه السلام) قائلاً : سليم بن قيس الهلالي ، وفي أصحاب الإمام السجاد (عليه السلام) قائلاً : سليم بن قيس الهلالي ثم العامري الكوفي صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) . وعدّه من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) ..

وعدّه البرقي من الأولياء من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أن قال - السيد الخوئي (ره) - : وقال النعماني في كتاب الغيبة ، في باب ما روي في أنّ الأئمة إثنا عشر إماماً : أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم حملة حديث أهل البيت (عليهم السلام) وأقدمها ، وإنّ جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنما هو عن رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) ، والمقداد ، وسلمان الفارسي ، وأبي ذر ، ومن جرى بجراهم ممّن شهد رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) ، وسمع منهما وهو من الأصول التي ترجع إليها وتعوّل عليها .(أ. هـ)

[2] ج١/ص٨٣

والآخر : أفظهما ، وأغلظهما ، وأجفاهما ، فقال له أبو بكر : نرسل إليه قنفذاً ، فهو رجل فظ غليظ جاف من الطلقاء ، أحد بني عدي بن كعب .

فارسله وأرسل معه أعواناً ، وانطلق فاستأذن على عليّ (عليه السلام) ، فأبى أن يأذن لهم ، فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر ، وهما جالسان في المسجد ، والناس حولهما ، فقالوا : لم يؤذن لنا .

فقال عمر : فإن أذن لكم وإلا فادخلوا بغير إذن ! فانطلقوا ، فاستأذنوا فقالت فاطمة (عليها السلام) : أُحرّج عليكم أن تدخلوا عليّ بيتي بغير إذن ، فرجعوا وثبت قنفذ الملعون .

فقالوا : إن فاطمة قالت كذا وكذا ، فتحرجنا أن ندخل بيتها بغير إذن .

فغضب عمر وقال : ما لنا وللنساء ! ثم أمر أُناساً حوله بتحصيل الحطب وحملوا الحطب ، وحمل معهم عمر ، فجعلوه حول منزل عليّ (عليه السلام) ، وفيه عليّ وفاطمة وابناهما .

ثم نادى عمر حتى أسمع عليّاً وفاطمة : وا لله لتخرجن ياعليّ ، ولتبايعن خليفة رسول ا لله ! وإلا أضرمت عليك النار ، فقامت فاطمة (عليها السلام) فقالت : ياعمر ! ما لنا ولك ؟ فقال : إفتحي الباب وإلاّ أحرقنا عليكم بيتكم ، فقالت : ياعمر أما تتقي ا لله ! تدخل عليّ بيتي ؟.

فأبى أن ينصرف ، ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب ، ثم كسره فدخل فاستقبلته فاطمة (عليها السلام) وصاحت : يا أبتاه ! يا رسول ا لله ! فرفع عمر السيف ، وهو في غمده فوجأ به جنبها ، فصرخت : يا أبتاه ! فرفع

السوط فضرب به ذراعها ، فنادت : يارسول ا لله ! لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر

فوثب عليّ (عليه السلام) فأخذ بتلابيبه ، فصرعه ووجأ أنفه ورقبته ، وهم بقتله ، فذكر قول رسول ا لله (صلى الله عليه وآله) ، وما أوصاه به ، فقال : والذي كرّم محمداً بالنبوّة يا إبن صهاك ! لولا كتاب من ا لله سبق ، وعهدٌ عهد إليّ رسول ا لله (صلى الله عليه وآله) ، لعلمت إنك لا تدخل بيتي .

فأرسل عمر يستغيث : فأقبل الناس حتى دخلوا الدار ، وثار عليّ (عليه السلام) إلى سيفه ، فرجع قنفذ إلى أبي بكر ، وهو يتخوف أن يخرج عليّ بسيفه ، لما قد عرف من بأسه وشدته ، فقال أبو بكر لقنفذ : إرجع ، فإن خرج فاقتحم عليه بيته ، فإن امتنع فأضرم عليهم بيتهم النار .

فانطلق قنفذ الملعون ، فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن ، وثار عليّ (عليه السلام) إلى سيفه ، فسبقوه إليه وكاثروه فتناول بعض سيوفهم ، فكاثروه ، فألقوا في عنقه حبلاً ، وحالت بينهم وبينه فاطمة (عليها السلام) عند باب البيت فضربها قنفذ الملعون بالسوط .

فماتت حين ماتت ، وإنّ في عضدها مثل الدملج من ضربته لعنه ا لله .

ثم انطلقوا بعليّ (عليه السلام) يُتَلّ ، حتى انتهى به إلى أبي بكر ، وعمر قائم بالسيف على رأسه ، وخالد بن الوليد ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، والمغيرة بن شعبة ، وأسيد بن حُضير ، وبشير بن سعد ، وساير الناس حول أبي بكر عليهم السلاح [1] .

---

[1] راجع البحار ج٢٨/ص٢٦٨ وج٤٣/ص١٩٧

وروى في تفسير العياشي [(١)] وكتاب الإختصاص [(٢)]

عن عمر بن أبي المقدام ، عن أبيه ، عن جده قال : ما أتى على عليّ (عليه السلام) يوم قط أعظم من يومين أتياه .

فأمّا الأول : فيوم قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وأمّا الثاني : فوالله إني لجالس في سقيفة بني ساعدة عن يمين أبي بكر ، والناس يبايعونه ... إلى أن قال : قال عمر : ياهذا ! ليس في يدك شيء منه ما لم يبايعك عليّ ! فابعث إليه حتى يأتيك ، فإنما هؤلاء رعاع .

فبعث إليه قنفذاً ، فقال له : إذهب فقل لعليّ : أجب خليفة رسول الله !

فذهب قنفذ فما لبث أن رجع ، فقال لأبي بكر : قال لك : ما خلّف رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحداً غيري .

قال : إرجع إليه فقل : أجب ، فإن الناس قد أجمعوا على بيعتهم إياه ، وهؤلاء المهاجرون والأنصار يبايعونه ، وقريش ، وإنما أنت رجل من المسلمين ، لك ما لهم ، وعليك ما عليهم !.

وذهب إليه قنفذ فما لبث أن رجع فقال : قال لك : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي : وأوصاني ، إذا واريته في حفرته ، أن لا أخرج من بيتي حتى أؤلف كتاب الله ، فإنه في جرائد النخيل ، وفي أكتاف الإبل .

قال عمر : قوموا بنا إليه ، فقام أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وخالد بن

---

(١) ج٢/ص٦٦

(٢) الإختصاص للشيخ المفيد (ره) ج٢/ص١٨١

الوليد ، والمغيرة بن شعبة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبـي حذيفـة وقنفذ ، وقمت معهم .

فلما انتهينا إلى الباب ، فرأتهم فاطمة (صلوات الله عليها) ، أغلقت البـاب في وجوههم ، وهي لا تشك أن لا يُدخل عليها إلا بإذنها .

فضرب عمر البـاب برجله فكسره ، وكـان مـن سعف ، ثـم دخلـوا فأخرجوا عليّاً (عليه السلام) ملبباً ، فخرجت فاطمة (عليهـا السلام) فقـالت : يـا أبـا بكر ! أتريد أن ترملني من زوجي ؟.

وا لله لأن لم تكف عنه لأنشرن شعري ، ولأشقن جيبي ، ولآتين قبر أبـي ولأصيحن إلى ربي ، فأخذت بيد الحسن والحسين (عليهما السلام) وخرجت تريد قبر النبي (صلى الله عليه وآله)... [1]

وفي تفسير العياشي (ره) [2]

من حديث طويل ، في تفسير قوله تعـالى : ﴿ **سنة من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا** ﴾ [3]

قال : فلما قبض نبي ا لله (صلى الله عليه وآله) كان الذي كـان ، لما قد قضى من الإختلاف .

---

[1] البحار ج٢٨/ص٢٢٧ ، وتفسير البرهان ج٢/ص٩٣

[2] ج٢/ص٣٠٧

[3] الإسراء/٧٧

وعمد عمر فبايع أبا بكر ، ولم يدفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ، فلما رأى ذلك عليّ (عليه السلام) ، ورأى الناس قد بايعوا أبا بكر خشي أن يفتتن الناس ، ففرغ إلى كتاب الله ، وأخذ يجمعه في مصحف .

فأرسل أبو بكر إليه ، أن تعال فبايع ، فقال عليّ (عليه السلام) : لا أخرج حتى أجمع القرآن ، فأرسل إليه مرة أُخرى فقال : لا أخرج حتى أفرغ .

فأرسل إليه الثالثة عمر رجلاً يقال له قنفذ : فقامت فاطمة بنت رسول الله (صلوات الله عليهما) تحول بينه وبين عليّ(عليه السلام) فضربها .

فانطلق قنفذ ، وليس معه عليّ ، فخشي أن يجمع علي الناس ، فأمر بحطب فجعل حوالي بيته ، ثم انطلق عمر بنار ، فأراد أن يحرق على عليّ بيته ، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) داخله .

فلما رأى (عليه السلام) ذلك خرج فبايع كارهاً غير طائع [1] .

وفي الإحتجاج [2]

عن عبد الله بن عبد الرحمن أنه قال : ثم إن عمر احتزم بإزاره ، وجعل يطوف في المدينة وينادي : إن أبا بكر قد بويع له ، فهلموا إلى البيعة ، فينثال الناس فيبايعون ، فعرف أن جماعة في بيوت مستترون ، فكان يقصدهم في جمع ، فيكبسهم ويحضرهم في المسجد فيبايعون .

حتى إذا مضت أيام ، أقبل في جمع كثير إلى منزل عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فطالبه بالخروج فأبى ! فدعا عمر بن الخطاب بحطب ونار ، وقال :

---

[1] البحار ج٢٨/ص٢٣١ ، وتفسير البرهان ج٢/ص٤٣٤

[2] ج١/ص٨٠

والذي نفس عمر بيده ليخرجن ، أو لأحرقنه على ما فيه ، فقيل له : إن فيه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وولد رسول الله ، وآثار رسول الله ! فأنكر الناس ذلك من قوله ، فلما عرف إنكارهم قال : ما بالكم ! أتروني فعلت ذلك ؟ إنما أردت التهويل [١] .

وفي كتاب إثبات الوصية [٢]

مرسلاً : فأقام أمير المؤمنين – عليه السلام – ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فوجهوا إلى منزله ، فهجموا عليه ، وأحرقوا بابه ، واستخرجوه منه كرهاً ، وضغطوا سيدة النساء بالباب ، حتى اسقطت محسناً [٣] .

وفي أمالي الشيخ المفيد (ره)

قال : لمّا بايع الناس أبا بكر ، دخل علي (عليه السلام) والزبير والمقداد بيت فاطمة (عليها السلام) وأبوا أن يخرجوا ، فقال عمر بن الخطاب : أضرموا عليهم البيت ناراً ، فخرج الزبير ومعه سيفه ، فقال أبو بكر : عليكم بالكلب ، فقصدوا نحوه ، فزلّت قدمه وسقط على الأرض ، ووقع السيف من يده ، فقال أبو بكر : إضربوا به الحجر ؛ فضرب به الحجر حتى انكسر ، وخرج عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) نحو العالية فلقيه ثابت بن قيس بن شماس ، فقال : ما شأنك يا أبا الحسن ؟ فقال : أرادوا أن يحرقوا عليّ بيتي ، وأبو

---

[١] البحار ج٢٨/ص٢٠٤

[٢] للمسعودي /ص١٥٤

[٣] فاطمة الزهراء بهجت قلب المصطفى ص٥٢٦

بكر على المنبر يبايع له ، لا يدفع عنا ذلك ولا ينكر !... وفاطمة (عليها السلام) واقفة على بابها ...

وهي تقول : لا عهد لي بقوم أسوء محضراً منكم ، تركتم رسول ا لله (صلى الله عليه وآله) جنازة بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم [٣] .

---

[٣] البحار ج٢٨/ص٢٣١ ، وفي الأمالي ص٣٨

حديث ضرب الزهراء (عليها السلام)وكسر ضلعها وإسقاط جنينها عند الشيعة

روى في كتاب سليم بن قيس (ره) [١]

قال : وقد كان قنفذ لعنه ا لله حين ضرب فاطمة (عليها السلام) بالسوط – حين حالت بينه وبين زوجها – وأرسل إليه عمر : إن حالت بينك وبينه فاطمة فأضربها ! فألجأها قنفذ إلى عضادة بيتها ودفعها ، فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنيناً من بطنها ، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت (صلى ا لله عليها) من ذلك شهيدة [٢] .

وفي المناقب لإبن شهر آشوب (ره)

قال عند ذكره لأولاد فاطمة (عليها السلام) : ولدت الحسن ولها اثنتي عشرة سنة ، وأولادها : الحسن والحسين والمحسن سقط ، وفي معارف القتيبي ، أن محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي ، وزينب وأُم كلثوم [٣] .

وفي الإحتجاج للطبرسي (ره) [٤]

قال فيما احتج به الحسن (عليه السلام) على معاوية وأصحابه : إنه قال للمغيرة بن شعبة : أنت ضربت فاطمة بنت رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) حتى أدميتها ، وألقت ما في بطنها ، استذلالاً منك لرسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) ،

---

[١] ص٤٠

[٢] البحار ج ٢٨/ص٢٦٨ ، وج٤٣/ص١٩٨

[٣] البحار ج٤٣/ص٢٣٣

[٤] ج١/ص٢٧٨

ومخالفةً منك لأمره ، وانتهاكاً لحرمته ، وقد قال رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) :
أنتِ سيدة نساء أهل الجنة . وا لله مصيركَ إلى النار . [١]

وفي الكافي للكليني (ره) [٢]

باسناده عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : إن أسقاطكم إذا لقوكم يوم القيامة و لم تسموهم يقول السقط لأبيه : ألا سمّيتني ؟.

وقد سمّى رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) محسناً قبل أن يولد [٣] .

وفي تفسير القمي (ره) [٤]

بإسناده عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، من حديث طويل ، قال : ثم ينادي منادٍ من بطنان العرش ، من قبل رب العزّة ، والأُفق الأعلى : نعم الأب أبوك يامحمد وهو إبراهيم ، ونعم الأخ أخوك وهو عليّ بن أبي طالب ونعم السبطان سبطاك وهما الحسن والحسين ، ونعم الجنين جنينك وهو محسن ، ونعم الأئمة الراشدون ذريتك ...[٥]

وفي كتاب كامل الزيارات (ره) [٦]

---

(١) البحار ج٤٣/ص١٩٧

(٢) ج٦/ص١٨

(٣) البحار ج٤٣/ص١٩٥

(٤) راجع تفسير الآية ﴿ فمن زحزح عن النار ...﴾ ١٨٥/آل عمران

(٥) البحار ج٢٣/ص١٣١ ، وج٧/ص٣٢٨

(٦) لابن قولويه/ص٣٣٢ و٣٣٣

بإسناده عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال : لـمّا أُسري بالنبي (صلى الله عليه وآله) قيل له : إن الله مختبرك في ثلاث .. إلى أن قال :

وأمّا الثالثة : فما يلقى أهل بيتك من بعدك من القتل : أمّا أخوك ، فيلقى من أمتك الشتم والتعنيف والتوبيخ والحرمان والجهد والظلم ، وآخر ذلك القتل ، فقال : يارب سلّمت وقبلت ، منك التوفيق والصبر .

وأمّا ابنتك فتظلم وتحرم ، ويؤخذ حقها غصباً ، الذي تجعله لها ، وتضرب وهي حامل ، ويُدخل على حريمها ومنزلها بغير إذن ، ثم يمسها هوان وذل ، ثم لا تجد مانعاً ، وتطرح ما في بطنها من الضرب ، وتموت من ذلك الضرب .

قال : إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، قبلت يارب وسلّمت ، ومنك التوفيق والصبر .. إلى أن قال : وأمّا ابنتك : فإني أوقفها عند عرشي فيقال لها : إن الله قد حكّمك في خلقه ، فمن ظلمك ، وظلم ولدك فاحكمي فيه بما أحببتِ ، فإني أجيز حكومتك فيهم ، فتشهد العرصة [1] ، فإذا أوقف من ظلمها ، أُمر به إلى النار ، فيقول الظالم : ﴿ **واحسرتاه على ما فرّطت في جنب الله** ﴾ [2] .ويتمنى الكرّة ﴿ **ويعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً** ﴾ [3] .

وقال : ﴿ **حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس**

---

[1] أي أرض يوم المحشر

[2] الزمر /٥٦

[3] الفرقان/٢٨

القرين * ولن ينفعكم اليوم إذا ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾[١]

فيقول الظالم : **﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾**[٢] أو الحكم لغيرك ؟.

فيقال لهما : **﴿ ألا لعنة الله على الظالمين * الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون ﴾**[٣] .

وأول من يحكم فيه : محسن بن علي (عليه السلام) ، وفي قاتله ، ثم في قنفذ ، فيؤتيان هو وصاحبه فيضربان بسياط من نار ، لو وقع سوط منها على البحار لغلت من مشرقها إلى مغربها ، ولو وضعت على جبال الدنيا لذابت حتى تصير رماداً ، فيضربان بها[٤] .

وفي الشافي للشريف المرتضى (ره) [٥]

في رده على كلام المخالف الذي لا يُجوّز أن عمر ضرب فاطمة (عليها السلام) بالسوط ، قال : أمّا قولك : إنا لا نصدق ذلك ، ولا نجوّزه .

فإنك لم تسند إنكارك إلى حجة ، أو شبهة فنتكلم عليها ، والدفع لما يروى بغير حجة لا يلتفت إليه .

وفي تنقيح المقال للمامقاني [٦]

---

(١) الزخرف /٣٨/٣٩

(٢) الزمر/٤٦

(٣) الأعراف/٤٤/٤٥

(٤) البحار ج٢٨/ص٦٢/٦٣/٦٤

(٥) ج٤/ص١١٣

(٦) ج١/ص٣٩٤

في ترجمة خالد بن الوليد ، قال : ..وكفاك من شنيع مـا فعـل خـالد هـذا أنه ضرب فاطمة (سلام الله عليها) ووكزها

وفي دلائل الإمامة للطبري (ره) [١]

بإسناده عن مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : قبضت فاطمة (عليها السلام) في جمادي الآخرة ، يوم الثلاثاء ، لثلاث خلون منه سنة إحدى عشـرة من الهجرة ، وكان سبب وفاتها أن قنفـذاً مـولى عمـر لكزهـا بنعـل السـيف بأمره ، فأسقطت محسناً ، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً ، ولم تـدع أحـداً ممن آذاها يدخل عليها .

وكان الرجلان من أصحاب النـبي (صلى الله عليه وآله) ، سـألا أمـير المؤمنـين (صلوات الله عليه) أن يشفع لهما إليها ، فسألها أمير المؤمنين (عليه السلام) فلمّـا دخـلا عليها قالا لها : كيف أنتِ يابنت رسول الله ؟ قالت : بخير بحمـد الله ، ثـم قالت لهما : ما سمعتما النبيّ يقول : فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ؟.

قالا : بلى . قالت : فوالله لقد آذيتماني .

قال : فخرجا من عندها (عليها السلام) وهي ساخطة عليهما [٢] .

وفي الأمالي للشيخ الصدوق (ره) [٣]

---

[١] ص٤٥ قال الحجة السيد أبو القاسم الخوئي (ره) في معجم رجاله الحديث ج١٥/ص١٤٨ إن سند هذه الرواية صحيح .

[٢] البحار ج٤٣/ص١٧٠ والعوالم للبحراني مجلد أحوال فاطمة (ع)ص٢٢٥ والملاحظات /ص١٢٣

[٣] ص٩٩/١٠٠

بإسناده عن إبن عباس ، من حديث طويل ، فيما يجري على أهل بيته من بعده من الظلم ، قال : وأمّا ابنتي فاطمة : فإنهـا سيدة نساء العالمين ، من الأولين والآخرين ، وهي بضعة مني ، وهي نور عيني ، وهي ثمرة فؤادي ، وهي روحي التي بين جنبيّ ، وهي الحوراء الإنسية .

متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض ، ويقول ا لله عز وجل لملائكتـه : يا ملائكتي ! انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يديّ ، ترتعد فرائصها من خيفتي ، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي ، أُشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار .

وإنّي لمّا رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي ، كأني بها وقد دخل الذل بيتها ، وانتهكت حرمتها ، وغصب حقها ، ومنعت إرثها ، وكسر جنبها ، واسقطت جنينها ، وهي تنادي : يامحمداه ! فلا تجاب ، وتستغيث فلا تغاث فلا تزال بعدي محزونة مكروبة ، باكية ، تتذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة وتتذكر فراقي أُخرى ، وتستوحش إذا جنها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجدتُ بالقرآن .

ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة .

فعند ذلك يؤنسها ا لله تعالى ذكره بالملائكة ، فنادتها بما نادت به مريم بنت عمران فتقول : يافاطمة ! ﴿ **إن ا لله اصطفاك وطهرك واصطفاك**

على نساء العلمين ﴾ يا فاطمة ! ﴿ اقنـتي لربـك واسـجدي واركعـي مـع الراكعين ﴾ [١] .

ثم يبتدىء بها الوجع فتمرض ، فيبعـث ا لله عـز وجـل إليهـا مريـم بنـت عمران تمرضها وتؤنسها في علتها ، فتقول عند ذلك : يارب إني قد سـئمت الحياة ، وتبرمت بأهل الدنيا ، فألحقني بأبي ، فيلحقهـا ا لله عـز وجـل بـي ، فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي .

فتقدم عليّ محزونة ، مكروبة ، مغمومة ، مغصوبة ، مقتولة ، فـأقول عنـد ذلك : اللهم إلعن من ظلمها ، وعـاقب مـن غصبهـا ، وذ لّـل مـن أذ لّهـا ، وخلّد في نارك من ضرب جنبها ، حتى ألقت وَلَدها ، فتقـول الملائكـة عنـد ذلك : آمين [١] .

أقول : إن تكرموا علينا بالإذن بالكلام ، فنقول أيضاً : آمين .

وفي الأمالي للشيخ الطوسي (ره) [٢]

بإسناده عن إبن عباس قال : لمّـا حضرت رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته ، فقيل له : يارسول ا لله ما يبكيك ؟.

فقال : أبكي لذريـتي ، ومـا تصنـع بهـم شـرار أمـتي مـن بعـدي ، كـأني بفاطمة إبنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي : يـا أبتـاه ! يـا أبتـاه ! فـلا

---

[١] آل عمران/٤٢/٤٣

[١] البحار ج ٢٨/ص٣٧ وإرشاد القلوب للديلمي ص٢٩٥ وملاحظات ص١٢٤

[٢] ج١/ص١٩١

يعينها أحد من أمتي ، فسمعت ذلك فاطمة (عليها السلام) فبكت ، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لا تبكي يا بُنيّة .

فقالت : لست أبكي لما يصنع بي من بعدك ، ولكن أبكي لفراقك يا رسول الله !.

فقال لها : أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي ، فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي [١] .

وفي كتاب الإقبال لإبن طاووس (ره) [٢]

نقل ما ورد عن الأئمة (عليهم السلام) في زيارة الزهراء (عليها السلام) : اللهم صلِّ على محمدٍ وأهل بيته ، وصلِّ على البتول الطاهرة ، الصديقة ، المعصومة التقية ، النقية ، الزكية ، الرشيدة ، المظلومة ، المقهورة ، المغصوبة حقها ، الممنوعة إرثها ، المكسورة ضلعها ، المظلوم بعلها ، المقتول وَلَدُها ، فاطمة بنت رسولك ، وبضعة لحمه ، وصميم قلبه ، وفلذة كبده ، والنخبة منك له والتحفة ، خصصت بها وصيّهُ ، وحبيبة المصطفى ، وقرينة المرتضى ، وسيدة النساء ... [٣]

وفي بحار الأنوار للمجلسي (ره) [٤]

---

[١] الملاحظات /ص١٢٥

[٢] ص٦٢٥ ط قديمة

[٣] البحار ج١٠١/ص٤٤ ، ومفاتيح الجنان ط دار الأضواء/ص٣٨٥ ، والملاحظات /ص١٣٠

[٤] ج١٠١/ص٤٤

قال : أقول : وجدت بخط الشيخ محمد بن علي الجبعي ، نقلاً من خط الشهيد ، رفع الله درجته ، نقلاً من مصباح الشيخ أبي منصور ، طاب ثراه قال : روي أنه دخل النبي (صلى الله عليه وآله) يوماً إلى فاطمة (عليها السلام) فهيأت له طعاماً من تمر ، وقرص وسمن ، فاجتمعوا على الأكل : هو وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم الصلاة والسلام)

فلمّا أكلوا سجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأطال سجوده ، ثم بكى ، ثم ضحك ، ثم جلس .

وكان أجرأهم في الكلام عليّ (عليه السلام) فقال : يا رسول الله رأينا منك اليوم ما لم نره قبل ذلك ؟!.

فقال (صلى الله عليه وآله) : إني لمّا أكلت معكم فرحت وسررت بسلامتكم واجتماعكم ، فسجدت لله تعالى شكراً ، فهبط جبرائيل (عليه السلام) يقول : سجدت شكراً لفرحك بأهلك ؟.

فقلت : نعم ، فقال : ألا أخبرك بما يجري عليهم بعدك ؟.

فقلت : بلى يا أخي يا جبرائيل !.

فقال : أمّا ابنتك : فهي أول أهلك لحاقاً بك .

بعد أن تظلم ، ويؤخذ حقها ، وتمنع إرثها ، ويظلم بعلها ، ويكسر ضلعها .

وأمّا إبن عمك : فإنه يظلم ، ويمنع حقه ، ويقتل .

وأمّا الحسن : فإنه يظلم ، ويمنع حقه ، ويقتل بالسم .

وأمّا الحسين : فإنه يظلم ، ويمنع حقه ، وتقتل عترته ، وتطؤه الخيول ، وينهب رحله ، وتسبى نساؤه وذراريه ، ويدفن مرملاً بدمه [1] .

وفي البلد الأمين وجنة الأمان للكفعمي (ره)

قال : هذا الدعاء – أي دعاء صنمي قريش – رفيع الشأن ، عظيم المنزلة ورواه عبد الله بن عباس ، عن عليّ (عليه السلام) ، أنه كان يقنت به ، وقال : إن الداعي به كالرامي مع النبي (صلى الله عليه وآله) في بدر وأُحد وحنين بألف ألف سهم ...إلى أن قال : ... وإمامٍ قهروه ، وفرضٍ غيروه ، وأثرٍ أنكروه ، وشرٍ أضمروه ، ودمٍ أراقوه ، وخبرٍ بدلوه ، وحكمٍ قلّبوه ، وكفرٍ أبدعوه ، وكذبٍ دلّسوه ، وإرثٍ غصبوه ، وفيءٍ إقتطعوه ، وسحتٍ أكلوه ، وخمسٍ استحلوه ، وباطلٍ أسّسوه ، وعهدٍ نقضوه ، وحلالٍ حرموه ، وحرامٍ حلّلوه ونفاقٍ أسرّوه ، وغدرٍ أضمروه ، وبطنٍ فتقوه ، وجنينٍ أسقطوه ، وضلعٍ كسروه ، وصكٍ مزقوه ، وشملٍ بددوه ... [2] .

وفي إرشاد القلوب للديلمي (ره)

روى أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) ذكرت في رواية مفصلة ، ما جرى عليها من ظلم القوم إياها ، إلى أن قالت : فجمعوا الحطب الجزل على بابنا وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا ، فوقفتُ بعضادة الباب ، وناشدتُهم بالله وبأبي ! أن يكفوا عنا وينصرونا ، فأخذ عمر السوط من يد قنفذ مولى أبي بكر ، فضرب به عضدي ، فالتوى السوط على عضدي حتى صار كالدملج

---

[1] الملاحظات /ص١٣٠

[2] البحار ج٨٥/ص٢٦٠

وركل الباب برجله فرده عليّ وأنا حامل ، فسقطت لوجهي ، والنـار تسـعر وتسفع وجهي ، فضربني بيده حتى انتشر قرطي من أُذني ، وجائني المخـاض فأسقطتُ محسناً قتيلاً بغير جرم [1] .

وفي الإختصاص للشيخ المفيد (ره)

بإسناده عن أبي عبد ا لله الإمام الصادق (عليه السلام) ، من حديـث طويـل ، قال : ...فقال عليّ (عليه السلام) لها : إئتِ أبا بكر وحده فإنه أرق من الآخر ، وقولي له : ادعيت بمجلس أبي ، وإنك خليفته ، وجلست بمجلسه ، ولو كانت فدك لك ثم استوهبتها منك لوجب ردها عليّ .

فلما أتته ، وقالت له ذلك : قال : صدقت ، فدعا بكتاب ، فكتبه لها برد فدك .

فقال : فخرجت والكتاب معها ، فلقيها عمر ، فقال : يابنت محمد ! مـا هذا الكتاب الذي معك ؟.

فقالت : كتاب كتب لي أبو بكر برد فدك ، فقال : هلميه إليّ .

فأبت أن تدفعه إليه ، فرفسها برجله ، وكانت حاملة بإبن إسمـه المحسـن ، فأسقطت المحسن من بطنها .

ثم لطمها ، فكأنّي أنظر إلى قرطٍ في أُذنها حين نقفت .

ثم أخذ الكتاب فخرقه ، فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوماً مريضة ممـا ضربها عمر .

---

[1] راجع تعليقة على كتاب سليم/ص٣٩ ، والملاحظات /ص١٣١ ، عن البحار مجلد /٨ص٢٣١

ثم قبضت – (عليها السلام) – [١] .

وفي كشف المراد للعلامة الحلي (ره)

قال في شرح تجريد الإعتقاد : وهو أن فاطمة (عليها السلام) لمّا طالت المنازعة بينها وبين أبي بكر ، رد أبو بكر عليها فدكاً ، وكتب لها بذلك كتاباً ، فخرجت والكتاب في يدها ، فلقيها عمر فسألها عن شأنها ، فقصت قصتها ، فأخذ منها الكتاب وخرقه ودعت عليه ، ودخل على أبي بكر وعاتبه على ذلك ، وأتفقا على منعها فدك [٢] .

وفي كتاب إعلموا أني فاطمة للشيخ عبد الحميد المهاجر

بعد ذكر الآية الكريمة ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ [٣] .

قال : وبالفعل فقد حدث الإنقلاب المتوقع بالكامل ، وتلاحقت الأحداث بسرعة فائقة ، بدءاً من سلب الخلافة من علي (عليه السلام) ، واقتحام دار النبي (صلى الله عليه وآله) ، وحرق باب الزهراء (عليها السلام) ، وإنتهاءً بكسر ضلع فاطمة (عليها السلام) وضربها بالسياط ، وانتزاع قرية فدك من يد الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) [٤] .

---

(١) الإختصاص/ص١٨٠

(٢) كشف المراد في شرح التجريد /ص٢٩٩

(٣) آل عمران/١٤٤

(٤) إعلموا أني فاطمة ج٧/٢٢١

وفي البحار للمجلسي (ر٥) من حديث طويل بين المفضل بن عمر والإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

ثم تبتدئ فاطمة (عليها السلام) ، وتشكو ما نالها من أبي بكر وعمر ، وأخذ فدك منها ، ومشيها إليه في مجمع من المهاجرين والأنصار ، وخطابها له في أمر فدك ، وما ردّ عليها من قوله : إن الأنبياء لا تورّث ، واحتجاجها بقول زكريّا ويحيى (عليهما السلام) ، وقصة داود وسليمان (عليهما السلام) .

وقول عمر : هاتي صحيفتك التي ذكرت أن أباك كتبها لك ، وإخراجها الصحيفة وأخذه إياها منها ، ونشره لها على رؤوس الأشهاد من قريش والمهاجرين والأنصار وسائر العرب ، وتفله فيها ، وتمزيقه إياها ، وبكائها ، ورجوعها إلى قبر أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) باكية حزينة ...

وتقص عليه قصّة أبي بكر وإنفاذه خالد بن الوليد وقنفذاً وعمر بن الخطّاب ، وجمعه الناس لإخراج أمير المؤمنين (عليه السلام) من بيته إلى البيعة ...

وقول عمر : اخرج يا عليّ إلى ما أجمع عليه المسلمون ، وإلاّ قتلناك !...

وجمعهم الجزل والحطب على الباب لإحراق بيت أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وزينب وأُم كلثوم وفضّة ، وإضرامهم النار على الباب ، وخروج فاطمة إليهم ، وخطابها لهم من وراء الباب .

وقولها : ويحك ياعمر ! ما هذه الجرأة على الله ، وعلى رسوله ؟ تريد أن تقطع نسله من الدنيا ، وتفنيه ، وتطفئ نور الله ؟ ﴿ والله متم نوره ﴾ ، وانتهاره لها .

وقوله : كُفّي يا فاطمة فليس محمد حاضراً ، ولا الملائكة آتية بالأمر والنهي والزجر من عند الله ، وما عليّ إلاّ كأحد المسلمين ، فاختاري إن شئت : خروجه لبيعة أبي بكر ، أو إحراقكم جميعاً .

فقالت وهي باكية : اللهمّ إليك نشكو فقد نبيك ، ورسولك ، وصفيك وارتداد أمته علينا ، ومنعهم إيانا حقنا الذي جعلته لنا في كتابك المنزل على نبيك المرسل .

فقال لها عمر : دعي عنك يا فاطمة حمقات النساء ، فلم يكن الله ليجمع لكم النبوّة والخلافة ، وأخذت النار في خشب الباب .

وإدخال قنفذ يده لعنه الله يروم فتح الباب ، وضرب عمر لها بالسوط على عضدها ، حتى صار كالدملج الأسود ، وركل الباب برجله ، حتى أصاب بطنها وهي حاملة بالمحسن ، لستة أشهر وإسقاطها إياه .

وهجوم عمر وقنفذ وخالد بن الوليد ، وصفقة خدّها حتى بدا قُرطاها تحت خمارها ، وهي تجهر بالبكاء ، وتقول : وا أبتاه ، وا رسول الله ، ابنتك فاطمة تُكذَّب وتُضرب ، ويقتل جنين في بطنها .

وخروج أمير المؤمنين (عليه السلام) من داخل الدار محمرّ العين حاسراً ، حتى ألقى ملاءته عليها ، وضمّها إلى صدره ، وقوله لها : يا بنت رسول الله قد علمتي أن أباك بعثه الله رحمة للعالمين ، فالله الله أن تكشفي خمارك ، وترفعي ناصيتك ، فوالله يا فاطمة ! لئن فعلت ذلك لا أبقى الله على الأرض من يشهد أنّ محمداً رسول الله ، ولا موسى ، ولا عيسى ، ولا

إبراهيم ، ولا نوح ، ولا آدم ، ولا دابة تمشي على الأرض ، ولا طائراً في السماء إلاّ أهلكه ا لله .

ثم قال : يا ابن الخطاب لك ! الويل من يومك هـذا وما بعده وما يليه اخرج قبل أن أُشهر سيفي فأُفني غابر الأُمّة .

فخرج عمر وخالد بن الوليد وقنفذ وعبد الرحمن بن أبي بكر فصاروا من خارج الدار ، وصاح أمير المؤمنين بفضة ! يا فضة مولاتك فاقبلي منها ما تقبله النساء ، فقد جاءها المخاض من الرّفسة وردّ الباب ، فأسقطت محسنا ، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : فانه لاحق بجده رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) فيشكو إليه [1] .

[1] راجع البحار ج٥٣/ص١٧ ط جديدة

من قصيدة للشيخ محسن بن الشيخ شريف حفيد الشيخ الأكبر صاحب الجواهر

وعن ملأ منهم أتت بنتُ أحمد تناشدُ حقاً نصه ا لله في الذكرى
وعن ملأ ردّت إلى عقر بيتها تجر ثياب الذل مهضومة عبرى
ويوم اقتحام الدار يوم تهتكت به حرمات ا لله حتى بدت حسرى
فعن ملأ منهم أتوا بيت فاطم مقر الهدى والدين والحجة الكبرى
غداة غدا ركن الضلالة حاملاً على ظهره أضعاف ما في الحشا أورى
يحاول حرق الدار والدار تلتقي على صبية لم تعرف الخوف والذعرا
ينادي به أخرج (علي) وأن تقم فللنار أعمال ستخرجكم قسرا
فكم ريعت(الكبرى)بهذاوكم شكت إلى جدها ما نالها منهم (الصغرى)
وكم هتفت بالمسلمين وكم دعت بيا لرسول ا لله لإبنتك (الزهرا)
ولا قائل منهم دعوها فإنها سليلة خير الخلق والبضعة (الحورا)
تناشدهم والمسلمين ولو دعت بحق رسول ا لله صلد الصفا خرّا
تقول لهم ياقوم بيتي ولم يكن نبي الهدى يوماً ليدخله قهرا
فماكفّ عنها الرجس بل حركت له حشا فيه نار الحقد كامنة دهرا
وهاجم بيت الوحي والباب دونه عقيلة آل ا لله مسندة صدرا
ولم يرعها بل راعها وتزاحموا على الباب أفواجاً فبئس بهم طرا

.إعلموا أني فاطمة ج٩/ص١٩٧

رأي علماء الشيعة

في ظلم فاطمة الزهراء (عليها السلام)

إن قضية ظلم الزهراء (عليها السلام) ، والهجوم على بيتها لإحراقه ، وضربها وكسر ضلعها ، وإسقاط جنينها ، هي من المسلمات عند علماء الشيعة الإمامية على مر التاريخ ، بل هي من المتواترات المتفق عليها .

ولقد نقل شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (رضوان الله عليه) ، الإجماع عند علمائنا ، على هذه القضية .

ومن المعروف أن إجماع العلماء المتقدمين حجة على المتأخرين ، لأنهم أقرب إلى عهد المعصوم (عليه السلام) من المتأخرين .

وكل من راجع ، ودرس حياة أُولئك العلماء الأفذاذ وجد أنهم كانوا يستعملون التقية لخوفهم من حكام زمانهم الظالمين ، الذين كانوا يحكمون بإسم الإسلام ، والإسلام منهم بريء .

ومع ذلك الخوف من الحكام الجائرين ، فإنك تراهم يناقشون ، ويُدرّسون موضوع أذية الزهراء (عليها السلام) ، ويُجاهرون به ، ويرفعون صوتهم عالياً ، ليسمعوا آذان الدنيا على مر التاريخ ، ويذكرون ما جرى على بضعة الرسول (صلوات الله وسلامه عليه وعليها) ، التي يرضى الله لرضاها ، ويسخط لسخطها .

وهذا ما سننقله عنهم ، إضافة إلى تلك الروايات الصحيحة والموثوقة التي مر ذكرها ، ليكون الموضوع أشمل ، والحجة أكمل ، لمن أراد أن يصغي إلى الحقيقة ، ويُرضي الله تعالى ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله الطاهرين) .

رأي الشريف المرتضى علم الهدى (ره)

حيث ذكر في كتابه (الشافي) رداً على قول الشيخ عبد الجبار الذي لا يصدق ولا يُجوّز ما يرويه الشيعة من أن عمر ضرب فاطمة (عليها السلام) بالسوط .

فأجابه السيد المرتضى بقوله : أمّا قولك : إنا لا نصدّق ذلك ، ولا نجوّزه فإنك لم تسند إنكارك إلى حجة ، أو شبهة فنتكلم عليها ,

والدفع لما يروى ، بغير حجة لا يلتفت إليه .

وقال أيضاً : .. فأما حكايته عن أبي علي إنكاره ما روي من ضربها ، وإدعاؤه أن جعفر بن محمد (عليهما السلام) كان يتولاهم ، وكان أبوه وجده كذلك .

فأول ما فيه : أن إنكار أبي علي ، لما وردت به الرواية ، من غير حجة لا يعتد به .

إلى أن قال (ره) : وقد علمنا ، وعلم كل أحد ، أن المختصين بهؤلاء السادة [١] ، قد رووا عنهم ضد ما ادعاه أبو علي ...

وقولهم فيهما [٢] ، هو إنهما أول من ظلمنا حقنا ، وحمل الناس على رقابنا .

وقولهم [٣] : إنهما أصفيا بإنائنا ، واضطجعا بسبيلنا ، وجلسا مجلساً نحن أحق به منهما ، مشهور معروف .

---

[١] يعني بالسادة هم أئمة أهل البيت (عليهم السلام)

[٢] أي في أبي بكر وعمر

[٣] أي قول أهل البيت (عليهم السلام) في حق من ظلمهم

إلى غير ذلـك مـن فنـون التظلـم ، وضـروب الشـكاية ، فيمـا لـو أردنـاه واستقصيناه لأحتاج إلى مثل حجم كتابنا [1] .

وملخص ما قاله السيد المرتضى (رضوان الله عليه) هـو أنـه رد علـى مـن أنكـر ظلم الزهراء (عليها السلام) و لم يأت بدليل يصلح للمناقشة .

وهذا أسلوب الجهال وليس اسلوب العلماء ، إذ أن أهـل العلـم يقـارعون الدليل بدليل مثله ، والحجة بحجة مثلها ، والإنكار بلا دليل لايجدي نفعاً ولا يُعتد به .

فتبقى حجة الشيعة الإمامية هي الأقوى : وهي ثبوت ظلـم الزهـراء (عليها السلام) وضربها بالسوط وإسقاط جنينها (المحسن) .

رأي الشيخ أبو جعفر الطوسي (ره)

في كتابه تلخيص الشافي ، عند ذكر المطاعن التي ذكرت على سياسة أبـي بكر في حق أهل البيت (عليهم السلام)

قال (ره) : ومما أُنكر عليه : ضربهم لفاطمة (عليها لسلام) ، وقـد روي أنهـم ضربوها بالسياط .

والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشـيعة : أن عمـر ضربهـا علـى بطنهـا حتى أسقطت .

فسمي السقط (محسناً) .والرواية بذلك مشهورة عندهم .

---

[1] راجع الشافي ج٤/ص١١٠/١١٦

وأرادوا من إحراق البيت عليها – حين التجأ إليها قوم ، وامتنعوا عن البيعة – وليس لأحدٍ أن ينكر الرواية بذلك ، لأنّا قد بيّنا الرواية الواردة من جهة العامة من طريق البلاذري وغيره .

ورواية الشيعة مستفيضة به ، ولا يختلفون في ذلك [١] .

رأي العلامة الحلي (ره)

في ذكر المطاعن على سياسة أبي بكر ضد أهل البيت (عليهم السلام) قال في كتاب كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد : أقول : هذه مطاعن أخرى في أبي بكر . وهو أنه دفن في بيت النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقد نهى الله تعالى عن الدخول بغير إذن النبي (صلى الله عليه وآله) حال حياته فكيف بعد موته [٢] .

وبعث إلى بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) ، لمّا امتنع من البيعة ، فأضرم فيه النار ، وفيه فاطمة ، وجماعة من بني هاشم ، وأخرجوا علياً (عليه السلام) كرهاً وكان معه الزبير في البيت ، فكسروا سيفه ، وأخرجوا من أخرجوا ، وضربت فاطمة ، وألقت جنيناً اسمه محسن .

ولمّا بويع أبو بكر صعد المنبر ، فجاء الحسن والحسين (عليهما السلام) ، مع جماعة من بني هاشم فأنكروا عليه . وقال له الحسن والحسين (عليهما السلام) : هذا مقام جدنا ، ولست له أهلاً .

ولمّا حضرته الوفاة قال : ليتني كنت تركت بيت فاطمة فلم أكشفه [٣] .

---

[١] تلخيص الشافي ج٣/ص١٥٥ ط دار الأداب النجف الأشرف سنة/١٣٨٣ هـ

[٢] إشارة إلى قوله تعالى ﴿...لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ...﴾ الأحزاب /٥٣

[٣] كشف المراد /ص٢٩٦

رأي العلامة الشيخ محمد تقي المجلسي (ره)

هو والد الشيخ محمد باقر صاحب البحار ، قال في شرحه لكتاب (من لا يحضره الفقيه) : وشهادتها (صلوات الله عليها) كانت من ضربة عمر ...الباب على بطنها عندما أرادوا أمير المؤمنين لبيعة أبي بكر ...وضرب قنفذ غلام عمر السوط عليها بإذنه .

والحكاية مشهورة عند العامة والخاصة ، وسقط بالضرب غلام كان اسمه محسن [1] .

رأي العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ره)

في كتاب مرآة العقول ، الذي شرح فيه أخبار اصول الكافي والروضة ، قال عند رواية أنها (عليها السلام) صديقة شهيدة : إنه من المتواترات .

وكان سبب ذلك أنهم لمّا غصبوا الخلافة ، وبايعهم أكثر الناس ، بعثوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ليحضر البيعة ، فأبى : فبعث عمر بنارٍ ليحرق على أهل البيت بيتهم ، وأرادوا الدخول عليه قهراً ، فمنعتهم فاطمة عند الباب ، فضرب قنفذ – غلام عمر – الباب على بطن فاطمة (عليها السلام) فكسر جنبها ، وأسقطت لذلك جنيناً كان سماه رسول الله (صلى الله عليه وآله) محسناً ، فمرضت لذلك ، وتوفيت (صلوات الله عليها) من ذلك المرض [2] .

وقال (ره) في كتابه بحار الأنوار : .إذ تبين بالمتفق عليه من أخبارهم وأخبارنا : أن عمر همَّ بإحراق بيت فاطمة (عليها السلام) ، بأمر من أبي بكر ،

---

[1] روضة المتقين ج٥/ص٣٤٢

[2] مرآة العقول ج٥/ص٣١٨

أو برضاه ، وقد كان فيه أمير المؤمنين وفاطمة والحسنان (صلوات الله عليهم) وهدّدهم ، وآذاهم ، مع أن رفعة شأنهم عند الله ، وعند رسوله (صلى الله عليه وآله) ممّا لا ينكره إلاّ من خرج عن الإسلام .

وقد استفاض في رواياتنا ، بل وفي رواياتهم أيضاً أنه روّع فاطمة (عليها السلام) حتى ألقت ما في بطنها .

وقد سبق في الروايات المتواترة ، وسيأتي أن إيذاءها (صلوات الله عليها) إيذاء للرسول (صلى الله عليه وآله) .

وآذيا عليّاً (عليه السلام) ، وقدتواتر في روايات الفريقين قول النبي (صلى الله عليه وآله) : من آذى عليّاً فقد آذاني ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا** ﴾ [١]

وهل يجوّز عاقل خلافة من كان هذا حاله ، ومآله [٢] .

رأي العلامة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (ره)

قال : طفحت واستفاضت كتب الشيعة في صدر الإسلام ، القرن الأول: مثل كتاب سليم بن قيس ، وبعده إلى القرن الحادي عشر وما بعده ، بل وإلى يومنا ، كل كتب الشيعة التي عُنيت بأحوال الأئمة ، وأبيهم الآية الكبرى ، وأُمهم الصديقة الزهراء (صلوات الله عليهم اجمعين) .

وكل من ترجم لهم ، وألف كتاباً فيهم ، أطبقت كلمتهم تقريباً ، أو تحقيقاً في ذكر مصائب تلك البضعة الطاهرة : إنها بعد رحلة أبيها المصطفى

---

[١] الآحزاب/٥٧

[٢] البحار ج٢٨/ص٤٠٨و٤١٠

(صلى الله عليه وآله) ، ضرب الظالمون وجهها ، ولطموا خدّها ، حتى احمرت عينها ، وتناثر قرطها ، وعصرت بالباب حتى كسر ضلعها ، واسقطت جنينها ، وماتت وفي عضدها كالدملج .

ثم أخذ شعراء أهل البيت (سلام الله عليهم) هذه القضايا والرزايا ، ونظموها في أشعارهم ، ومراثيهم ، وأرسلوها إرسال المسلمات : من الكميت ، والسيد الحميري ، ودعبل الخزاعي ، والنميري ، والسلامي ، وديك الجن ، ومن بعدهم ، ومن قبلهم إلى هذا العصر .

وتوسع أعاظم شعراء الشيعة في القرن الثالث عشر ، والرابع عشر – الذي نحن فيه – كالخطي ، والكعبي ، والكوازييّن ، وآل السيد مهدي الحلّيين ، وغيرهم ، ممن يعسر تعدادهم ، ويفوت الحصر جمعهم وآحادهم .

وكل تلك الفجايع والفظايع ، وإن كانت في غاية الفظاعة والشناعة ، ومن موجبات الوحشة والدهشة ، ولكن يمكن للعقل أن يجيزها ، وللأذهان والوجدان أن يستسيغها ، وللأفكار أن تقبلها وتهضمها ، ولا سيّما وأن القوم قد اقترفوا في قضية الخلافة ، وغصب المنصب الإلهي من أهله ، ما يعد أعظم وأفظع [1] .

رأي العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين (ره)

في كتابه المراجعات رقم/٨٢ عند احتجاجه على أصحاب البيعة ، وأنها كانت بالقوة والغلبة قال : تهديدهم عليّاً بالتحريق ثابت بالتواتر القطعي ، وحسبك ما ذكره الإمام إبن قتيبة في أوائل كتاب الإمامة والسياسة ،

---

[1] جنة المأوى /ص١٣٣/١٣٥

والإمام الطبري في موضعين ، من أحداث السنة الحادية عشرة من تاريخه المشهور ، وإبن عبد ربه المالكي في حديث السقيفة من الجزء الثاني من العقد الفريد ، وأبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة لما في /ص١٣٤من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي الحديدي ، والمسعودي في مروج الذهب ، نقلاً عن عروة بن الزبير في مقام الإعتذار عن أخيه عبد الله ، إذ همّ بتحريق بيوت بني هاشم حين تخلفوا عن بيعته ، والشهرستاني نقلاً عن النظام عند ذكره الفرقة النظامية في كتاب الملل والنحل ، وأفرد أبو مخنف لأخبار السقيفة كتاباً فيه تفصيل ما أجملناه .

وناهيك في شهرة ذلك وتواتره ، قول شاعر النيل الحافظ إبراهيم في قصيدته العمرية ، السائرة الطائرة :

وقولة لعلي قالها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرّقت دارك لا أبقي عليك بها إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص يفوه بها أمام فارس عدنان وحاميها

هذه معاملتهم للإمام الذي لا يكون الإجماع حجة عندنا إلا إذا كان كاشفاً عن رأيه ، فمتى يتم الإحتجاج بمثل إجماعكم هذا علينا ، والحال هذه يا منصفون ؟ [1] .

رأي العلامة الشيخ محمد الحسين المظفر (ره)

بعد أن ذكر الروايات الواردة من طرق أهل السنة في قصد إحراق بيت فاطمة (عليها السلام) قال : وبالجملة : يكفي في ثبوت قصد الإحراق رواية جملة

---

[1] المراجعات/ص٢٧٥ والنص والإجتهاد/ص٨٨

من علمائهم له ، بل رواية الواحد منهم له ، لاسيّما مع تواتره عند الشيعة ولا يحتاج إلى رواية البخاري ومسلم وأمثالهما ممن أجهده العداء لآل محمد (صلى الله عليه وآله) ، والولاء لأعدائهم ، ورام التزلف إلى ملوكهم وأمرائهم ، وحسن السمعة عند عوامهم [١] .

رأي آية الله الحجة السيد روح الله الموسوي الخميني (ره)

مؤسس جمهورية إيران الإسلامية ، قال : ...فلا بد إذن من القول : بأن أولي الأمر ليسوا هم السلاطين والأمراء .. ولا شغل لنا الآن مع الشيخين[٢]

ومع مخالفتهما للقرآن ، وتلاعبهما بأحكام الله ، والتحليل والتحريم من أنفسهم ، والظلامات التي ألحقوها بفاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله) ، وجهلهما بأحكام الله ، حتى أن أبا بكر قطع يد السارق اليسرى ، وأحرق شخصاً مع أنه حرام ، ولم يدرِ ما حكم الكلالة ، وميراث الجدة ، ولم يحدّ خالد بن الوليد ، مع أنه قتل مالك بن نويرة ، وأخذ زوجته في نفس تلك الليلة .

وأعمال عمر أكثر من أن تذكر ، مثل أمره رجم المرأة الحامل ، والمرأة المجنونة ، ونهاه عن ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) ، واشتباهه في حكم المهرية فنبهته إمرأة خلف الستار ، حتى قال عمر : جميع الناس حتى المخدرات أعلم بأحكام الله مني .

---

[١] دلائل الصدق ج٣/ص٩١

[٢] أي أبو بكر وعمر

وحرم متعة الحج ، ومتعة النساء ، خلافاً لحكم ا لله والنبي (صلى الله عليه وآله) وأحرق باب بيت النبي (صلى الله عليه وآله) [١] .

رأي العلامة الحجة السيد محمد باقر الصدر (ره)

بعد أن بيّن سياسة الذين حكموا بعد النبي (صلى الله عليه وآله) تجاه أهل بيت النبوّة (عليهم الصلاة والسلام) قال : ... غير أننا نحس ونحن ندرس سياسة الحاكمين بأنهم انتهجوا منذ اللحظة الأولى سياسة معينة تجاه آل محمد (صلى الله عليه وآله) ، للقضاء على الفكرة التي أمدّت الهاشميين بقوة على المعارضة ، كما خنقوا المعارضة نفسها .

ونستطيع أن نصف هذه السياسة بأنها تهدف إلى إلغاء إمتياز البيت الهاشمي ، وإبعاد أنصاره ، والمخلصين له ، عن المرافق الهامة ، في جهاز الحكومة الإسلامية يومئذ ، وتجريده عمّا له من الشأن والمقام الرفيع في الذهنية الإسلامية .

وقد يعزز هذا الرأي عدة ظواهر تاريخية :

الأولى : سيرة الخليفة وأصحابه مع عليّ ، التي بلغت من الشدة ، أن عمر هدد بحرق بيته ، وإن كانت فاطمة فيه .

ومعنى هذا : إعلان أن فاطمة ، وغير فاطمة من آلها ، ليس لهم أيّ حرمة تمنعهم عن أن يتخذ معهم نفس الطريقة التي سار عليها مع سعد بن عبادة ! حين أمر الناس بقتله ...

---

[١] كشف الأسرار/ص١١٩

الثاني : أن الخليفة الأول لم يشارك شخصاً من الهاشميين في شأن من شؤون الحكم المهمة ، ولا جعل فيها والياً على شبر من المملكة الإسلامية الواسعة ، مع أن نصيب الأمويين في ذلك كان عظيماً .

وأنت تفهم بوضوح أن هذا وليد سياسة متعمدة من محاورة وقعت بين عمر ، وابن عباس ، أظهر فيها تخوفه من تولية الثاني [١] حمص ، لأنه يخشى إذا صار الهاشميون ولاة على أقطار المملكة الإسلامية أن يموت وهم كذلك ، فيحدث في أمر الخلافة ما لا يريد [٢] .

[١] أي أن عمر يخاف من تولية إبن عباس على حمص

[٢] فدك في التاريخ /ص٦٩/٧٠

من قصيدة للسيد محمد جمال الهاشمي

شمّرت للجهاد سيدة الإسلام ... عن ذيل عزمها الصخّاب
لم تدعْ للمهاجرين والأنصار ... رأياً إلا انمحى كالضباب
واستعانتْ بالحقِ درعٌ ... من أمان وصارمٌ من صواب
رجمتهم بالمخزيات فآبوا ... وهم يحملون سوءَ المآب
حججٌ كالنجوم ينثرُها الحقُّ ... ويرمي الشهاب إثرَ الشهاب
فهي إمّا عقل وإمّا حديث ... جاء عن نص سنةٍ أو كتاب
فتهاوت أحلامهم كصروحٍ ... شادها الوهم عالياً في السراب
آهِ لولا ضعف النفوس لما ... استرجع ركب الهدىعلى الأعقاب
ولما عادت الإمارة للقوم ... وحازوا إمامة المحراب
واستقرت هوج العواصف لما ... قابلتها سياسة الإرهاب
واختفى النص بالولاية لمّا ... أظهر الكيد فكرة الإنتخاب
أوقدَ الغدر في السقيفة ناراً ... عَلُقتْ في مواكب الأحقاب
وتلاشى الغديرُ إلا بقايا ... تترامى بها بطونُ الشِعاب
وتوالت مناظرٌ مؤلماتٌ ... مثلتها عداوةُ الأصحاب
من هجوم الأرجاس بالنار كيْ ... تحْرقَ بيتَ الأكارم الأطياب
وانكسار الضلع المقدس بالضغـ ... ـط وسقطِ الجنين عند الباب
وانتزاع الوصي سحباً من الدار ... بتيار ثورة الأعصاب
واغتصاب الحق الصريح جهاراً ... باختلاف الأعذار للإغتصاب

إعلموا أني فاطمة ج٩/ص١٨٩ |

رأي بعض علماء السنة في ظلم الزهراء (عليها السلام)

لإتمام الفائدة المرجوة ، وإلقاء الحجة على من عاند وكابر ، وجحد مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) ، وللردّ على من يدّعي أن هذا الكلام غير موجود ، أو هو مبالغ فيه ، نقلنا آراء بعض علمائنا الأبرار ، وما فاتنا أكثر.

وعلينا الآن أن ننقل آرء بعض علماء أهل السنة في نقلهم للإجماع الشيعي على ظلم الزهراء (عليها السلام) ، وعن رأي البعض الآخر في مظلوميتها (عليها السلام) .

فنقول : إن السيد المرتضى ، علم الهدى (ره) قد نقل في كتابه الشافي عن القاضي عبد الجبار قوله ، واعتراضه على الشيعة فقال : ومن جملة ماذكروه من الطعن [١] ، إدّعاؤهم أن فاطمة لغضبها على أبي بكر وعمر ، وصّت أن لا يصليا عليها ، وأن تدفن سرّاً منهما ، فدفنت ليلاً .

وادّعوا برواية رووها عن جعفر بن محمد (عليه السلام) وغيره أن عمر ضرب فاطمة (عليها السلام) بالسوط ...الخ [٢] .

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة ، رداً على مزاعم الشيعة في تخطئتهم لأبي بكر وعمر فيما فعلاه مع الزهراء (عليها السلام) : أمّا الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة ، من إرسال قنفذاً إلى بيت فاطمة (عليها السلام) ، وأنه ضربها بالسوط فصار عضدها كالدُّملج ، وبقي أثره

---

[١] أي من جملة ما ذكرته الشيعة من الطعن على أبي بكر وعمر .

[٢] الشافي ج٤/ص١١٠، والملاحظات/ص١٣٦

إلى أن ماتت ، وأن عمراً ضغطها بين الباب والجدار ، فصاحت ياأبتاه يا رسول ا لله ! وألقت جنيناً ميتاً ، وجعل في عنق عليٍّ (عليه السلام) حبلاً يقاد به وهو يُعتَل ،وفاطمة خلفه تصرخ وتنادي بالويل والثبور ، وإبناه حسن وحسين معهما يبكيان .

وأن عليّاً لمّا أُحضِر سلّموه للبيعة فامتنع ، فتُهدد بالقتل ، فقال : إذن تقتلون عبد ا لله ، وأخا رسوله ! فقالوا : أمّا عبد ا لله فنعم ، وأمّا أخو رسول ا لله فلا !.

وأنه طعن فيهم في وجههم بالنفاق ، وسطر صحيفة الغدر التي اجتمعوا عليها ، وبأنهم أرادوا أن ينفّروا ناقة رسول ا لله (صلى الله عليه وآله) ليلة العقبة ؛ فكله لا أصل له عند أصحابنا ، ولا يثبته أحد منهم ، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه ، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله [1] .

بعد نقل هذين النصين ، لعالمين من علماء السنة ، نستطيع أن نقول : إن مسألة ظلم الزهراء التي روتها الأخبار الصحيحة والموثوقة والمعتبرة من طرق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، كانت منتشرة وشائعة بين علمائهم وعوامهم حتى وصلت إلى علماء غير الشيعة ، الذين انتقدوهم على ذلك ، وقالوا : إن هذه الروايات غير ثابتة ، مع أنهم يكذبون في ذلك .

وقد أثبتنا هذه الروايات من طرقهم .

---

[1] البحار ج٢٨/ص٣١٧ ، والملاحظات/ص١٣٧ ، لقد أثبتنا فيما سبق من هذا الكتاب ثبوت ما أنكره إبن أبي الحديد ، وبذلك يثبت كذبه .

وأن علماءنا ، مع أنهم كانوا يستعملون التقية -في أغلب الأحيان - خوفاً من حكامهم الجائرين ، وعلمائهم الفاسقين ، كانوا يجاهرون في ذكر ظلم فاطمة الزهراء (عليها السلام) وما جرى عليها من حكامهم .

وقد روى الجوهري [١] ، عن داود بن المبارك ، قال : أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بين الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ونحن راجعون من الحج في جماعة ، فسألناه عن مسائل : وكنت أحد من سأل ، فسألته عن أبي بكر وعمر ، فقال : أُجيبك بما أجاب به عبد الله بن الحسن ، فإنه سئل عنهما فقال : كانت أُمنا فاطمة (عليها السلام) صدّيقة ، إبنة نبي مرسل ، وماتت وهي غضبى على قوم ، فنحن غضاب لغضبها [٢] .

إبن أبي الحديد يعترف [٣] : بأن أبا بكر وعمر ظلما فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، وذلك بعدما ذكر تلك الأخبار التي تصرح بأنهما أرادا إحراق بيتها عليها مع زوجها وأولادها ، وبعد تلك المعاناة التي أوضحتها الروايات المتقدمة ، فقال : والصحيح عندي أنّها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر ، وأنها أوصت أن لا يصليا عليها ، وذلك عند أصحابنا من الصغاير المغفورة لهما ، وكان الأولى بهما إكرامها ، وإحترام منزلتها ، لكنهما خافا الفرقة ، وأشفقا الفتنة ! ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنهما [٤] .

---

[١] تجد كلامه في شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج٢/ص٢٠

[٢] البحار ج٢٨/ص٣١٦

[٣] راجع شرح النهج ج٢/ص٢٠

[٤] البحار ج٢٨/ص٣٢٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أقول : الحب في بعض الأحيان يعمي ويصم .

هذا الذي أعماه حبهما ، فهو يدافع عنهما بأيّ وسيلة حتى لو كانت كاذبة خاطئة .

فكيف يعترف بأنها ماتت غاضبة عليهما وأوصت بأن لا يصليا عليها ، ولا يحضرا دفنها ، لتسجل للأجيال غضبها المستمر عليهما ، وتذكّر الأمة دائماً بقول أبيها المصطفى (صلى الله عليه وآله) : فاطمة بضعة مني ، يؤذيني ما آذاها ، ويغضبني ماأغضبها .

أوليست أذية رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الكبائر ؟ بنص قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهينا** ﴾ [1] وقوله عز وجل : ﴿ **...والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** ﴾ [2] .

أجارنا الله تعالى وأعاذنا من زلة اللسان ، وخلط الأفكار والجنان .

وقد نقل في كتابه شرح نهج البلاغة ، في موضع آخر عن الجوهري ، - بعد قضة هبّار بن الأسود ، الذي أباح دمه النبي (صلى الله عليه وآله) .

وقصته : إن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث زيد بن حارثة مع أبي العاص لجلب زينب : فقدّموا لها بعيراً وأركبوها ، وخرجوا بها إلى المدينة نهاراً يقاد بعيرها ، وهي في الهودج .

---

[1] الأحزاب /٥٧

[2] التوبة /٦١

وتحدث بذلك الرجال والنساء من قريش ، ولاوم بعضهم بعضاً وقالوا : إن محمداً قتل رجالنا في بدر ، وسبى ذرارينا ، وتخرج ابنته [١] بين أيدينا نهاراً هكذا ؛ فخرجوا في طلبها مسرعين ، حتى أدركوها بذي طوى ، فكان أول من سبق إليها هبّار بن الأسود ، ونافع بن عبد القيس الفهري ، فروعها هبّار بالرمح ، وهي في الهودج ، وكانت حاملاً ، فلمّا رجعت إلى المدينة رأت دماً ، وطرحت ما في بطنها ، فلذلك أباح رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) دم هبّار في فتح مكة لأنه روّع زينب .

فقال إبن أبي الحديد : قرأت هذا الخبر على النقيب أبي جعفر ، فقال : إذا كان رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) أباح دم هبّار لأنه روّع زينب ، فألقت ذا بطنها ، فظاهر الحال أنه لو كان حيّاً لأباح دم من روّع فاطمة (عليها السلام) حتى ألقت ذا بطنها ، فقلت : أروي عنك ما يقوله قوم : إن فاطمة (عليها السلام) رُوِّعت فألقت المحسن ؟.

فقال : لا تروه عني ، ولا ترو عني بطلانه ، فإني متوقف في هذا الموضع ، لتعارض الأخبار عندي فيه [٢] .

---

[١] كان العرب في الجاهلية يعتبرون ربيبات الرجل بناته ، والنبي (صلى ا لله عليه آله) لم يولد له من خديجة سوى القاسم ، وعبد ا لله ، ولقبه الطاهر ، وفاطمة (عليهم السلام) ، وأمّا زينب ورقية وأم كلثوم ، فكنّ بنات أخت خديجة التي ماتت وربتهن خديجة ، وبعد أن تزوج النبي (صلى ا لله عليه وآله) من خديجة ، أصبح يطلق عليهن بناته لأنهنّ تحت رعايته . راجع كتاب (بنات النبي أم ربيباته) للعلامة السيد جعفر مرتضى العاملي

[٢] البحار ج٢٨/ص٣٢٣ ، واعلموا أني فاطمة ج٣/ص٦٢

أقول : كل من تمعّن في كلام أبي جعفر النقيب يرى أن التقية بادية ، وظاهرة من كلامه ، فهو يعلم الكثير عن ظلم القوم للزهراء (عليها السلام) ، ولكنه تظاهر بأنه متوقف في ذلك .

وقال إبن حجر العسقلاني : قدمت بنت أبي لهب المدينة مهاجرة .

فقيل لها : لا تغني عنك هجرتك ، أنت بنت حطب جهنم !.

فذكرت ذلك للنبي -(صلى الله عليه وآله)- فاشتد غضبه ، ثم قال على منبره : ما بال أقوام يؤذونني في نسبي ، وذوي رحمي !.ألا ومن آذى نسبي ، وذوي رحمي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله .

أخرجه إبن عاصم ، والطبراني ، وإبن منده ، والبهيقي بألفاظ متقاربة [1]

أقول : إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد اشتد غضبه ، وصعد المنبر ، وخطب ، ووعظ ، وهدد بغضب الله تعالى على كل من آذى قرابته ، أو ذوي رحمه ، فماذا كان سيفعل ، لو رأى ما فعل أُولائك القوم بابنته ، وقرّة عينه فاطمة (عليها السلام) ؟ وما فعله أتباعهم بذريتها من بعدها ؟.

ونقل العلامة السيد محسن الأمين العاملي (ره) ، عن مجلة الرسالة المصرية العدد /٥١٨ من السنة/١١/ص٤٥٧ كلام للاستاذ محمود أبو ريّة من أهل المنصورة ، هذا لفظه : بقي أمر لا بد من أن نقول فيه كلمة بصراحة : ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة بنت رسول الله (رضي الله عنها) وما فعل معها من ميراث أبيها ، لأننا إذا سلمنا بأن خبر الآحاد الظني

---

[1] راجع الصواعق المحرقة /ص١٧٢

يخصص الكتاب القطعي ، وأنه قد ثبت أن النبي قد قال : إنه لا يورث ، وإنه لا تخصيص في عموم هذا الخبر .

فإن أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة (رضي الله عنها) بعض تركة أبيها ، كأن يخصها بفدك .

وهذا من حقه الذي لا يعارضه فيه أحد ، إذ يجوز للخليفة أن يخصّ من شاء بما شاء .

وقد خصّ هو نفسه ، والزبير بن العوام ، ومحمد بن سلمة ، وغيرهم ببعض متروكات النبي ، على أن فدك هذه التي منعها أبو بكر من فاطمة لم يلبث أن أقطعها عثمان لمروان (اه) .

وفي معجم البلدان : أنه أدى اجتهاد عمر بن الخطاب ، لمّاولي الخلافة ، وفتحت الفتوح على المسلمين ، أن يردها إلى ورثة رسول الله (ص) ، فكان علي بن أبي طالب والعباس ، يتنازعان فيها ، فعلي يقول : إن النبي (ص) جعلها في حياته لفاطمة ، والعباس يأبى ذلك ، ويقول : هي ملك رسول الله (ص) وأنا وارثه ، ويتخاصمان إلى عمر، فيأبى أن يحكم بينهما ويقول : أنتما أعرف بشأنكما ، أمّا أنا فقد سلمتها إليكما ، فاقتصدا ، فما يؤتى واحد منكما من قلة معرفة (اه) .

وهذا الكلام [1] ، مع انفراده بنقله ، لا يكاد يصح .

---

[1] راجع إلى حديث أبي بكر : نحن معاشر الأنبياء لا نورث

فإذا كان النبي لا يورث ! كما رواه أبو بكر ، وسمعه منه العباس ، فكيف يقول : وأنا وارثه ، ثم قوله : وأنا وارثه ظاهرة انحصار الإرث فيـه ، مـع أن وارثه فاطمة ، إن بطل التعصيب ، وهي مع العباس إن صح التعصيب [1] .

هذه نبذة وجيزة من كلام بعض علماء أهـل السـنّة ، الذيـن أزاحـوا عـن أعينهـم شيئاً قليلاً من التعصب ، وعن قلوبهم قليلاً من الحقد على أهل البيت (عليهم السلام) .

فبدرت منهم هذه الكلمات الخجولة في حق من ظلم واعتـدى ، وتمـادى في غصب حق بضعة الرسول (صلوات الله عليهم أجمعين) .

---

[1] أي إن فاطمة (عليها السلام) سترث سواء ورث معها عمها العباس ، على رأي السنة ، أو كانت هي الوارثة الوحيدة ، على رأي الشيعة . راجع أعيان الشيعة ج٢/ص٣٠٧

حزن فاطمة الزهراء (عليها السلام) وبكاؤها

إن الله تبارك وتعالى فطر الإنسان على الفرح ، إن كان هناك ما يُفرحه ، وعلى الحزن ، إن كان هناك ما يحزنه .

وهما من العلامات الفارقة للإنسان عن بقية المخلوقات .

فالحزن كان ، وما يزال ، التعبير عما يجيش في داخل الإنسان من الأسى واللوعة لفقد عزيز ، أو لفقد حاجة تكون مهمة عنده .

والبكاء هو التعبير الظاهري عن الحزن الداخلي .

لهذا نجد جميع الناس يعبرون عن أحزانهم ، والمآسي التي لحقت بهم بالبكاء .

هذا رسول الله ، نبي الرحمة ، وإمام الأمة (صلى الله عليه وآله) ، قد بكى على ولده العزيز إبراهيم ...وقال : العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا ، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون [1] .

وبكى أيضاً (صلى الله عليه وآله) على ولده طاهر ... وقال : إن العين تذرف ، وإن الدمع يغلب ، وإن القلب يحزن ، ولا نعصي الله عز وجل [2] .

وعندما استشهد الحمزة بن عبد المطلب (عليه السلام) ، جاءت صفية بنت عبد المطلب تطلبه ، فحالت بينها وبينه الأنصار ، فقال (صلى الله عليه وآله) : دعوها ، فجلست عنده ، فجعلت إذا بكت بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله)

---

[1] الغدير ج٦/ص١٦٤ عن سنن أبي داود ، وسنن إبن ماجة .

[2] الغدير أيضاً عن مجمع الزوائد .

وإذا نَشَجتْ نشَجَ ، وكانت فاطمة (عليها السلام) تبكي ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) كلما بكت يبكي ، وقال : لن أُصاب بمثلك أبداً [١] .

وروي أيضاً أنه لمّا رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أحد ، بكت نساء الأنصار على شهدائهم ، فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : لكن حمزة لا بواكي له ، فرجعت الأنصار فقلن لنسائهم : لا تبكين أحداً حتى تبدأن بحمزة ، قال : فذا فيهم إلى اليوم ، لا يبكين ميتاً إلا بدأنَ بحمزة [٢]

وهذا هو (صلى الله عليه وآله) ينعي جعفراً ، وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة وعيناه تذرفان [٣].

وهذا هو (صلى الله عليه وآله) زار قبر أُمِّه وبكا عليها ، وأبكى من حوله .

وهذا هو (صلى الله عليه وآله) يُقبّل عثمان بن مظعون وهو ميت ودموعه تسيل غلى خده .

وهذا هو (صلى الله عليه وآله) يبكي على إبن لبعض بناته ، فقال له عبادة بن الصامت : ما هذا يارسول الله ؟.

قال (صلى الله عليه وآله) : الرّحمة التي جعلها الله في بني آدم ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء [٤] .

وفي بعض الأحيان يُستعمل الحزن والبكاء ، لإظهار المظلومية .

لأن المظلوم لا يستطيع أن يظهر حقه ، أو يُبيّنه خوفاً من الظالم .

---

(١) الغدير أيضاً عن أمتاع المقريزي /ص١٥٤

(٢) الغدير ، عن مجمع الزوائد .

(٣) الغدير ، عن صحيح البخاري وسنن البهيقي

(٤) الغدير ج٦/ص١٦٥ ، وقد نقلها عن مصادر أهل السنة ، فراجع .

فالحكام الذين ملكوا رقاب العباد بالقهر والغلبة ، أو بالدهاء والخديعة ، لا يعطون فرصة للمظلومين ، لكي يظهروا حقوقهم ، أو يدفعوا عن أنفسهم المظلومية .

فالمظلوم يتجه نحو البكاء ، ليظهر مظلوميته ، ويكشف زيف الظالم وخداعه للناس وللتاريخ .

وهذا ما حصل فعلاً من مولانا الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام) .

بعد أن حاول بنو أُميّة طمس معالم الثورة الحسينية ، وسبب استشهاد آل البيت (عليهم السلام) ، بما نفثوه من سموم في الأمة ، ومن أكاذيب بين الناس : كادّعائهم أن جماعة الحسين خوارج همّهم قلب نظام الحكم الإسلامي ...

جاءت الحوراء زينب وجاء زين العابدين (عليهما السلام) ليظهرا زيف ادّعاء بني أُمية ، وليزلزلا عرشهم ، بحزنهما الصامت ، وبكائهما النبيل ، وسيرتهما النبوية ...

حتى كانت كل الثورات تبدأ بشعار (يا لثارات الحسين) .

لهذا يروي لنا التاريخ عن حزن الإمام زين العابدين وبكائه المستمر .

قال مولانا الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : إن جدي علي بن الحسين (عليهما السلام) بكى على أبيه عشرين سنة .

وما وُضِعَ بين يديه طعام إلا بكى ، وعذله بعض مواليه ، فقال له : إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين .

فقال له الإمام برفق : يا هذا ! إنما أشكو بثي وحزني إلى ا لله ، وأعلم من ا لله ما لا تعلمون ، إن يعقوب كان نبياً فغيّب ا لله عنه واحداً من أولاده ، وعنده اثنا عشر ولداً ، وهو يعلم أنه حيّ ، فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن .

وإني نظرت إلى أبي وإخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي ، فكيف ينقضي حزني ؟.

وإني لا أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة ، وإذا نظرت إلى عماتي وأخواتي ذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة [(١)].

ويروى أيضا عنه (عليه السلام) ، أنه كان يمر في سوق القصابين ، فيسأل أحدهم : هل سقيت هذا الكبش ماءً ؟ فيجيبه قائلاً : نعم يا ابن رسول ا لله.

فيقف الإمام (عليه السلام) وسط زحام الناس ، ويرفع صوته منادياً : أبى يا حسين ! الكبش لا يذبح حتى يُسقى الماء ، وقد قتلوك إلى جانب الفرات ظمآن...

السلام عليك يا أبا عبد ا لله ! ياريحانة الرسول ...

ويستمر بندب أباه الحسين (عليه السلام) ، حتى ينفجر المارة بالدموع .

وهكذا.. كان (عليه السلام) يقوم بعرض المظلومية كلما سنحت الفرصة [(٢)].

[(١)] حياة الإمام الحسين (عليه السلام) للعلامة القرشي ج٣/ص٤٢٧

[(٢)] إعلموا أني فاطمة ج ٨/ص٦٧١

ويقوم بمجلس عزاء لأبيه الحسين (عليه السلام) حتى لو كان المكـان سوقاً أو شارعاً .

وكذلك مولاتنا فاطمة الزهراء ، الصديقة الحوراء (صلوات الله عليها) ، عـرف عنها كثرة البكاء على أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، مع قصر المـدة الـتي عاشتها بعده ، وشدت حزنها عليه ، حتى ذكرتها الأخبار أنها من البكائين.

روى الشيخ الصدوق (ره) بإسناده عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال : البكاؤون خمسة ؛ آدم ، ويعقوب ، ويوسف ، وفاطمة بنت محمـد (صلى الله عليه وآله) وعلي بن الحسين (عليهما السلام) .

فأمّا آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية .

وأمّا يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره،وحتى قيل لـه:﴿ **تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين** ﴾ [1] .

وأمّا يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن ، فقالوا : إمّـا أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل ، وإمّا أن تبكي بـالليل وتسـكت بالنهـار ، فصالحهم على واحد منهما .

وأمّا فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) فبكت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى تأذى بها أهـل المدينـة ، وقـالوا لهـا : قـد آذيتنـا بكـثرة بكـائك ، فكانت تخرج إلى المقابر ، مقابر الشهداء ، فتبكي حتى تقضي حاجتها ، ثـم تنصرف .

---

[1] يوسف /٨٥

وأمّا علي بن الحسين فبكى ...[١] – وقد تقدم الكلام عليه – .

وروى الشيخ الأميني (ره) : من طرق أهل السنة في حزنها وبكائها (عليها السلام) فقال : وهذه الصديقة الطاهرة تبكي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتقول : يا أبتاه ! من ربّه أدناه ، يا أبتاه ! أجاب ربّاً دعاه ، يا أبتاه ! إلى جبريل ننعاه ، يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه [٢] .

وقد وقفت على قبر أبيها الطاهر ، وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينها وبكت وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا ؟

صبت عليّ مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا [٣] .

وروى إبن شهر آشوب (ره) أنها (عليها السلام) ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس ، ناحلة الجسم ، منهدة الركن ، باكية العين ، محترقة القلب ، يغشى عليها ساعة بعد ساعة ، وتقول لولديها : أين أبوكما الذي كان يكرمكما ، ويحملكما مرّة بعد مرّة ؟.

أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكما فلا يدعكما تمشيان على الأرض ؟ ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً ، ولا يحملكما على عاتقه ، كما لم يزل يفعل بكما ، ثم مرضت ومكثت أربعين ليلة .. [٤]

---

(١) الخصال/ص٢٤٨ والأمالي/ص١٢١ والبحار ج٤٣/ص١٥٥

(٢) عن صحيح البخاري ، ومسند أبي داود وسنن النسائي ، ومستدرك الحاكم ، وتاريخ الخطيب البغدادي .

(٣) الغدير ج٦/ص١٦٥ وج٥/ص١٤٧

(٤) مناقب آل ابي طالب ج٣/ص٣٦٢

وروى العلامة المجلسي في بحار الأنوار ، عن فضة مولاة فاطمة (عليها السلام) – من حديث طويل – قالت : ولم يكن في أهل الأرض والأصحاب ، والأقرباء والأحباب أشد حزناً ، وأعظم بكاءً وانتحاباً من مولاتي فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، وكان حزنها يتجدد ويزيد ، وبكاؤها يشتد .

فجلست سبعة أيام لا يهدأ بها أنين ، ولا يسكن منها الحنين ، كل يوم جاء بكاؤها أكثر من اليوم الأول ، فلما كان في اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن ، فلم تطق صبراً إذ خرجت وصرخت ، فكأنها من فمِ رسول الله (صلى الله عليه وآله) تنطق ؛

فتبادرن النسوان ، وخرجن الولائد والولدان ، وضج الناس بالبكاء والنحيب ، وجاء الناس من كل مكان ، وأطفئت المصابيح لكي لا تتبين صفحات النساء ، وخيل إلى النسوان أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد قام من قبره ، وصارت الناس في دهشة وحيرة لما قد رهقهم ، وهي (عليها السلام) تنادي وتندب أباها وتقول : وا أبتاه ! واصفيّاه ! وامحمداه ! وا أبا القاسماه ! وا ربيع الأرامل واليتامى ، من للقبلة والمصلى ، ومن لإبنتك الوالهة الثكلى .

إلى أن قالت فضة : ثم زفرت زفرة ، وأنّت أنّة ، كادت روحها أن تخرج ثم قالت :

قلّ صبري وبان عني عزائي   بعد فقدي لخاتم الأنبياء
عين ياعين اسكبي الدمع سُحّاً   ويلكِ لا تبخلي بفيض الدماء
يارسول الإله يا خيرة الله   وكهف الأيتام والضعفاء
قد بكتك الجبال والوحش جمعاً   والطير والأرض بعد بكاء السماء

وبكاك الحجون والركن والـ مشعر ياسيدي مع البطحاء
وبكاك المحراب والدّرس للقرآن في الصبح معلنا والمساء
وبكاك الإسلام إذ صار في الناس غريباً من سائر الغرباء
لوترى المنبر الذي كنت تعلوه علاه الظلام بعد الضياء
يا إلهي عجّل وفاتي سريعاً فلقد تنغصت الحياة يامولائي[1]

وروي عنها أنها قالت أيضاً :

قل للمغيب تحت أطباق الثرى إن كنت تسمع صرختي وندائيا
صُبّتْ عليّ مصائب لو انها صبت على الأيام عدن لياليا
قد كنتُ ذات حمى بظل محمدٍ لا أخشى ضيماً وكان جماليا
فاليوم أخشعُ للذليل وأتقي ضيمي وأد فع ظالمي بردائيا
فإذا بكت قمرية في ليلها شجناً على غصنٍ بكيتُ صباحيا
فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا
ماذا على من شم تربة أحمدٍ أن لا يشم مدى الزمان غواليا[2]

وقد أورد في كتاب (إعلموا أني فاطمة) سؤالاً ، قال : كيف تأذى أهل المدينة ببكاء الزهراء (عليها السلام) ؟.

وهل من المعقول أن يتأذى الآخرون ببكاء إنسان قابع في داره ؟...

وأجاب عن ذلك فقال : لم يكن بكاء الزهراء (عليها السلام) بهذا الشكل من السهولة والعفوية ، كما يتبادر إلى الأذهان .

---

[1] البحار ج٤٣/ص١٧٥/١٧٧

[2] أعيان الشيعة ج٢/ص٣٢٠

بل إن البكاء عند فاطمة ، كان بكاءً سياسياً أكثر منه عاطفياً ، أجل ...

كانت فاطمة تبكي لتعمق جانب المظلومية في الإسلام ، حتى تتمكن من توجيه ضربة قاضية بوجه الظالمين .

أمّا السبب في أذية رجال المدينة فيمكن أن يوجه بأن بيوت المدينة في حالة إصغاء كامل لصوت فاطمة - (عليها السلام) - بحيث إذا بكت الزهراء ، تجاوبت مع بكائها كافة النساء ، الأمر الذي كان يحول المدينة عن بكرة أبيها إلى مأتم للحزن ..

حتى لم يعد باستطاعة الرجال أن يناموا مع زوجاتهم على فراشٍ واحد[1]

وقد روى العلامة المجلسي ، أنه قد اجتمع شيوخ أهل المدينة ، وأقبلوا إلى أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) فقالوا له : يا أبا الحسن ! إن فاطمة (عليها السلام) تبكي الليل والنهار ، فلا أحد منّا يتهنأ بالنوم في الليل على فُرشنا ، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا ، وطلب معايشنا ، وإنا نخبرك أن تسألها : إمّا أن تبكي ليلاً ، أو نهاراً ، فقال (عليه السلام) : حباً وكرامة .

فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى دخل على فاطمة (عليها السلام) ، وهي لا تفيق من البكاء ، ولا ينفع فيها العزاء ، فلمّا رأته سكنت هُنيئة له فقال لها : يا بنت رسول الله ! إن شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك : إمّا أن تبكي أباك ليلاً ، وإمّا نهاراً .

---

[1] إعلموا أني فاطمة ج٨/ص٦٨٠

فقالت : يا أبا الحسن ! ما أقل مكثي بينهم ، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم ، فوا لله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً ، أو ألحق بأبي رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) .

فقال لها عليّ (عليه السلام) : إفعلي يابنت رسول ا لله ما بدا لك .

ثم أنه بنى لها بيتاً في البقيع ، نازحاً عن المدينة ، يسمى بيت الأحزان ، وكانت إذا أصبحت قدمت الحسن والحسين (عليهما السلام) أمامها ، وخرجت إلى البقيع باكية ، فلا تزال بين القبور باكية ، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) إليها وجاء بها إلى منزلها [١] .

وقد ذكر إبن جبير بيت الأحزان هذا في رحلته فقال : وَيَلي القبة العباسية [٢] بيت فاطمة بنت رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) ، ويعرف ببيت الأحزان ، يقال إنه الذي آوت إليه والتزمت فيه الحزن على موت أبيها المصطفى (صلى ا لله عليه وآله) ...[٣]

وذكر في كتاب (إعلموا أني فاطمة) بعد أن طلب شيوخ المدينة من أمير المؤمنين (عليه السلام) تحديد وقت لبكاء الزهراء (سلام ا لله عليها) ، فصارت تذهب إلى البقيع ، ومعها ولداها ، وبعض النسوة ، وكانت تستظل تحت ظل شجرة وتبكي أباها ، فعمدوا إلى تلك الشجرة فقطعوها .

فبنى لها أمير المؤمنين (عليه السلام) بيت الأحزان .

---

[١] البحار ج٤٣/ص١٧٧

[٢] أي قبر العباس عم النبي (صلى ا لله عليه وآله)

[٣] رحلة إبن جبير /ص١٥٥ ط دار التراث العربي /١٩٦٨م

وقد أشار إلى بيت الأحزان الإمام الحجة المنتظر (عجل الله فرجه) بقوله :

أترانـي اتـخـذت لا وعـلاهـا بـعـد بـيت الأحـزان بـيت سرور[٤]

[٤] إعلموا أني فاطمة ج١٠/ص٦٦٩

من قصيدة للسيد باقر الهندي

خـالفوا كلّمـا جـاء بـهِ طـهَ ... وهـو إذْ ذاك ليـس بـالمقبورِ
عدلـوا عـن أبـي الهـداة الميـا ... مـين إلى بيعـة الأثيـم الكفـورِ
قدمـوا الرجـسَ بالولايـةِ للأمـر ... علـى أهـل آيـة التطهـيرِ
أوَتدريْ لِـمَ أحرقـوا البـابَ بالنـار ... أرادوا إطفـاءَ ذاكَ النـورِ
أوَ تـدريْ مـا صـدرُ فـاطمَ مـا الـ ... مسمارُ مـا حـال ضلعهـا المكسورِ
ما سقوطُ الجنـينَ مـا حُمـرةُ العينِ ... مـا بـالُ قرطِهـا المنشـور
دخلوا الدارَ وهـي حسرى بمرأىً ... مـن علـيّ ذاكَ الأبـيِّ الغيـورِ
واستداروا بغيـاً علـى أسـدِ الله ... فـأضحى يقـادُ قـودَ البعـيرِ
والبتـولُ الزهـراءُ في إثرهـمْ ... تعـثرُ في ذيـلِ بردهـا المجـرورِ
بـأنينٍ أورى القلـوبَ ضرامـاً ... وحنـينٍ أذابَ صـمّ الصخـورِ
ودعتهـمْ خلوا ابـنَ عمـي عليّـاً ... أو لأشـكو إلى السـميع البصـيرِ
وعلـيّ يـرى ويسـمعُ والسـيفُ ... رهيـفٌ والبـاعُ غـيرُ قصـيرِ
قيدتـهُ وصيـةٌ مـن أخيـهِ ... حمّلتـهُ مـا ليـسَ بـالمقدورِ

.إعلموا أني فاطمة ج٩/ص١٩٢

خطبة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

في نساء المهاجرين والأنصار

لمّا مرضت فاطمة (عليه السلام) المرضة التي توفّيت فيها ، أجتمع إليها نساء المهاجرين والأنصار يَعُدْنَها ، فقلن لها : كيف أصبحتِ من علّتكِ يا إبنة رسول ا لله ؟.

الأصل

فحمدت ا لله ، وصلّت على أبيها ، ثم قالت :

أصبحت وا لله : عائفةً لدنياكنّ ، قاليةً لرجالكنّ ، لفظتهم بعد أن عجمتهم ، وشنأتهم بعد أن سبرتهم ، فقبحاً لفلول الحد ، واللعب بعد الجد ، وقرع الصفاة ، وصدع القناة ، وختل الآراء ، وزلل الأهواء ، و﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط ا لله عليهم وفي العذاب هم خالدون !﴾ .

لا جرم لقد قلّدتهم ربقتها ، وحمّلتهم أوقتها ، وشننت عليهم غارها ، فجدعاً ، وعقراً ، وسحقاً للقوم الظالمين .

ويحهم ! أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوّة والدلالة ، ومهبط الروح الأمين ، والطبين بأمور الدنيا والدين ؟!.

ألا : ذلك هو الخسران المبين ! وما الذي نقموا من أبي الحسن - (عليه السلام) - ؟!.

نقموا وا لله منه نكير سيفه ، وقلة مبالاته لحتفه ، وشدة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمّره في ذات ا لله عز وجل ، وا لله ! لو مالوا عن المحجة اللايحة وزالوا عن قبول الحجة الواضحة ، لردهم إليها ، وحملهم عليها ، ولسار بهم سيراً سُجُحاً ، لا يكلم خشاشه ، ولا يكل سائره ، ولا يمل راكبه ، ولأوردهم منهلاً نميراً ، صافياً رويّاً ، تطفح ضفتاه ، ولا يترنق جانباه ، ولأصدرهم بطاناً ، ونصح لهم سراً وإعلاناً ، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل ، ولا يحظى منها بنائل ، غير ريّ الناهل ، وشبعة الكافل ، ولَبَان لهم : الزاهد من الراغب ، والصادق من الكاذب ، ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾

﴿ والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ! ﴾

ألا : هلم فأسمع ! وما عشت أراك الدهر عجباً !! وإن تعجب فعجب قولهم !! : ليت شعري إلى أيّ سنادٍ استندوا ؟!.

وعلى أيّ عماد اعتمدوا ؟!.وبأيّة عروة تمسكوا ؟!

وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا ؟ لبئس المولى ولبئس العشير ، وبئس للظالمين بَدَلا ، استبدلوا وا لله الذنابا بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

ألا : إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .

ويحهم ! ﴿ أفمن يَهـدي إلى الحق أحـق أن يُتّبـع أمّـن لا يَهـدي إلاّ أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون ﴾ ؟!.

أما : لعمري ! لقد لقحتْ ، فنظرة ريثما تُنتج ، ثم احتلبوا ملأ القعـب دماً عبيطاً ، وذعافاً مبيداً ، هنالك يخسر المبطلون ، ويعرف التـالون غـبّ ما أسسه الأولون .

ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً ، واطمئنوا للفتنة جأشاً ، وابشروا بسـيف صارم ، وسطوةِ معتدٍ غاشـم ، وهـرج شـامل ، واسـتبداد مـن الظـالمين : يدع فيئكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ، فيا حسرةً لكم ، وأنّى بكم ، وقـد عميت عليكم ، ﴿ أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ﴾ ؟! .[1]

---

[1] الاحتجاج ج١/ص١٠٨/١٠٩

الشرح

لقد باءت محاولات الزهراء (عليها السلام) بالفشل ، بأن تعيد المسلمين إلى رشدهم ، وتردعهم عن غيّهم .

ولقد أثّر فيها الضرب الذي ضربوها إيّاه ، وكسر ضلعها ، وإسقاط جنينها ، عندما ضغطوها خلف الباب .

وكان حزنها شديداً على فراق أبيها رسول ا لله (صلى الله عليه وآله) .

وقد ألقت الحجة على الجميع بخطابها الذي ألقته في المسجد أمام الصحابة وجميع المسلمين ، كما تقدم ذكره وشرحه .

وحتى تكون الحجة بالغة على الجميع ، ولا يكون هناك اعتراض لمعترض أو انتقاد لمنتقد ، بأن أمير المؤمنين او فاطمة الزهراء (عليهما السلام) قد حصل منهما أيّ تقصير أو تهاون في تذكير أُولئك المسلمين بقبح فعلهم ، وشناعة عاقبتهم ، نسوق الاخبار التاليه .

فقد روي بالإسناد إلي مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) حمل فاطمة (عليها السلام) على أتان عليه كساء له خمل ، فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين والأنصار ، والحسن والحسين (عليهما السلام) معها ، وهي تقول : يا معشر المهاجرين والأنصار ! انصروا ا لله فإني إبنة نبيكم ! وقد بايعتم رسول ا لله (صلى الله عليه وآله) يوم بايعتموه ، أن تمنعوه وذريته ممّا تمنعون منه أنفسكم وذراريكم ، ففوا لرسول ا لله (صلى الله عليه وآله) ببيعتكم ، قال : فما أعانها أحد ، ولا أجابها ، ولا نصرها .

قال : فانتهت إلى معاذ بن جبل فقالت : يامعاذ بن جبل ! إني قد جئتك مستنصرة ، وقد بايعت رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) على أن تنصره وذريته ، وتمنعه ممّا تمنع منه نفسك وذريتك ، وأن أبا بكر قد غصبني على فدك ، وأخرج وكيلي منها !.

قال : فمعي غيري ؟ قالت : لا ، ما أجابني أحد !.

قال : فأين أبلغ أنا من نصرتك ؟.

قال : فخرجت من عنده ، ودخل إبنه فقال : ما جاء بإبنة محمد إليك ؟.

قال : جاءت تطلب نصرتي على أبي بكر ، فإنه أخذ منها فدكاً !.

قال : فما أجبتها به ؟ قال : قلت وما يبلغ من نصرتي وأنا وحدي ؟.

قال : فأبيت أن تنصرها ؟ قال : نعم ، قال : فأي شيء قالت لك ؟.

قال : قالت لي : وا لله لا أنازعنك الفصيح من رأسي حتى أرد على رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) .

قال : فقال : أنا وا لله لا أنازعنك الفصيح من رأسي حتى أرد على رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) ، إذا لم تجب إبنة محمد (صلى ا لله عليه وآله) [1] .

وذكر إبن قتيبة : أن عليّ خرج يحمل فاطمة بنت رسول ا لله (صلى ا لله عليه -وآله -وسلم) على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة ، فكانوا يقولون يا بنت رسول ا لله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وإبن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به .

---

[1] الإختصاص /ص١٧٩

فيقول عليّ أفكنت أدعُ رسول الله (ص) في بيته لم أدفنه ، وأخرج أنازع الناس سلطانه ؟.

فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم [١] .

وهكذا ترى أن الهم والحزن والقهر الذي ألم بالزهراء (عليها السلام) ، من غصب حقها ، وضربها ، وإسقاط جنينها أعجزها عن السير حتى أركبها أمير المؤمنين (عليه السلام) على حمار لتقوم بإلقاء الحجة على المسلمين .

وبعدها اشتد عليها المرض ، ولازمت الفراش ، فجاء نساء المهاجرين والأنصار لعيادتها (عليها السلام) .

ماهو الدافع من هذه الزيارة ؟ لا يعلم بالنوايا إلا الله سبحانه .

فقد روى في كتاب الإحتجاج ، بإسناده إلى سويد بن غفلة ، قال : لمّا مرضت فاطمة (عليها السلام) المرضة التي توفيت فيها ، اجتمع إليها نساء المهاجرين والأنصار يَعُدْنها ، فقلن لها : كيف أصبحتِ من علتك يا ابنة رسول الله ؟.

فحمدت الله ، وصلت على أبيها ، ثم قالت :

[أصبحتُ والله : عائفة لدنياكنّ ، قالية لرجالكنّ]

العائف : هو الكاره ، والقالي : هو المبغض .

---

[١] الإمامة والسياسة /ص١٩

الإنسان يحب الدنيا عندما يكون بين أُناسٍ مؤمنين عادلين صادقين ، مطيعين لله ولرسله ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون . فتكون الدنيا بين هؤلاء الناس نعيماً وسروراً وأُنساً .

فالزهراء (عليها السلام) كرهت الدنيا ، وأبغضت أولئك الرجال ، الذين يعيشون فيها لها ، والذين لم يحترموا وعودهم ولا عهودهم .

[لفظتُهم بعد أن عجمتُهم ، وشنأتُهم بعد أن سبرتُهم]

لفظ الشيء من الفم : هو الرمي والطرح .

والعجم : هو العض . والشنأ : هو البغض ، وسَبَرتهم : أي اختبرتهم .

وغرضها (سلام الله عليها) : إن أولئك الرجال المنافقين ، الذين أظهروا ما كانوا يبطنون من كره أهل البيت (عليهم السلام) ، رمتهم وطرحتهم ، وأبغضتهم ولم يعد لهم عندها أيُّ قيمة بعد أن اختبرتهم وامتحنتهم .

[فقبحاً لفلول الحد ، واللعب بعد الجد]

الفلول : هو العيب في حد السيف ، أو الكسر ، فلا يقطع .

شبهتهم (عليها السلام) بالسيف الذي انكسر حده ولم يعد صالحاً للقتال .

فهو لا يصلح لشيء . وهكذا هم بعد أن تخاذلوا عن نصرتها ، وأخذ حقها ممن ظلمها .

وقبحتهم : بمعنى قبح الله أولئك الرجال الذين كانوا في عهد أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) جادين ، ولمرضاة ربهم من المسارعين ، فأصبحوا يأخذون الأمور ببساطة وتهاون ، وكأنهم يلعبون .

[وقرع الصفاة ، وصدع القناة ، وخطل الآراء ، وزلل الأهواء]

الصفاة : الحجر الأملس ، والصدع : الشق ، والقناة : الرمح ، والخطل : هو الخطأ والإنحراف .

وغرضها (سلام الله عليها) من هذه الكلمات التي استعملتها بحقهم ، أن تقبح أولئك الرجال ، الذين كانوا صخوراً ملساء ، لا يؤثّر فيهم شيءٌ ، فأصبحوا مذلة لكل حاكم ، بعد أن تنازلوا عن نصرة الحق .

لقد تشققت تلك الصخور ، وتكسرت تلك الرماح ، وأخطأت وانحرفت تلك الآراء التي كان يتشاور معها الرسول (صلى الله عليه وآله) .

فيأخذ برأي بعضهم عندما يكون الرأي يوافق المصلحة الإلهية في الأرض.

ما أقبح تلك الرغبات المنحرفة التي لعبت بمقدرات المسلمين على مر الاريخ . وكل ذلك سببه إتباع الأهواء الضالة المضلة ، ومشتهيات النفس الأمارة بالسوء .

[و﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾]

لتوضيح ما رمت إليه الزهراء (عليها السلام) من إتيانها بهذه الآية من سورة المائدة ، علينا أن نذكر الآيات التي جاءت قبلها ، للتشابه بين الماضي الذي تحدثت عنه الآيات ، والحاضر الذي تحدثت عنه الزهراء (عليها السلام) .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون * ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون** ﴾ [1] .

لعن الله جل جلاله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان بعض إنبيائه لأنهم لم يتناهوا عن المنكر ، وأن كثيراً منهم كانوا يتولون الذين كفروا .

هذا مارمت إليه الزهراء (عليها السلام) أن الولاية لا تكون إلا لمن ولاّه الله سبحانه ، وملعون كل من يخالف الله تعالى بأوليائه .

[لا جرم لقد قلّدتم ربقتها ، وحمّلتم أوقتها ، وشنّت عليهم غارها]

لاجرم : كلمة تورد لتحقيق الشيء .

والربقة : في الأصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة ، أو في يدها تمسكها .

والأوق : في قولها (عليها السلام) : [**حمّلتم أوقتها**] أي الثقل والمسؤلية .

---

[1] المائدة /٧٨-٨٠

والشنّ : هو رش الماء رشاً متفرقاً ، وقولها (عليها السلام) : [**وشُننت عليهاغارها**] إذ فُرِّقت عليهم من كل وجه .

حمّلت الزهراء (عليها السلام) المسلمين مغبة الإنحراف في الدين ، وتفرقة المسلمين ، وبعدهم عن سيرة سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) ، وجعلت هذه المسؤلية في رقابهم ، لأنهم لم يوالوا الذي عيّنه الله تعالى ورسوله ، ولم يوفوا بما عاهدوا عليه الله تعالى .

فكل جريمة ارتكبت ، وكل حرمة انتهكت ، وكل دمٍ سفك فهو في رقبة الذين سنوا العداء والجفاء لأهل البيت (عليهم السلام) .

روى في بحار الأنوار عن المفضل بن عمر أنه قال : قال مولانا جعفر – الصادق – (عليه السلام) : كل ظلامة حدثت في الإسلام ، أو تحدث ، وكل دمٍ مسفوك حرام ، ومنكر مشهور ، وأمر غير محمود ، فوزره في أعناقهما ، وأعناق من شايعهما ، أو تابعهما ، ورضي بولايتهما إلى يوم القيامة [1] .

[فجدعاً ، وعقراً ، وسحقاً للقوم الظالمين]

الجدع : هو قطع الأنف ، أو الأُذن ، أو الشفة ، وأغلب استعمالها في الأنف .

والعقر : هو قطع قوائم البعير أو الجواد ، ويستعمل في القتل .

والسحق : هو البعد .

---

[1] البحار مجلد ٨/ص١٠٢

أطلقت الزهراء (عليها السلام) هذه العبارات التي يبدو منها الدعاء والذّمّ على أولئك المتخاذلين عن نصرة الحق ، وإزهاق الباطل ، كما أمر الله سبحانه وتعالى ؛ ووصفتهم بأنهم قوم ظالمون .

والظالم : هو الذي يضع الشيء في غير موضعه .

والظلم له مراتب : أقله ظلم نملة ، وأعظمه ظلم أُمّة .

فالظالم الذي ظلم الأمة بظلمه لأهل البيت (عليهم السلام) ، القادة الإلهيين ، الذين عينهم الله سبحانه ، وهو يرضى لرضاهم ، ويغضب لغضبهم ، يستحق هذا الدعاء من الزهراء (عليها السلام) .

[ويحهم ! أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة]

ويح : كلمة تستعمل للتعجب ، والتوجع ، وربما تستعمل بمعنى الويل .

والزحزحة : التنحية والتبعيد .

والرواسي : الجبال الثابتة الراسخة .

تتعجب (سلام الله عليها) من الصحابة والمسلمين كيف أبعدوا الخلافة عن أُصولها ، والذين هم راسخين بعلمها وأحكامها .

[وقواعد النبوّة والدلالة ، ومهبط الروح الأمين]

القواعد : هي الأسس والأصول .

أي كيف أبعدوا أولئك الذين هم الأسس والأصول في علم النبوّة والأدلة عليها ، وكان مهبط الوحي ، الروح الأمين جبرائيل (عليه السلام) في بيتهم ، وأهل البيت أدرى بالذي فيه .

[والطبين بأمور الدنيا والدين ؟!. ألا : ذلك هو الخسران المبين !]

الطبين : هو الفطن الحاذق النبيه .

غرضها (عليها السلام) أن تذكرهم ، بانهم ارتكبوا خطأً عظيماً ، بأن أبعدوا من هم أولى بالخلافة ، العارفين بأصولها وأسسها ، والخبيرين بأمور الدنيا والدين ، بحيث لا ينخدعون بالدنيا ، ويتركون واجبات الدين .

وختمت قولها (عليها السلام) : بتعريف الخاسرين الحقيقيين ، الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، قال سبحانه : ﴿ **..قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين** ﴾ [1]

[وما الذي نقموا من أبي الحسن – (عليه السلام) – ؟!]

أي ما هو الشيء الذي عابوه على أمير المؤمنين (عليه السلام) ، حتى أبعدوه عن السلطة والإمارة ، وقدموا عليه غيره ؟! أنقصاً في العلم ؟ أو جهلاً في الفتيا ؟ أو سوءاً في الخلق ؟ أو عاراً في الحسب ؟ أو ضعفاً في الدين ؟ أو

---

[1] الزمر / ١٥

عدم كفاءة في الأمور ؟ أو جبناً في النفس ؟ أو خسة في النسب ؟ أو قلة في الشرف ؟ أو بخلاً بالمال ؟ أو أي عيب في مؤهلاته وكفاآته [١] .

ولكنها (سلام الله عليها) أوضحت سبب نقمتهم على أمير المؤمنين (سلام الله عليه) بقولها :

[نقموا والله منه نكير سيفه ، وقلة مبالاته لحتفه]

إن نقمة قريش على أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكرههم له هو بسبب شدته في الحروب والغزوات ، وقتله رجالاتهم وأبطالهم .

وكان لا تأخذه في الله لومة لائم .

روي عنه أنه كان يقول : والله لا يبالي إبن أبي طالب أوَقع على الموت ، أم وقع الموت عليه [٢] .

[وشدة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمّره في ذات الله عز وجل]

الوطأة : الأخذة الشديدة ، والضغطة ، وأصل الوطيء : الدوس بالقدم ، ويطلق على الغزو والقتل .

والنكال : العقوبة التي تنكل الناس .

والوقعة : صدمة الحرب .

---

[١] فاطمة من المهد إلى اللحد /ص٥٤٠

[٢] نفس المصدر /ص٥٤١

والتنمّر : هو التغير ، تنمّر فلان ، أي تغير وتنكـر وأوعـد ، لأن النمـر لا تلقاه أبداً إلا متنكراً غضباناً .

علي بن أبي طالب (عليه السلام) فرد نادر الوجـود في تـاريخ البشـرية ، فقـد كان أكثر الناس عبادة ، وأشجع الناس ، وأعلم الناس ، فـلا يغضـب إلا لله تعالى ، ولايفكر إلا فيما يرضي ا لله سبحانه .

روي عن زيد النحوي أنه قال : سألت الخليل بن أحمد العروضي فقلت : لِمَ هجر الناس عليّاً (عليه السلام) ، وقُربَاه من رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) قُربَاه ، وموضعه من المسلمين موضعه ، وعناؤه في الإسلام عناؤه ؟؟.

فقال : بهَرَ وا لله نورُه أنوارهم ، وغلبهم على صفو كل منهـل ، والنـاس إلى أشكالهم أميَل ، أما سمعت الأول يقول :

وكل شكل لشكله آلفُ   أما ترى الفيلُ يألف الفيلا

وأنشدنا الرياشي عن العباس بن الأحنف :

وقائل : كيف تهاجرتما ؟   فقلت : قولاً فيه إنصاف

لم يك من شكلي فهاجرته   والناس أشكال وأُلاّف

وقال عبد ا لله بن عمر لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام) : كيف تحبك قريش ، وقد قتلت في يوم بدر وأُحد من ساداتهم سبعين سيداً ، تشرب أُنوفهم المـاء قبل شفاههم ؟.

ومن العجيب : أن عليّاً كان يخوض غمار الحرُوب بأمر الرسـول (صلى ا لله عليه وآله) ، ولأجل الحفاظ على حياة الرسول .

الرسول : الذي كان الإسلام متمثلاً بشخصه الكريم ، ومتجسداً فيه ، وقائماً به ، فكيف كان الناس يكرهون عليّاً وهو الجندي ، ولا يكرهون الرسول وهو القائد ؟!.[1]

وهل هذه عيوب يعاب عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟ أن دفع عن الرسول (صلى الله عليه وآله) كل المخاطر ، وافتداه بنفسه في أكثر من موقع ؟.

من أجْلِ هذا أسفت له الزهراء (عليها السلام) وتعجبت من فعلهم .

[وا لله ! لو مالوا عن المحجة اللائحة ، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة ، لردهم إليها ، وحملهم عليها]

أي أن المسلمين لو كانوا قد ولّوا قيادة الأمة مولانا ومولاهم أمير المؤمنين وقائد الموحدين إلى جنات النعيم ، ثم مالوا وانحرفوا عن الطريق الواضح البيّن ، لردهم إليه ، وحملهم على السير فيه ، ولم يرض منهم إلا التمسك بحبل الله المتين ، والإعتصام بصراطه المستقيم .

روي عن سلمان الفارسي (ره) أنه خطب بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بثلاثة أيام فقال : ألا أيها الناس ! اسمعوا عني حديثي ، ثم اعقلوه عني ، ألا وإني أُوتيت علماً كثيراً ، فلو حدثتكم بكل ما أعلم من فضايل أمير المؤمنين (عليه السلام) ، لقالت طائفة منكم : هو مجنون ، وقالت طائفة أُخرى : اللهم اغفر لقاتل سلمان .

---

[1] فاطمة من المهد إلى اللحد /ص٥٤٤

ألا إن لكم منايا ، تتبعها بلايا .

ألا وإن عند عليّ (عليه السلام) علم المنايا والبلايا ، وميراث الوصايا ، وفصل الخطاب ، وأصل الأنساب ، على منهاج هارون بن عمران من موسى (عليهما السلام) ، إذ يقول له رسول ا لله (صلى الله عليه وآله) : أنت وصيّ في أهل بيتي ، وخليفتي في أمتي ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ، ولكنكم أخذتم سنة بني إسرائيل ، فأخطأتم الحق ، فأنتم تعلمون ولا تعلمون .

أما وا لله لتركبن طبقاً عن طبق ، حذو النعل بالنعل ، والقُذة بالقُذة [1] .

أما والذي نفس سلمان بيده : لو ولّيتموها عليّاً لأكلتم من فوقكم ، ومن تحت أقدامكم ، ولو دعوتم الطير لأجابتكم في جو السماء ، ولو دعوتم الحيتان من البحار لأتتكم ، ولما عال - أي افتقر - ولي ا لله ، ولا طاش [2] لكم سهم من فرائض ا لله ، ولا اختلف اثنان في حكم ا لله ، ولكن أبيتم فولّيتموها غيره ، فأبشروا بالبلايا ، واقنطوا من الرخاء ، وقد نابذتكم على سواء ، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء [3] .

[ولسار بهم سيراً سُجُحاً ، لا يكلم خِشاشه ، ولا يكل سائره ، ولا يمل راكبه]

السُجُح بضمتين : اللّين السهل .

---

[1] القُذة : ريش السهم ، وهو مثلٌ للمتساوي وغير متفاوت

[2] أي أخطأ ومال عن الهدف

[3] الإحتجاج ج١/ص١١١

والكلم : الجرح .والخِشاش بكسر الخاء : ما يجعل في أنف البعير من خشب ، ويشدّ به الزّمام ليكون أسرع لإنقياده .

ما زالت الزهراء (عليها السلام) تصف الحكم إذا كان بقيادة مولانا أمير المؤمين (عليه السلام) .

فوصفته بأنه يسير بالإمة الإسلامية سيراً سهلاً ليّناً ، ليس فيه أذية ، أو كلل ، او ملل ، أو تعبٍ لأحد .

وضربت لهم مثلاً : البعير الذي يسير سيراً مريحاً مؤنساً .

[ولأوردهم منهلاً نميراً ، صافياً رويّاً ، تطفح ضفتاه ، ولا يترنق جانباه]

المنهل : المورد ، هو عين ماء ترده الإبل في المراعي .

والنمير : هو عين الماء الذي لا ينقطع ماءها أبداً .

ورنق الماء وترنّق : كدر ، وأصبح الطين على الجانبن أكثر من الماء .

أي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كالنهر الصافي ، والماء العذب الزلال ، الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، لا تنقطع بركاته ، ولا تقل خيراته .

[ولأصدرهم بطاناً ، ونصح لهم سراً وإعلاناً]

البطن : هو الذي عظم بطنه من الشبع .

يعني أن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، من عدله بين الناس ، ونصحه لهم ، بالسر والعلن ، يوردهم الماء الصافي العذب ، ويسقيهم بأجمعهم ، ويشبعهم ولا يفرق بين أحدٍ ، كما يفعل غيره من الحكام .

وهكذا يخرجهم من هذه الدار إلى الدار الآخرة سالمين .

[ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل ، ولا يحظى منها بنائل ، غير ريّ الناهل ، وشبعة الكافل]

التحلي : هو التزين .

والطائل : هو الغناء والمزيّة والسّعة والفضل .

والحظ والحظوة : من الرزق .

والنائل : العطية . والناهل : العطشان .

والكافل : هو العائل الضامن ، الذي لا يأكل ، أو يصل الصيام .

الدنيا دار من لا دار له ، ويعمل لها من لا عقل له .

المؤمن يتزود من الدنيا للآخرة ، والكافر يعيش في الدنيا لها .

فأمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن يعمل للدنيا لكي يستمتع بلذائذها ، وينعم بخيراتها ، كما يفعل الحكام من أهل الدنيا .

كان همه من الحكم أن يطبق العدالة الإجتماعية ، والمساواة الإسلامية في الأمة ، ولا يأكل منها إلاّ كما وصفته (سلام الله عليها) من ريّ العطشان ، وشبع المعيل الفقير المديون .

وقد قال (سلام الله عليه) عن نفسه : وا لله لو أُعطيت الأقاليم السبع بما تحت أفلاكها ، على أن أعصي ا لله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت .

وأن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ، ما لعليّ ولنعيم يفنى ، ولذة لا تبقى [١] .

[ولَبَان هم : الزاهد من الراغب ، والصادق من الكاذب]

أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الميزان الذي يوزن به أعمال العباد وأفعالهم ، ويوزن به إيمانهم وكفرهم ونفاقهم .

وقد روي في زيارته (عليه السلام) : السلام عليك يا ميزان الأعمال ...

وروى الفيروز آبادي ، في كتابه فضائل الخمسة من الصحاح الستة ، بإسناده ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال (صلى الله عليه وآله) : لا يحبنا أهل البيت إلاّ مؤمن تقي ، ولا يبغضنا إلاّ منافق شقي [٢] .

وروى بأسانيد متعدده : إن حب عليّ (عليه السلام) إيمان ، وبغضه نفاق وكفر .

وروى أيضاً عن أبي سعيد ، أنه قال : إنّا كنا نعرف المنافقين - نحن معشر الأنصار - ببغضهم لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) [٣] .

فالزهراء (عليها السلام) أرادت أن تلفت النظر إلى أن سيرة الوالي الحقيقي الذي ارتضاه الله ورسوله يتمثل بهذه الشخصية النادرة الوجود ، ألا وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي لا يهمه من الدنيا إلا كزاد

---

[١] نهج البلاغة /خ٢٢٤

[٢] ج٢/ص٧٩

[٣] راجع فضائل الخمسة ج٢/ص٢٠٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسافر ، وقد قال (عليه السلام) لواليه على البصرة -عثمان بن حنيف - : ألا وإن لكل مأمومٍ إماماً يقتدي به ، ويستضيء بنور علمه ، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه [١] ومن طعمه بقرصيه ، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفة وسداد ، فوا لله ما كنزت من دنياكم تبرا [٢] ولا ادخرت من غنائمها وفرا ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا ولا حزت من أرضها شبرا ، ولا أخذت منه إلا كقوت أتان دبرة [٣] ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقرة [٤] .

هذه هي القيادة والإمارة بنظر أهل البيت (عليهم السلام) !

مواساة ومساواة .

مثل أعلى في قمع الشهوات .

ثوبان خلقان لا يوجد غيرهما .

وقرصا شعير ، النخالة بادية فيهما ، حتى قال بعض أصحابه للخادمة - عندما رآه يأكل - : ألا تتقون ا لله في هذا الشيخ ؟.

ألا تنخلون هذا الطعام ؟.

قالت : أمر أن لا ننخل له طعاماً [٥] .

---

[١] الثوب الخلق البالي

[٢] التبر هو فتات الذهب قبل أن يصاغ

[٣] الأتان الدبرة : هو الحمار الذي عقر ظهره فقل أكله .

[٤] نتوء تكون على شجر البلوط مرّة المذاق / المنجد مادة عفص . راجع نهج البلاغة كتاب/٤٥

[٥] في ظلال نهج البلاغة ج٤/ص١٥

[﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ [1]]

استدلت (سلام الله عليها) بكلامه سبحانه من أن الحاكم إذا عدل ، أسبغت السماء بركاتها ، والأرض خيراتها ...

أمّا إذا كذب وفسق ، هو ومن يواليه ، فإن الله سبحانه يعذبهم بما كسبت أيديهم ، وبما ظلموا أنفسهم .

[﴿ والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ﴾ [2]]

واستدلت بآية أخرى على أن الظالمين يكون جزاؤهم من جنس عملهم ، فالذي يزرع ظلماً وعداوةً فلا بد له أن يحصد خسراناً وندامةً يوم القيامة ، **﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴾** [3]

وهكذا نجد أن الزهراء (عليها السلام) تُنذر المسلمين بعاقبة العمل الذي قاموا به ، وأنه سيعود على الأمة الإسلامية بالظلم والإنحراف عن صراط الله القويم .

---

[1] الأعراف/٩٤

[2] الزمر /٥٢

[3] آل عمران/٣٠

[ألا : هلمّ فأسمع ! وما عشت أراك ا لله عجباً !! وإن تعجب فعجب قولهم !!.]

بعد أن أنذرتهم بعاقبة عملهم ، تعجبت من فعلهم ، واستغربت ، ونادت وربما أرادت أن تسمع آذان الدنيا تعجبها واستغرابها من أفعالهم وأقوالهم .

وأخذت الشطر الأخير من كلامها من قوله تعالى : ﴿ **وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنّا تراباً أإنّا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾[1]

[ليت شعري إلى أيّ سنادٍ استندوا ؟!. وعلى أيّ عمادٍ اعتمدوا ؟ وبأيّة عروة تمسّكوا ؟]

كان المسلمون يعتمدون على رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) ، ويسندون جميع شؤنهم إلى الوحي من السماء .

ولكنهم هبطوا في الإختيار من السماء إلى الأرض ، ومن العز إلى الذل ، ومن قانون الرحمن إلى قانون الشيطان .

فتمنّت الزهراء (عليها السلام) أن تعلم لِمَ فعلوا بأنفسهم هذا الفعل ؟.

إن النبي (صلوات ا لله عليه وآله) الذي لا ينطق عن الهوى ، والذي يخبر بوحي السماء ، عيّن خليفة من بعده ، وأوصى المسلمين باحترام أهل بيته ، وبحفظ موالاتهم وحقوقهم ...

---

[1] الرعد/٥

ولكنهم بدّلوا وغيروا ، وانجرّوا وراء من لا تربطه بالرسول أي رابطة من نسبٍ أو قرابة أو نصّ إلهي .

[وعلى أيّة ذرية أقدموا واحتنكوا]

احتنكوا : أي استولوا .

والذرية : هم ذرية رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) .

ما زالت تتعجب فاطمة الزهراء (عليها السلام) من فعلهم الشنيع ، وعملهم القبيح .

كيف فعلوا هذا مع ذرية رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) الذين يرضى ا لله لرضاهم ، ويسخط لسخطهم .

[﴿ لبئس المولى ولبئس العشير ﴾ . ﴿ وبئس للظالمين بدلا ﴾]

استخدمت (سلام ا لله عليها) آخر آيتين من كتاب ا لله المجيد لتدلل على ضلال القوم ، وعظيم جرمهم .

قال سبحانه : **﴿ يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ﴾**[1] .

وغرض الزهراء (عليها السلام) من ذكر هذه الآية أنهم اتبعوا الذين ضررهم لأنفسهم ولغيرهم أقرب من نفعهم ، لبئس الأولياء الذين ولّوهم ،

---

[1] الحج/١٣

والمناصرون الذين نصروهم وانتصروا بهم ، ولبئس الأصحاب الذين يخالطونهم ويعاشرونهم .

وقوله سبحانه : ﴿ **وإذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا** ﴾ [1] .

وغرضها (عليها السلام) من ذكر الآية الثانية أنهم تركوا أوامر الرحمن ، وخالفوا وصاياه ، واتبعوا الشيطان وجنوده ، بئس البدل الذي استبدله الظالمون .

[استبدلوا الذنابا بالقوادم ، والعَجُز بالكواهل]

القوادم : هي ريشات الأجنحة عند الطائر .

والذنابا : هي الريشات التي تكون على ذنب الطائر .

والكاهل : هو ما بين الكتفين .

والعَجُز - بفتح العين وضم الجيم - : من كل شيء مؤخره ، ومن الأنسان ما بين الوركين .

شبهت الزهراء (عليها السلام) الأمة الإسلامية بالطائر . وشبهت القيادة في الإسلام بمنزلة الجناحين ، فكما أنه لا يمكن للطائر أن يطير إلا بالجناحين ، كذلك لا يمكن للأمة أن تستقيم أمورها إذا لم تكن قيادتها واعية فطنة .

---

[1] الكهف /٥٠

فالقائد لا بد أن تتوافر فيه جميع المؤهلات ، من العلم والمعرفة ، والإيمان والتقوى ، والذكاء والفطنة ، والشجاعة والبطولة ، والحسب والنسب ...

وكذلك التشبيه الآخر الذي ذكرته (سلام الله عليها) من العجز والكواهل .

فأين الثريّا من الثرى . وأين السماء من الأرض ؟.

هل تستوي القيادة التي جاؤوا بها ، مع تلك التي اختارها لهم رب العالمين سبحانه ؟!.

لقد سنوا سنة مازال المسلمون يرزحون تحت عبئها وثقلها إلى يومنا هذا ، وإلى ما شاء الله سبحانه .

فلا أحد يفكر في اختيار القائد الأصلح والأنسب للأمة ، بل يفكر كيف يختار ما يتناسب مع مصالحه وأهوائه ، وكيف يستفيد من الظرف الذي يعيش فيه .

[فرغماً لمعاطس قوم ﴿ يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ . ﴿ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾]

الرغم ، ورغم الأنف : هو لصقه بالتراب ، ويستعمل في الذل والهوان ، والعجز عن الإنتصار .

والمعاطس جمع معطس : وهو الأنف .

والمعنى : أنها (عليها السلام) تدعو على أولئك الناس بالذل والهوان ، لأنهم يتصورون أنهم يحسنون أعمالاً وأفعالاً .

وقد استخدمت (عليها السلام) بكلامها جزءاً من قوله تعالى : ﴿ **قل هل نبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** ﴾ [١] .

وأخذت الشطر الآخر من كلامها من قوله تعالى في صفاة المنافقين : ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** ﴾ [٢] .

لقد أحسنت وأجادت ، ووضعت الآيات في مواضعها ، وطبقتها على الناس الذين يستحقونها ، إنها ابنة أبيها ، سيد البلغاء والمتكلمين ، وزوجة امير المؤمنين (صلوات الله عليهم أجمعين) .

[ويحهم ! ﴿ أفمن يَهدي إلى الحق أحق أن يُتّبع أمّن لا يَهدي إلاّ أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون ﴾] [٣]

بعد أن بيّنت (سلام الله عليها) لهم خطأهم باختيار القيادة التي ليست أهلاً للإختيار ، جاءتهم ببرهان واضح ، وحجة دامغة من كتاب الله تعالى ، بأن القائد العالم ، الذي يقود الأمة إلى الحق والعدل ورضوان الله سبحانه ، هو الذي يجب اتباعه .

---

[١] الكهف/١٠٣/١٠٤

[٢] البقرة /١١/١٢

[٣] يونس/٣٥

وأما الذي لا يهدي ، والذي هو بحاجة إلى هداية ، وإلى من يقوّمه ويصلحه ، فحرام اتباعه ، والخضوع إلى قيادته .

وقد ورد عن أبي بكر أنه قال عندما تولى الخلافة : إني وُلّيتُ عليكم ولستُ بخيركم ، فإن رأيتموني على الحق فأعينوني ، وإن رأيتموني على الباطل فسددوني .

وقوله : ... أما والله ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً ، ولوَددت أن فيكم من يكفيني ، أفتظنون أني أعملى فيكم بسنة رسول الله ؟ إذن لا أقوم بها !.

إن رسول الله كان يعصم بالوحي ، وكان معه ملك ، وأن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا غضبتُ فاجتنبوني أن لا أُؤثر في أشعاركم وأبشاركم ، ألا فراعوني فإن استقمت فأعينوني ، وإذا زغت فقوموني [1] .

هذا ما يقوله أبو بكر عن نفسه ؛ فما الرأي فيمن قال عمر بن الخطاب عنه ، عندما سئل عمّن سيولي الخلافة من بعده ؟.

وذكر أصحاب الشورى كلّ بصفته ، وعندما وصل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : وأمّا أنت ياعلي فوالله لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحتهم ، فقام علي مولياً .

---

[1] تلخيص الشافي ج٢/ص٩ . عن مسند أحمد ، والرياض النضرة ، وكنز العمال ، وطبقات ابن سعد ، والإمامة والسياسة ، وتاريخ الطبري ، وسيرة ابن هشام ، وعيون الأخبار ، والعقد الفريد ، وتاريخ السيوطي ، والسيرة الحلبية وشرح النهج لابن أبي الحديد وغيرها من المصادر .

فقال عمر : وا لله إني لأعلم مكان رجل لو وليتموها إيّاه لحملكم على المحجة البيضاء ، قالوا : من هو ؟.

قال : هذا المولّي من بينكم ، قالوا : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : ليس إلى ذلك سبيل [1] .

[أما : لعمري ! لقد لقحت ، فنظرة ريثما تنتج]

إن ا لله سبحانه خلق الخلق ، وشرّع لهم القوانين ليسيروا عليها .

ونبههم إلى أن كل شيء تكون عاقبته من جنس عمله .

عندما تكون العدالة مطبقة من الحكام ، تجد الخير يعم الجميع .

وعندما ترى أن الفضيلة والأخلاق الحسنة ، والمعاملة بالمثل – أحب لأخيك ما تحبه لنفسك – سائدة في المجتمع ، تجد الأمة تعيش في رفاه وعز وإحترام .

أما إذا لم يحترموا قوانين ا لله في الأرض ، وسادت بينهم الفوضى وحب الذات فا لله يبتليهم من جنس عملهم .

فهذه الأيام يعيش العالم الأميركي والغربي ، وحتى الشرقي أيضاً ، بحالة من الخوف والرعب والهلع من المرض الفتاك الذي نزل بساحتهم ، ألا وهو – السيدا أو الإيدز – أي فقدان المناعة المكتسبة في الجسم .

لقد أباحوا لأنفسهم الجنس ، وسموا ذلك حرّية ، فابتلاهم ا لله سبحانه من نفس المكان الذي تجرؤا به عليه ، وعلى قانونه في الأرض .

---

[1] تلخيص الشافي ج٤/ص٣٨ نقلاً عن شرح إبن أبي الحديد ج٣/ص١٧٠ ط مصر .

فالزهراء (عليها السلام) أشارت بقولها للنسوة : إن ما فعله الصحابة من الإنحراف والجرأة على حرمة الخلافة - وهذا ما أسمته باللقاح - ولا بد للقاح من النتاج ، سوف يكون نتاجه وصول أمثال يزيد بن معاوية إلى الحكم ، الذي أباح المدينة ثلاثة أيام للجند يفعلون بها ما يشاؤون ، ويعملون بها ما يريدون ، وسميت وقعة الحرة ، وهدم الكعبة بالمنجنيق ، وقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه .

وغيره من ولاة بني أمية ، وبني العباس الذين لم يتركوا مثلبة إلا وفعلوها ، أو حرمة إلا وهتكوها ، وأصبح الإسلام إسْماً بلا محتوى ، والقرآن رمزاً بلا تفسير ، أو عمل به .

[ثم احتلبوا ملأ القعب دماً عبيطاً ، وذعافاً مبيداً]

جعلت (سلام الله عليها) الخلافة مثل الناقة .

فالناقة عندما يحلبونها يستفيدون من حليبها .

وأمّا الخلافة التي اغتصبوها ، وعن طريق الحق حرّفوها ، فسوف يكون نتاجها الدم ، والقتل ، والظلم ، والتسابق إلى الدنيا ، وإلى المناصب العالية بإسم الدين والحفاظ على رسالة رب العالمين .

والقعب : هو قدح من خشب يروي الرجل من العطش .

والعبيط : هو الطري . والزعاف : هو السُمّ . والمبيد : هو المهلك .

إذن تُحمّل فاطمة الزهراء (عليها السلام) مسؤلية الدماء التي سفكت ، والتي ستسفك في الإسلام ، إلى أولئك الذين حرّفوا الخلافة عن المسار الذي أراده ا لله لها ، وغيروا وبدلوا حسب ما تملي عليهم أهواؤهم وشهواتهم .

هذا معاوية قام ليطالب بدم عثمان ، وهي ذريعة تذرّع بها ليصل إلى الحكم ، فكانت معركة صفين ، وقد قتل فيها تسعون ألف رجل .

وبعدها وقعة النهروان : وقتل فيها أربعة الآف .

ثم خرج بسر بن أرطأة من الشام وقصد المدينة ومكة واليمن وفي طريقه كان يقتل الناس ، حتى قتل من شيعة علي في اليمن وغيره ثلاثين ألف مسلم

وكان قد قُتل في معركة الجمل الذي قادت حربه عائشة : خمس وعشرون ألف إنسان .

هل يحق لنا أن نعرف من المسؤول عن هذه الدماء ؟.

[هنالك يخسر المبطلون ، ويعرف التالون غبّ ما أسسه الأولون]

قال ا لله تبارك وتعالى في كتابه المجيد : ﴿ .. **فإذا جاء أمر ا لله قُضي بالحق وخسر هنالك المبطلون** ﴾ [1] .

وقال عز وجل في آية أخرى : ﴿ **و لله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون** ﴾ [2] .

أخذت الزهراء (عليها السلام) خسارة أهل الباطل من كلام ا لله تعالى .

---

[1] غافر/٧٨

[2] الجاثية /٢٧

وعندها يعرف التالون : وهم الذين يأتون من الأمم اللاحقة ، ويرون الجرائم ، والمظالم ، وهتك الحرمات ، فيعرفون فظاعة وشناعة ما ارتكبه الأولون .

وهم صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، الذين يعتبرونهم كلهم عدول !.

[ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً ، واطمئنوا للفتنة جأشاً]

يقال : طب نفساً : أي اسكن واهدأ عن القلق .

كما يقال للظالم المعتدي : قرّت عينك ، أو بشراك ، وأيضاً فلتسكن للفتنة نفوسكم ، وليهدأ إليها بالكم !.

وهذا الكلام يراد به العكس ، لأن النفس لا تطمئن ، ولا تطيب ، أو تستريح بالظلم والإعتداء .

[وأبشروا بسيفٍ صارمٍ ، وسطوةِ معتدٍ غاشمٍ]

هذه البشارة التي بشّرتهم بها الزهراء (عليها السلام) ، هي على غرار قوله تعالى : ﴿ **فبشرهم بعذابٍ أليم** ﴾ [١] ويكون جزاؤهم من جنس عملهم .

هذه السنّة التي سننتموها ، وهذه البدعة التي ابتدعتموها ، ستكون على الأمة سيفاً صارماً ، وحداً قاطعاً ، وسطوةً وقوةً من المعتدين الذين لا يعقلون وليس في قلبهم رحمة فيرحمون .

---

[١] آل عمران/٢١ والتوبة /٣٤ والإنشقاق/٢٤

[وهرج شامل ، واستبدادٍ من الظالمين]

أي وتكون فتنة شاملة ، وتفرّد بالرأي من الحكام الظالمين ، بحيث لا تنفع معهم موعظة ، ولا تؤثر فيهم نصيحة .

[يدع فيئكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً]

أي من كثرة ظلم الحكام ، واعتدائهم على الشعب ، وأكل خيرات الأمة بالظلم والغلبة ، تكون الغنائم التي تصلهم قليلة زهيدة ، لشدة إسرافهم وتبذيرهم في سبيل شهواتهم وملذاتهم .

ولن تستطيعوا أن تغيروا شيئاً من الواقع لأن أيّ اجتماع ضدهم سيبوء بالفشل ، وسيقتلونكم ، ويحصدونكم حصد الزرع اليابس .

[فياحسرةً لكم ، وأنّى بكم ؟!]

بدأت (سلام الله عليها) تتحسر على الوضع الذي سيصل إليه المسلمون نتيجة للخطأ الذي ارتكبوه ، وللمسار الذي سارت فيه الأمة ، من جعل الخلافة في الأيدي الأثيمة الظالمة .

وأخذت تأسفها من قوله تعالى : ﴿ **يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن** ﴾ [1] .

---

[1] يس/٣٠

[﴿ **وقد عُمّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون** ﴾][1]

وختمت كلامها (سلام الله عليها) مع النساء باستخدامها هذه الآية ، وهي تُشعرهن بأن القضية بإختيار المسلمين ، وليسوا مجبورين على شيء .

فقد اختلط عليهم علمها ، واشتبه أمرها ، وربما تصوروا أن المسألة عادية ليس فيها ذاك الخطأ الكبير : أن يستبدلوا والياً مكان والٍ ، أو خليفةً مكان خليفة .

ولكن الفرق بيّن ، والبون شاسع ، كالفرق بين الحق والباطلِ ، أو بين السماء والأرض .

وليس للناس أن تختار خلاف ما اختاره الله سبحانه ورسوله (صلى الله عليه وآله) .

قال تعالى : ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة** ﴾ [2] .

وقال سبحانه أيضاً : ﴿ **وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ [3] .

إذن تأسفت سيدة النساء (سلام الله عليها) لما سيجري على الأمة ، وقالت : إنهم عُمّيت عليهم الحقيقة ، ولا نلزمكم إياها وأنتم لها كارهون .

قال سويد بن غفلة : فأعادت النساء قولها (عليها السلام) على رجالهن ، فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار ، معتذرين . وقالوا :

---

(١) هود/٢٨

(٢) القصص/٦٨

(٣) الإحزاب /٣٦

[ياسيدة النساء ! لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن يبرم العهد ، ويُحكم العقد لما عدلنا إلى غيره !!!]

ما هذه المراوغة البيّنة ، والنفاق الصريح ؟.

لِمَ لم ينقضوا بيعتهم لأبي بكر ، مع أنها كانت خدعة ، وفي خلسة من الزمن ، والناس في حالة ذهول لوفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) !؟.

ولِمَ نقضوا بيعتهم يوم الغدير التي كانت بأمر من الله تعالى ، وبحضور من رسوله الكريم ؟.

وكيف نسوا ، أو تناسوا ، الوصايا التي ملأت بطون الكتب – في هذا الزمان [1] – والتي تؤكد على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وماذا كان عليه أن يفعل ؟!.

هل يترك رسول الله (صلى الله عليه وآله) مسجى بلا تجهيز ، ويذهب ينازعهم الخلافة ؟!. حقاً إنهم لا يعقلون !.

لهذا علمت (سلام الله عليها) نفاقهم وزيفهم ، وعدم جدوى الكلام معهم فطردتهم ، ولم تقبل منهم أي عذر فقالت :

[إليكم عني ، فلا عذر بعد تعذيركم ، ولا أمر بعد تقصيركم]

أي ليس لكم أي عذر بعد أن حصل منكم التقصير ، وقد بُينت لكم كل الأمور ، ولكنكم ما زلتم على ما أنتم عليه من الغدر والخيانة .

---

[1] أمثال الشافي لعلم الهدى الشريف المرتضى ، وتلخيصه لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي ، والغدير للشيخ الأميني ودلائل الصدق للشيخ المظفر ، وغيرها من المصادر

عيادة الشيخين للزهراء (عليها السلام)
في حال مرضها

بعد أن اشتُهِرَ وذاع بين المسلمين أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) مريضة ، وقد لازمت الفراش ، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر : انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها .

فانطلقا جميعاً ، فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما .

فأتيا عليّاً فكلماه ، فأدخلهما عليها ، فلمّا قعدا عندها ، حولت وجهها إلى الحائط ، فسلما عليها ، فلم ترد عليهما السلام .

فتكلم أبو بكر ، فقال : ياحبيبة رسول الله ! والله إن قرابة رسول الله أحب إليّ من قرابتي ! وإنك لأحب إليّ من عائشة إبنتي !.
ولوَددت يوم مات أبوك أني متُّ ولا أبقى بعده ! أفتراني أعرفك ، وأعرف فضلك وشرفك ، وأمنعك حقك ، وميراثك من رسول الله ؟!.

إلاّ أني سمعت أباك رسول الله يقول : لا نورّث ما تركناه صدقة .

فقالت (سلام الله عليها) : أرأيتكما أن حدثتكما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعرفانه ، وتفعلان به ؟.

فقالا : نعم ، قالت : نشدتكما الله ! ألم تسمعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحب فاطمة إبنتي فقد أحبني ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟.

قالا : نعم ، سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) !.

قالت : فإني أُشهد ا لله وملائكته أنكما أسخطماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبي (صلى الله عليه وآله) لأشكونّكما إليه .

فقال أبو بكر : أنا عائذ با لله تعالى من سخطه ومن سخطك يافاطمة !.

ثم انتحب أبو بكر يبكي ، حتى كادت نفسه تزهق ، وهي – أي فاطمة – تقول : وا لله لأدعونّ عليك في كل صلاة أصليها .

ثم خرج أبو بكر باكياً ، فاجتمع الناس إليه فقال لهم : يبيت كل رجل معانقاً حليلته ، مسروراً بأهله ، وتركتموني وما أنا فيه ، لا حاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي [1] .

أقول : إنا نعلم أن فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) ، كانت فطنة جداً لذا لم تُخدع بهذه الزيارة المشبوهة ، التي يرمي الشيخان من خلالها ، ذرّ الرماد في عيون المسلمين وخديعتهم .

إنها لم تردّ عليهما السلام لأنه لا سلم بينها وبين من غصبها حقها وسلبها إرثها ، وتجرأ على غصب الخلافة ، وعلى الكذب والتزوير والإفتراء والإعتداء عليها بالضرب والتكذيب .

وهي لم تجادلهما أو تحاجّهما ...

بل ساقتهما إلى الإعتراف بأمرين اثنين : أولهما بأنها لا تكذب ولا يمكن أن تكذب .

وثانيهما بأن ما ستقوله لهما كانا قد سمعاه من رسول ا لله (صلى الله عليه وآله) وبأنهما موافقين على نصّه ومضمونه .

---

[1] الغدير ج٧/ص٢٢٩ عن الإمامة والسياسة ، وأعلام النساء ، ومثله ما في البحار ج٤٣/ص٢٠٣ ، وعلل الشرايع

بعدها فجّرت غضبها عليهما ، إلى يوم الدين ، حيث سيكون ا لله جل جلاله والنبي وآله (صلى ا لله عليه وآله) أخصامهما .

وللجاحظ كلام في ظلم الزهراء (عليها السلام) ، وفي ذهاب الشيخين لعيادتها وإسترضائها .

ففي رسائله /ص٣٠٠ قال : وقد زعم أُناس أن الدليل على صدق خبرهما - يعني أبا بكر وعمر - في منع الميراث ، وبراءة ساحتهما ؛ ترك أصحاب رسول ا لله (ص) النكير عليهما ..!

قد يقال لهم : لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ، أنّ ترك المتظلّمين والمحتجّين عليهما والمطالبين لهما دليل على صدق دعواهم ، أو استحسان مقالتهم ، ولا سيّما وقد طالت المناجاة ، وكثرت المراجعة والملاحاة ، وظهرت الشكاية ، واشتدّت الموجدة ، وقد بلغ ذلك من فاطمة -عليها السلام - أنها أوصت أن لا يصلي عليها أبو بكر .

ولقد قالت له حين أتته مطالبة بحقها ، ومحتجة لرهطها : من يرثك يا أبا بكر إذا متّ ؟.

قال : أهلي وولدي ! قالت : فما بالنا لا نرث النبي (ص) ؟.

فلمّا منعها ميراثها ، وبخسها حقها ، واعتلّ عليها ، وجلح أمرها ، وعاينت التهضّم ، وأيست من التورّع ، ووجدت نشوة الضعف ، وقلة الناصر ، قالت : وا لله لأدعونّ ا لله عليك .

قال : وا لله لأدعونّ ا لله لك .

قالت : وا لله لا كلّمتك أبداً .

قال : وا لله لا أهجرك أبداً .

فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعها ، أنَ في ترك النكير على فاطمة دليلاً على صواب طلبها ؟.

وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت ، وتذكيرها ما نسيت ، وصرفها عن الخطأ ، ورفع قدرها عن البذاء ، وأن تقول هجراً ، وتجوِّر عادلاً ، أو تقطع واصلاً ، فإذا لم نجدهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأمور ، واستوت الأسباب ، والرجوع إلى أصل حكم ا لله في المواريث أولى بنا وبكم ، وأوجب علينا وعليكم .

فإن قالوا : كيف تظن به ظلمها وتعدى عليها ؟ وكلّما ازدادت عليه غلظة ، ازداد لها ليناً ورقة .

حيث تقول له : وا لله لا أكلمك أبداً . فيقول : وا لله لا أهجرك أبداً .

ثم تقول : وا لله لأدعونّ ا لله عليك . فيقول : وا لله لأدعونّ ا لله لكِ .

ثم يتحمل منها هذا الكلام الغليظ ، والقول الشديد في دار الخلافة ، وبحضرة قريش والصحابة ، مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه ، وما يجب لها من الرفعة والهيبة ، ثم لم يمنعه ذلك عن أن قال معتذراً متقرباً ، كلام المعظم لحقها ، المكبِّر لمقامها ، الصائن لوجهها، المتحنن عليها : ما أحد أعز عليّ منك فقراً ، ولا أحب إليّ منك غنىً ، ولكن سمعت رسول ا لله (ص) يقول : إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة .

قيل لهم : ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم ، والسلامة من الجـور ، وقد بلغ من مكر الظالم ، ودهاء الماكر إذا كان أريبـاً وللخصومـة معتـاداً أن يظهر كلام المظلوم ، وذلة المنتصف ، وحرب الوامق ، ومقت المحقّ .

وكيف جعلتم ترك النكير حجة قاطعة ، ودلالة واضحة ؟.

وقد زعمتم أن عمر قال على منبره : متعتان كانتا على عهـد رسـول الله (ص) : متعة النساء ومتعة الحج ، أنا أنهى عنهمـا ، وأُعـاقب عليهمـا ، فمـا وجدتم أحداً أنكر قوله ، ولا استشنع مخرج نهيه ، ولا خطّأه في معنـاه ، ولا تعجب منه ، ولا استفهمه .

وكيف تقضون بترك النكير ؟ وقد شهد عمر يوم السقيفة ، وبعـد ذلـك أن النبي (ص) قال : الأئمة من قريش ، ثم قال في شـكايته : لـو كـان سـالم حيّاً ما تخالجني فيه الشك ، [1] حين أظهر الشك في استحقاق كل واحد من الستة الذين جعلهـم شورى ، وسالم عبد لإمرأة من الأنصار ، وهي أعتقتـه ، وحازت ميراثه ، ثم لم ينكر ذلك من قوله منكرٌ ، ولا قابل إنسان بين قولـه ولا تعجب منه ، وإنما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبـة عنـده ، دليلاً على صدق قوله ، وصواب عمله .

فأمّا ترك النكير على من يملك الضعة والرفعـة ، والأمـر والنهـي ، والقتـل والإستحياء ، والحبـس والإطـلاق فليس بحجـة تشـفي ، ولا دلالـة تضـيء انتهى كلام الجاحظ [2] .

---

[1] أي أن سالماً هذا ليس قرشياً !

[2] الغدير ج٧/ص٢٢٩/٢٣١ ، وتلخيص الشافي ج٣/ص١٥٠/١٥٤

من قصيدة للأديب السيد عباس المدرسي

كفاني حزناً لا تثيرنّ ما بيا ... ولا تكشف الجرح المعتق ثانيا

بصائرَ فتح في الضمير شعاعها ... ترى الدهر دواراً على الغدر طاويا

فإن كنت لاتبصرمن الشمس ضوءها ... فلا تكُ للشمس المضيئة عاديا

أرى الحق يهدي إن ملكت بصيرة ... وليس لأعمى القلب والفكر هاديا

هي الشمس تأبى أن تعود إلى الورا ... ولا الليل يهدي للطريقة ساريا

مريضك لا يشفيه طب ومرهم ... إذا كان يأبى للشفاء التداويا

دع العين تبكي في المصاب ولا تسل ... سيغنيك عن كشف السريرة حاليا

سل الناس عن أهل المدينة سرها ... وإن شئت فاسأل عن أراكة ثانيا

وعن بيت أحزان المدينة حزنها ... ودمع جرى منها ولا زال جاريا

سل الدار عمّا قد جرى عند بابها ... وعن اهل بيت جرّعوها المآسيا

وسل ليلة تخفى الجروح بمتنها ... ونعشاً على كف الأحبة عاليا

ألا أيها الماضون بالنعش مهلة ... فما بعد هذا اليوم أرجو تلاقيا

وعرج على بيت البتولة فاطم ... فإن أنين الدار يكفيك هاديا

بكاء علي واليتامى بجنبه ... فلله من باكٍ يواسي البواكيا

ألا آجر ا لله الوصي بليلة ... وقد دس في عمق التراب الأمانيا

رنا نحو قبر المصطفى وهو يشتكي ... يعيد إليه للوديعة ثانيا

وأعدتُ يا خير الأنام وديعتي ... ولكنها عادت وليست كما هيا

ستعرف عن مكسورة الضلع ماجرى ... وتعرف عن مسودة المتن ما بيا

. عن كتاب إعلموا أني فاطمة ج٣/ص٦٩

الويل لمن غضبت عليه فاطمة (عليها السلام)

روى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة [١]

عن سلمان أنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ياسلمان ! من أحب فاطمة إبنتي فهو في الجنة معي ، ومن أبغضها فهو في النار .

ياسلمان ! حُب فاطمة ينفع في مائة من المواطن ، أيسر تلك المواطن : الموت ، والقبر ، والميزان ، والمحشر ، والصراط ، والمحاسبة .

فمن رضيتْ عنه إبنتي فاطمة رضيتُ عنه ، ومن رضيتُ عليه ، رضي الله عنه ، ومن غضبتْ عليه إبنتي فاطمة غضبتُ عليه ، ومن غضبتُ عليه ، غضب الله عليه .

ياسلمان ! ويل لمن يظلمها ، ويظلم بعلها أمير المؤمنين عليّاً ، وويل لمن يظلم ذريتها وشيعتها [٢] .

وروى في كشف الغمة [٣]

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : دخلتْ فاطمة (عليها السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في سكرات الموت ، فانكبت عليه تبكي ، ففتح عينه وأفاق ؛ ثم قال : يا بنيّة ! أنت المظلومة بعدي ، وأنت المستضعفة بعدي ، فمن آذاك فقد آذاني ، ومن غاظك فقد غاظني ! ومن سرك فقد

---

[١] /ص٣١٤ ط النجف الأشرف

[٢] إعلموا أني فاطمة ج١/ص٢١

[٣] ج٢/ص٥٨

سرني ، ومن برّك فقد برّني ، ومن جفاك فقد جفاني ، ومن وصلك فقد وصلني ، ومن قطعك فقد قطعني ، ومن أنصفك فقد أنصفني ، ومن ظلمك فقد ظلمني ، لأنك مني ، وأنا منك ، وأنت بضعة مني ، وروحي التي بين جنبيّ .

ثم قال : إلى ا لله أشكو ظالميك من أمتي [١] .

وروى في كتاب فرائد السمطين

باسناده عن رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) – من حديث طويل – أنه قال : الحسن والحسين إماما أُمتي بعد أبيهما ، وسيدا شباب أهل الجنة ، وأُمهما سيدة نساء العالمين ، وأبوهما سيد الوصيّين ، ومن ولد الحسين تسعة أئمة ، تاسعهم القائم من ولدي ، طاعتهم طاعتي ، ومعصيتهم معصيتي ، إلى ا لله أشكو المنكرين لفضلهم ، والمضيّعين لحرمتهم بعدي ، وكفى با لله وليّاً وناصراً لعترتي ، وأئمة أُمتي ، ومنتقماً من الجاحدين حقهم ...

ثم قرأ (صلى ا لله عليه وآله) قوله تعالى : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون** ﴾ [٢] .

وروى في كنز العمال [٣] بإسناده عن رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) أنه قال إنّ لكل بني أبٍ عصبة ينتمون إليها ، إلاّ ولد فاطمة ، فأنا وليّهم وأنا

---

[١] البحار ج٢٨/ص٧٦

[٢] فاطمة الزهراء في القرآن /ص١٧٩ والآية/٢٢٧/ الشعراء

[٣] ج٦/ص٢١٦

عصبتهم ، وهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ويـل للمكذبين بفضلهـم ، مـن أحبهم أحبه ا لله ، ومن أبغضهم أبغضه ا لله [١] .

وروى في شواهد التنزيل

باسناده عن جابر بن عبد ا لله الأنصاري أنه قال : خطبنا رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) فسمعتُه يقول : مـن أبغضنـا أهـل البيـت حشـره ا لله يـوم القيامـة يهودياً !.

قال جابر : قلت : يارسول ا لله ! وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ؟.

فقال (صلى ا لله عليه وآله) : نعم وإن صلى وصام وزعـم أنه مسلم [٢] .

وروى في كتاب المسند

المعروف (بإبن أخي تبوك) بإسناده عن شريك بن عبد ا لله ، قال : كنت عند الأعمش وهو عليل ، فدخل عليه أبو حنيفة وإبـن شـبرمة ، وإبـن أبـي ليلى ، فقالوا له : يا أبا محمد ! إنك في آخر يوم من أيـام الدنيـا ، وأول يـوم من أيام الآخرة ، وقد كنت تحدثت في فضائل علي بن أبي طالب بآحـاديث فَتُبْ إلى ا لله منها .

فقال الأعمش : أسندوني أسندوني ، فأُسند فقال : حدثنـا أبـي المتوكـل الناجي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) : إذا

---

[١] فاطمة الزهراء في القرآن /ص٢٢٤ ، وفضائل الخمسة ج٢/ص٢٨

[٢] فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج٢ /ص٢٨ ، وفاطمة الزهراء في القرآن /ص٢٢٤ ، وإعلموا أني فاطمة ج١/ص١٧٥

كان يوم القيامة قال الله تعالى لي ولعليّ : ألقيا في النار من أبغضكما ، وأدخلا في الجنة من أحبكما .

فذلك قوله تعالى : ﴿ **ألقيا في جهنم كل كفار عنيد** ﴾ [١] .

قال أبو حنيفة للقوم : قوموا ! لا يجيء أشد من هذا .

وزاد العلامة البحراني (ره) في غاية المرام في معنى الآية فقال : فالكفار من جحد نبوّتي ، والعنيد من عاند عليّاً وأهل بيته وشيعته [٢] .

وروى في غاية المرام

عن الفقيه الحنفي ، موفق بن أحمد الخوارزمي ، بإسناده عن يزيد بن تبيع قال : سمعت أبا بكر يقول : رأيت رسول الله – (صلى الله عليه وآله) – خيّم خيمة وهو متكيء على قوس عربية ، وفي الخيمة : عليّ ، وفاطمة ، والحسن والحسين ، – (عليهم السلام) – ثم قال : يامعشر المسلمين ! أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة ، وحرب لمن حاربهم ، ووليّ لمن والاهم ، وعدوّ لمن عاداهم لايحبهم إلا سعيد الجد ، طيب المولد ، ولا يبغضهم إلاّ شقي الجد ، رديّ المولد .

فقال رجل : يا يزيد ! بالله أنت سمعت هذا من أبي بكر ؟.قال : أيّ ورب الكعبة !.

---

[١] ق /٢٤

[٢] فاطمة الزهراء في القرآن/ص٢٦٢/٢٦٣

أقول : [١] القرآن الحكيم قسّم الناس إلى قسمين : سعيد وشقيّ ، بقوله تعالى : ﴿**يوم يأت لا تكلم نفس إلاّ بإذنه فمنهم شقيّ وسعيد * فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلاّ ما شاء ربك إن ربك فعّال لما يريد * وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلاّ ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ**﴾ [٢] .

ورسول الله (صلى الله عليه وآله) بنص هذه الرواية ، ونقل أبي بكر لها حصر السعداء بأداة الحصر – ما ، وإلاّ – فيمن يحب فاطمة الزهراء ، وأباها ، وبعلها ، وبنيها .

فالآية الشريفة غير منطبقة إلاّ عليهم (صلوات الله عليهم أجمعين) [٣] .

---

[١] هذا القول لصاحب كتاب فاطمة الزهراء في القرآن

[٢] هود /١٠٥/ ١٠٨

[٣] فاطمة الزهراء في القرآن/ص١٠٦

من قصيدة للشيخ قاسم الملا الحلي

ولقـدْ يعـزُّ علـى رسـول ... ا لله مـا جنـت الصحابـه
قـد مـاتَ فـانقلبوا علـى ... الأعقـاب لم يخشـوا عقابـه
منعـوا البتولـة أنْ تنـوحَ ... عليـه أو تبكـيْ مصابَـه
نعـش النـبي أمـامهم ... ووراءهـم نبـذوا كتابـه
لم يحفظـوا للمرتضـى ... رحـمَ النبـوّةِ والقرابـه
لـو لم يكـن خـيرَ الـورى ... بعـدَ النـبيّ لمـا اسـتنابه
قـد أطفـأوا نـور الهـدى ... مـذْ أضرمـوا بالنـار بابـه
أسـدُ الإلـهِ كيـف قـدْ ... ولجـتْ ذئـابُ القـوم غابَـه
في أيّ حكـمٍ قـدْ أبـاحوا ... إرثَ فـاطمَ واغتصابـه
بيـتُ النبـوّةِ بيتُهـا ... شـادتْ يـدُ البـاري قِبابـه
أذن الإلـهُ برفعـه ... والقـومُ قـد هتكـوا حجابـه
بـأبي وديعـةُ أحمـدٍ ... جُرُعـاً سـقاها الظلـمُ صابـه
عاشـت معصبـة الجبـينِ ... تئـنُّ مـن تلـك العُصابـه
حتـى قضـت وعيونُهـا ... عـبرى ومهجتُهـا مذابـه
وأمـضُّ خطـبٍ في حشـى الإ ... سـلام قـدْ أورى التهابـه
بـالليل واراهـا الوصـيُّ ... وقبرهـا عفـى ترابـه

إعلموا أني فاطمة ج٩/ص١٨٥

وفاة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وعيادة العباس بن عبد المطلب لها

روى الشيخ الطوسي (ره) في أماليه بإسناده عن عمار بن ياسر أنه قال : لمّا مرضت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) - مرضتها التي توفيت فيها - وثقلت : جاء ها العباس بن عبد المطلب عائداً ، فقيل له : إنها ثقيلة وليس يدخل عليها أحد ، فانصرف إلى داره وأرسل إلى عليّ (عليه السلام) فقال لرسوله : قل له : يابن أخِ ! عمّك يقرؤك السلام ويقول لك : لله فجأني من الغم بشكاة حبيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقرّة عينيه وعينيَّ فاطمة ما هدّني ، وإني لأظنها أوّلنا لحوقاً برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، يختار لها ويحبوها ويزلفها لربه ، فإن كان من أمرها ما لا بد منه ، فأجمع - أنا لك الفداء - المهاجرين والأنصار حتى يصيبوا الأجر في حضورها والصلاة عليها وفي ذلك جمال للدين .

فقال عليّ (عليه السلام) لرسوله وأنا حاضر عنده : أبلغ عمي السلام ، وقل لا عدمت إشفاقك وتحيّتك ، وقد عرفت مشورتك ، ولرأيك فضله ، إن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم تزل مظلومة ، من حقها ممنوعة ، وعن ميراثها مدفوعة ، لم تحفظ فيها وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولا رعي فيها حقه ، ولا حق الله عز وجل ، وكفى بالله حاكماً ، ومن الظالمين

منتقماً ، وأنا أسألك ياعمِّ أن تسمح لي بتركك ما أشرت به فإنّها وصتني بستر أمرها .

قال : فلما أتى العباس رسوله بما قال علي (عليه السلام) قال : يغفر ا لله لإبن أخي ! فإنه لمغفور له ، إن رأي إبن أخي لا يطعن فيه ، إنه لم يولد لعبد المطلب مولود أعظم بركة من عليّ إلاّ النبي (صلى ا لله عليه وآله) .

إن عليّاً لم يزل أسبقهم إلى كل مكرمة ، وأعلمهم بكل فضيلة ، وأشجعهم في الكريهة ، وأشدهم جهاداً للأعداء في نصرة الحنيفية ، وأوّل من آمن با لله ورسوله (صلى ا لله عليه وآله) [1] .

نعيت إلى الزهراء نفسها :

بعد أن اشتد عليها المرض ، وأخذ الهزل من جسمها كل مأخذ ، رأت فاطمة الزهراء (عليها السلام) أباها رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) في الحلم ، ولعل تلك المرة هي الأولى والأخيرة التي رأت أباها في الحلم .

وقد رأته في قصر من الدر الأبيض ، فلما رآها قال (صلى ا لله عليه وآله) : هلمي إليّ يا بنيّة ! فإني إليك مشتاق !!. فقالت : وا لله إني لأشد شوقاً منك إلى لقائك . فقال لها : أنت الليلة عندي !!.[2]

بعد أن تأكدت (سلام ا لله عليها) من مفارقتها للدنيا سريعاً ، أوصت زوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) بوصاياها ، وما أهمها ، من أمر أولادها وغسلها ونعشها ، وغيرها من الأمور الخاصة .

---

[1] البحار ج٤٣/ص٢٠٩

[2] فاطمة . من المهد إلى اللحد/ص٦٠٤

ثم قالت : أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني ، وأخذوا حقي ، فإنهم عدوّي وعدو رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) .

ولا تترك أن يصلي عليّ أحد منهم ، ولا من أتباعهم ، وادفنّي في الليل إذا هدأت العيون ، ونامت الأبصار . ثم توفيت (صلوات ا لله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها) .

فصاحت أهل المدينة صيحة واحدة ، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها فصرخوا صرخة واحدة ، وكادت أن تتزعزع المدينة من صراخهن ...

واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجون وينتظرون أن تخرج الجنازة فيصلون عليها .

وخرج أبو ذر وقال : إنصرفوا فإن إبنة رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) قد أُخر إخراجها في هذه العشية ، فقام الناس وانصرفوا .

فلمّا هدأت العيون ، ومضى شطر من الليل أخرجها عليّ والحسن والحسين (عليهم السلام) ، وعمار ، والمقداد ، وعقيل ، والزبير ، وأبو ذر ، وسلمان ، وبريدة ، ونفر من بني هاشم ، وخواصّه ، وصلوا عليها ، ودفنوها في جوف الليل ، وسوّى عليّ (عليه السلام) حواليها قبوراً مزورة ... حتى لا يُعرف قبرها [1] .

ولنا أن نلاحظ : أن أولئك الناس يوم وفاة رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) أعرضوا عن دفنه ، وشككوا في موته ، وتلهوا عنه مدة ثلاثة أيام .

---

[1] البحار ج٤٣/ ص١٩٢ عن روضة الواعظين

أمّا في وفاة الصديقة الزهراء (عليها السلام) فلقد حضروا في اليوم الأول ، بل من الساعة الأولى من وفاتها ، وانتظروا القيام بواجب الصلاة والدفن .

فما شغلهم عن دفن الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله) ياترى ؟![1] .

وقد دفن أمير المؤمنين (عليه السلام) فاطمة الزهراء (عليها السلام) بالروضة ، وعمي موضع قبرها .

وأصبح البقيع ليلة دفنت وفيه أربعون قبراً جدداً ، وأن المسلمين لـمّا علموا دفنها جاؤا إلى البقيع فوجدوا فيه أربعين قبراً ، فأشكل عليهم قبرها من سائر القبور ، فضج الناس ولام بعضهم بعضاً وقالوا : لم يخلّف نبيكم فيكم إلاّ بنتاً واحدة ، تموت وتدفن و لم تحضروا وفاتها والصلاة عليها ، ولا تعرفون موضع قبرها .

ثم قال ولاة الأمر منهم : هاتم من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نجدها ، فنصلي عليها ، ونزور قبرها .

فبلغ ذلك أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فخرج مغضباً ، قد احمرت عيناه ، ودرّت أوداجه ، وعليه قباه الأصفر ، الذي كان يلبسه في كل كريهة ، وهو متوكيءٌ على سيفه ذي الفقار ، حتى ورد البقيع .

فسار إلى الناس النذير وقالوا : هذا علي بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه يقسم با لله لئن حُوِّل من هذه القبور حجرٌ ليضعنّ السيف على غابر الآخر .

---

[1] راجع وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) من أول هذا الكتاب ، لتعرف كيف تركوا النبي (صلى الله عليه وآله) مسجى ثلاثة أيام وتلهوا بالبيعة واختيار خليفة لهم .

فتلقاه عمر ومن معه من أصحابه وقال له : ما لك يا أبا الحسن ! وا لله لننبشنّ قبرها ، ولنصلّينّ عليها ، فضرب علي (عليه السلام) بيده إلى جوامع ثوبه فهزّه ، ثم ضرب به الأرض وقال له : يا ابن السوداء ! أمّا حقي فقد تركته مخافة أن يرتد الناس عن دينهم ، وأمّا قبر فاطمة فالذي نفس عليّ بيده ! لئن رمت وأصحابك شيئاً من ذلك لأسقين الأرض من دمائكم ، فإن شئت فأعرض يا عمر !.

فتلقاه أبو بكر فقال : يا أبا الحسن بحق رسول ا لله ، وبحق من فوق العرش إلاّ خليت عنه ، فإنّا غير فاعلين شيئاً تكرهه ، قال : فخلى عنه وتفرق الناس ، ولم يعودوا إلى ذلك [1] .

وهنا لا بد من سوآل يطرح نفسه : لماذا وقف أمير المؤمنين (عليه السلام) من أجل نبش قبر الزهراء (عليها السلام) هذا الموقف البطولي ، ولم يقف أيّ موقف مماثل عندما غصبوا الخلافة ، وظلموها (عليها السلام) بأخذ إرثها ، ونحلتها ، وهجموا على دارها وأحرقوه ، وضربوها وكسروا ضلعها ، وأسقطوا جنينها ، وغيرها من المآسي التي نزلت بها (سلام الله عليها) ؟!.

وقد كفانا مؤنة الجواب عن ذلك سماحة العلامة المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين بقوله : فدعاه النظر للدين إلى الكف عن طلب الخلافة والتجافي عن الأمور ، علماً منه أن طلبها والحال هذه ، يستوجب الخطر

---

[1] البحار ج٤٣/ص١٧١ عن دلائل الإمامة للطبري .

للأمة ، والتغرير في الدين ، فاختار إيثـار الإسـلام ، وتقديمـاً للصـالح العـام ، وتفضيلاً للآجلة على العاجلة .

غير أنه قعد في بيته - ولم يبايع حتى أخرجـوه كرهـاً - إحتفاظـاً بحقـه ، وإحتجاجاً على من عدل عنه ، ولو أسرع إلى البيعة ما تمت لـه حجـة ، ولا سطع له برهان ، لكنه جمع فيما فعل بين حفظ الدين ، والإحتفاظ بحقه مـن إمرة المؤمنين ، فدلّ هذا على أصالة رأيه ، ورجاحة حلمه ، وسعة صـدره ، وإيثاره المصلحة العامة .

ومتى سخت نفس امرئ عن هذا الخطب الجليل ، والأمر الجزيـل ، ينـزل من الله تعالى بغاية منازل الدين ، وإنما غايته مما فعل أربح الحالين له ، وأعود المقصودين عليه ، بالقرب من الله عز وجل [١] .

وروى في روضة الكافي [٢]

باسناده عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال : إن الناس لمـّا صنعـوا مـا صنعوا ، إذ بايعوا أبا بكر ، لم يمنع أمير المؤمنين (عليه السلام) مـن أن يدعـوا إلى نفسه إلاّ نظراً للنـاس ، وتخوفـاً عليهـم أن يرتـدّوا عـن الإسـلام ، فيعبـدوا الأوثان ، ولا يشهدوا أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله .

وكان الأحب إليه أن يقرهم على ما صنعوا ، من أن يرتدوا عن الإسلام وإنما هلك الذين ركبوا ما ركبوا .

---

[١] المراجعات /ص٢٧٩ رقم/٨٤

[٢] /ص٢٩٥

فأمّا من لم يصنع ذلك ، ودخل فيما دخل فيه النـاس على غـير علـم ولا عداة لأمير المؤمنين (عليه السلام) فإن ذلك لا يكفّره ، ولا يخرجه من الإسـلام ، فلذلك كتم عليّ (عليه السلام) أمره ، وبايع مكرهاً ، حيث لم يجد أعواناً (١) .

قصيدة للقاضي أبي بكر بن أبي قُريعة

يـــــامن يســـــائل دائبـــــاً — عـــن كـــل معضلـــة ســـخيفة
لا تكشـــــفن مغطـــــى — فلربمـــا كشـــفت جيفـــة
ولـــرب مســـتور بـــدا — كـــالطبل مـــن تحـــت القطيفـــة
إنّ الجـــوابَ لحـــاضر — لكنـــي أخفيـــه خيفـــة
لـــولا اعتـــداء رعيّـــة — ألقـــى سياســـتها الخليفـــة
وســـيوف أعـــداء بهـــا — هاماتنـــا أبـــداً نقيفـــة
لنشـــرت مـــن أســـرار آل — محمـــد جمـــلاً طريفـــة
تغنيكـــم عمّـــا رواه — مـــالك وأبـــو حنيفـــة
وأريتكـــم أن الحســـين أُصيـــب — في يـــوم الســـقيفة
ولأيّ حـــال لحـــدت — بـــالليل فاطمـــة الشـــريفة
ولمـــا حمـــت شـــيخكم — علـــى وطـــئ حجرتهـــا المنيفـــة
آه لبنـــت محمّـــد — مـــاتت بغصتهـــا أســـيفة

البحار ج٤٣/ص١٩٠ ، وكشف الغمة ج٢/ص١٢٧ ، وإعلموا أني فاطمة ج٩/ص١٨٦ .

رثاء أمير المؤمنين للزهراء (عليهما السلام)

روى في أصول الكافي [١]

باسناده عن أبي عبد الله الحسين بن عليّ(عليهما السلام) أنه قال : لمّا قبضت فاطمة (عليها السلام) ، دفنها أمير المؤمنين (عليه السلام) سراً ، وعفا على موضع قبرها ، ثم قام فحوّل وجهه إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ثم قال : السلام عليك يا رسول الله ! عني ، والسلام عليك عن ابنتك ، وزائرتك ، والبائتة في الثرى ببقعتك ، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك ، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري ، وعفا عن سيدة نساء العالمين تجلّدي ، إلاّ أن التأسي لي بسنتك في فرقتك ، موضع تعزٍّ ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت نفسك بين نحري وصدري .

بلى ! وفي كتاب الله لي أنعم القبول ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، قد أُسترجعت الوديعة ، وأُخذت الرهينة ، وأُخلست الزهراء ، فما أقبح الخضراء والغبراء يارسول الله !.

أمّا حزني فسرمد ، وأمّا ليلي فمسهد ، وهمّ لا يبرح من قلبي ، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم ، كمد مقيّح ، وهم مهيّج ، سرعان ما فُرّق بيننا ، وإلى الله أشكو .

---

[١] ج١/ص٤٥٨

وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها ، فأحفها السؤال ، واستخبرها الحال ، فكم من غليل معتلج بصدرها ، ولم تجد إلى بثه سبيلا ، وستقول ، ويحكم الله وهو خير الحاكمين .

والسلام عليكما سلام مودع ، لا قالٍ ولا سئم ، فإن أنصرف فلا عن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين .

واهاً واهاً ، والصبر أيمن وأجمل ، ولولا غلبة المستولين ، لجعلت المقام واللّبث لزاماً معكوفاً ، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزيّة .

فبعين الله تدفن ابنتك سراً ، وتهضم حقها ، ويمنع إرثها ؟!.

ولم يتباعد العهد ، ولم يخلق منك الذكر ، وإلى الله يارسول الله المشتكى وفيك يارسول الله أحسن العزاء ، صلى الله عليك ، وعليها السلام والرضوان .

ورواه الشيخين الطوسي والمفيد (ره) في مجالسهما [1] .

وفي الديوان المنسوب لأمير المؤمنين (عليه السلام) أنه أنشد بعد وفاة الزهراء (عليها السلام) :

أرى علل الدنيا عليّ كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل

فقد قال في الأمثال في البين قائل ... أضرٌّ به يوم الفراق رحيل

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل

وأن افتقادي فاطماً بعد أحمدٍ ... دليل على أن لا يدوم خليل

---

[1] البحار ج٤٣/ص١٩٣ و/ص٢١١

يُريد الفتى أن لا يموت حبيبه وليس إلى ما يبتغيه سبيل
وليس جليلاً رزء مالٍ وفقده ولكنّ رزء الأكرمين جليل [1]

(١) البحار ج٤٣/ص٢١٦

من قصيدة لحجة الإسلام الشيخ عبد الحسين صادق العاملي

(بنحلتهـا) جـاءت تطـالب معشـراً　　بدا كفرهم من بعدما أضمروا الكفرا

عموا عن هواهـا ثـم صمـوا كثيرهم　　كـأن بسـمع القـوم مـن قولهـا وقـرا

لقد أرعشت بالوعظ صـل ضغونهـم　　فثاروا لهـا والصـل أن يرتعـش يضـرا

فلـو أنهـم أوصـى النـبي بظلمهـم　　لها ما استطاعوا غير ما ارتكبـوا أمـرا

وأنـي وهـم طـوراً عليهـا تراثهـا　　أبوا وأبـوا منهـا البكـاء تـارة أخـرى

وهـم وشموهـا تـارة بسـياطهم　　وآونـة قـد أوسـعوا ضلعهـا كسـرا

وخـلِ حديـث (البـاب) ناحيـة فمـا　　تمثلتُـه إلاّ جـرتْ مقلـتي نهـرا

بنفسـي الـتي ليـلاً تـوارت بلحدهـا　　وكـان بعـين الله أن دفنـت سـرا

بنفسـي الـتي أوصـت بإخفـاء قبرهـا　　ولولاهـم كـانت بأظهـاره أحـرى

بنفسـي الـتي مـاتت ومـالئ بردهـا　　مـن الوجـد مـا لم تحره سـعة الغـبرا

رموهـا بسـهم عـن قسـيّ حقودهـم　　فـأصبح فيمـا بينهـم دمهـا هـدرا

عليهـا سـلام الله لا زال واصـلاً　　لهـا فصـلاة الله مـا برحـت تـترى

وفاة الصديقة الزهراء للسيد المقرم /ص١١٨

ندم الذين تعاقدوا على ظلم أهل البيت (عليهم السلام)

ندم أبي بكر عند الموت

روى الطبري في تاريخه

باسناده عن عبد الرحمن بن عوف في عيادته لأبي بكر في مرضه الذي مات فيه بعد كلام بينهما ، قال عبد الرحمن بن عوف : إنك لا تأسى على شيء من الدنيا ، قال أبو بكر : أجل إني لا آسى على شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن .

وثلاث تركتهن وددت أني فعلتهن .

وثلاث وددت أني سألت عنهن رسول الله - (صلى الله عليه وآله) - .

فأمّا الثلاث اللاتي وددت أني تركتهن : فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء ، وإن كانوا قد غلقوه على حرب ، ووددت أن لم أكن حرقت الفجاءة السلمي [1] وأني كنت قتلته سريحاً ، أو خليته نجيحاً ..[2]

وروى في إرشاد القلوب للديلمي

باسناده عن عبد الرحمن بن غنم الأزدي - حين مات معاذ بن جبل ، وكان أفقه أهل الشام ، وأشدهم اجتهاداً - قال : مات معاذ بن جبل

---

[1] راجع الغدير ج٧/ص١٥٦ وتعرّف على حكاية حرق الفجاءة السلمي ، عن تاريخ الطبري ، وتاريخ إبن كثير ، والكامل لإبن الأثير ، والإصابة .

[2] الغدير ج٧/ص١٧٠ ، عن تاريخ الطبري ، وأبو عبيد في الأموال ، والإمامة والسياسة ، ومروج الذهب ، والعقد الفريد ، وتلخيص الشافي ج٣/ص١٧٠

بالطاعون ، فشهدته يوم مات ، والناس متشاغلون بالطاعون ، قال : وسمعته حين احتضر ، وليس معه في البيت غيري ، وذلك في زمن خلافة عمر بن الخطاب ، فسمعته يقول : ويلٌ لي ، ويلٌ لي ، فقلت له : مِمَّ ؟.

قال : من موالاتي عتيقاً ، وعمر ، على خليفة رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) ووصيه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

فقلت : إنك لتهجر ، فقال : يابن غنم ! هذا رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) وعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يقولان : أبشر بالنار وأصحابك ، أفليس قلتم إن مات رسول ا لله زوينا الخلافة عن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فلن تصل إليه !.

فاجتمعتُ أنا وأبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة ، وسالم مولى أبي حذيفة .

فقال : فقلت متى يا معاذ ؟.

قال : في حجة الوداع ، قلنا نتظاهر على عليّ (عليه السلام) ، فلا ينال الخلافة ما حيينا !!!.

قلت يامعاذ ! إنك لتهجر ، فالصق خده إلى الأرض ، فما زال يدعو بالويل والثبور حتى مات .

فقال إبن غنم : ما حدثت هذا الخبر إلاّ إبنتي إمرأة معاذ ، ورجلاً آخر ، فإني فزعت مِمّا رأيت وسمعت من معاذ .

قال : فحججت ، ولقيت الذي غمض أبا عبيدة وسالماً ، فأخبرني أنه حصل لهما نحو ذلك عند موتهما لم يزد حرفاً فيه ، ولم ينقص حرفاً ، كأنهما قالا مثل ما قال معاذ بن جبل .

قال أبان عن سليم : فحدثت بحديث إبن غنم هذا كله محمد بن أبي بكر فقال لي : اكتم عليّ واشهد أن أبي قد قال عند موته مثل مقالتهم ، فقالت عائشة : إن أبي يهجر .

قال : ولقد لقيت عبد الله بن عمر في خلافة عثمان ، وحدثته بما سمعت من أبي عند موته ، وأخذت عليه العهد والميثاق ليكتم عليّ .

فقال إبن عمر : اكتم عليّ فو الله لقد قال أبي مثل مقالة أبيك ، ما زاد ولا نقص ، ثم تداركها إبن عمر بعد تخوف أن أخبر بذلك عليّ بن أبي طالب ، لما علم من حبي له ، وإنقطاعي إليه ، فقال : إنما يهجر .

فأتيت أمير المؤمنين (عليه السلام) فأخبرته بما سمعته من أبي ، وبما حدثني به إبن عمر .

قال (عليه السلام) : قد حدثني بذلك عن أبيك ، وعن أبيه ، وعن أبي عبيدة وسالم ، وعن معاذ ، من هو أصدق منك ومن إبن عمر ، فقلت : ومن ذاك يا أمير المؤمنين ؟.

فقال : من حدثني .

فعرفت من عنى ، فقلت صدقت ! إنما ظننت إنساناً حدثك .

وما شهد أبي وهو يقول ذلك غيري [1] .

---

[1] إرشاد القلوب /ص٣٩١ ، وكتاب سليم بن قيس/ص١٨٢

من قصيدة الشيخ صالح الكواز

بل بكائي لذكرِ من خصّها ا لله … تعالى بلطفه واجتباها
ختم ا لله رُسلَه بأبيها … واصطفاهُ لوحيه واصطفاها
وحباها بالسيّدين الزكييـ … ـن الإمامين منه حين حباها
ولَفكريْ في الصاحبيْن اللّذين … استحسنا ظلمها ما راعياها
منعا بعلها من العهد والعقد … وكان المنيب والأوّاها
واستبدّا بإمرة دبراها … قبل دفن النبيّ وانتهزاها
وأتت فاطمُ تطالبُ بالإرث … من المصطفى فما ورثّاها
ليت شعريْ لِمْ خولفت سنن … القرآن فيها وا لله قدْ أبداها
نسخت آيةُ المواريث منها … أمْ هما بعد فرضها بدّلاها
أمْ ترى آية المودّة لم تأ … ت بودِّ الزهراء في قرباها
ثم قالا أبوكِ جاءَ بهذا … حجة من عنادهمْ نصباها
قالَ للأنبياء حكم بأن لا … يورثوا في القديم وانتهراها
أفبنتُ النبيّ لم تدرِ إنْ كا … ن نبيُّ الهدى بذلك فاها
بضعةٌ من محمدٍ خالفتْ ما قالَ … حاشا مولاتنا حاشاها
سمعتهُ يقولُ ذاك وجاءت … تطلب الإرث ضلّة وسفاها
هيَ كانتْ لله أتقى وكانتْ … أفضل الخلقِ عفّةً ونزاها
أو تقولُ النبيُّ قدْ خالفَ القر … آن ويحَ الأخبار ممنْ رواها
سلْ بإبطال قولهم سورة النملِ … وسلْ مريم التي قبل طَهَ

فهمـا ينبئـانِ عـنْ إرثِ يحيـي ... وسـليمانَ مـن أرادَ انتباهـا

فدعتْ واشتكتْ إلى الله من ذا ... لك وفـاضتْ بدمعهـا مقلتاهـا

ثـم قـالتْ فنحلـةٌ ليَ من والـدي ... المصطفـى فلـمْ يُنحلاهـا

فأقـامتْ بهـا شـهوداً فقـالوا ... بعلهـا شـاهدٌ وابناهـا

لم يُجيزوا شهادةَ ابنيْ رسول الله ... هـادي الأنـام إذْ ناصباهـا

لم يكـن صادقـاً علـيٌّ ولا فـا ... طمـةُ عندَهـمْ ولا ولداهـا

كـانَ أتقـى لله منهـم فـلانٌ ... قُبّـحَ القـائلُ المحـال وشـاها

جرّعاهـا مـن بعـدِ والدِهـا ... الغيض مراراً فبئس ما جرعاها

ليت شعري ما كـان ضرّهمـا ... الحفـظُ لعهـدِ النبيِّ لـو حفظاهـا

كـانَ إكـرامُ خـاتمِ الرسـل الهـا ... دي البشير النذير لو أكرماهـا

ولكـانَ الجميـلُ أنْ يُقطعاهـا ... فدكـاً لا الجميـل أنْ يَقطعاهـا

كـانَ تحـتَ الخضـراءِ بنـتُ نبـيٍّ ... صـادقٍ نـاطقٍ أمـينٍ سـواها

بنـتُ مَـنْ أُمُّ مَـنْ حليلـة مَـنْ ... ويـلٌ لمنْ سـنَّ ظلمهـا وأذاهـا

قـل لنـا أيهـا المجـادلُ في القـول ... عـن الغـاصبيْن إذْ غصباهـا

أهمـا ما تعمّداهـا كمـا قلـتَ ... فبظلـمٍ كـلاّ ولا اهتضماهـا

فمـاذا إذْ جُهـزّتْ للقـاء الـ ... ـلـهِ عنـدَ الممـاتِ لم يحضراهـا

شيعَتْ نعشَـها ملائكـةُ الرحمـ ... ـن رفقـاً بهـا ومـا شـيّعاها

كـانَ زهـداً في أجرهـا أم عنـاداً ... لأبيهـا النـبيّ لمْ يتبعاهـا

أم لأنَّ البتـولَ أوصـتْ بـألاّ ... يشـهدا دفنهـا فمـا شـهداها

كيف ما شئتَ قل كفاك فهـذي ... فريـةٌ قـدْ بلغـت أقصـى مداهـا

أغضباها وأغضبا عند ذاك الـــ ـلـهَ ربّ السماءِ إذْ أغضباها

وكذا أخبرَ النبيُّ بأنّ الـــ ـلـهَ يرضى سبحانه لرضاها

لا نبيُّ الهدى أُطيعَ ولا فا طمةُ أُكرمتْ ولا حسناها

ولأيِّ الأمور تُدفن سراً بضعةُ المصطفى ويُعفى ثراها

إعلموا أني فاطمة ج٩/ص١٨٠

عمر بن الخطاب يُكافئ قنفذاً

روى سليم في كتابه ، أنه جاء إلى عمر بن الخطلب - في ولايته - أبياتاً من الشعر من أبي المختار بن أبي الصعق : يطلب منه بأن يحاسب عمّاله وولاته على الأقطار ، لأنهم يسرقون الأمة بإسم المسؤلية .

فعمل عمر بنصيحة الرجل ، بدون تحقيق أو تدقيق .

قال سُليم : فأغرم عمر بن الخطاب تلك السنة جميع عماله أنصاف أموالهم لشعر أبي المختار . و لم يغرم قنفذ العدوي شيئاً ، وقد كان من عماله ورد عليه ما أُخذ منه ، وهو عشرون ألف درهم .

و لم يأخذ منه عشرة ، ولا نصف عشرة .

وكان من عماله الذين أُغرموا أبو هريرة ، وكان على البحرين ، فأحصى ماله فبلغ أربعة وعشرون ألفاً ، فأغرمه إثنى عشر ألفاً [1] .

قال أبان عن سليم : فلقيت عليّاً (صلوات الله عليه) فسألته عمّا صنع عمر ؟.

فقال : هل تدري لِمَ كفّ عن قنفذ و لم يغرمه شيئاً ؟ قلت : لا ، قال : لأنه هو الذي ضرب فاطمة بالسوط حين جاءت لتحول بيني وبينهم ، فماتت - (صلوات الله عليها) - وإن أثر السوط لفي عضدها مثل الدملج .

قال أبان عن سليم : انتهيت إلى حلقة في مسجد رسول ا لله (صلى الله عليه وآله) ، ليس فيها إلا هاشمي ، غير سلمان وأبي ذر والمقداد ، ومحمد بن أبي بكر ، وعمر بن أبي سلمة ، وقيس بن سعد بن عبادة .

---

[1] راجع كتاب أبو هريرة لشرف الدين ، وأبو هريرة الدوسي للشيخ محمود أبو رية ، وتعرّف على إختلاف عمر وأبو هريرة على المال ، وكيف ضربه بالدرة .

فقال العباس لعلي - (صلوات الله عليه) - ما ترى عمر منعه من أن يغرم قنفذاً كما أغرم جميع عماله ؟.

فنظر عليّ (عليه السلام) إلى من حوله ثم اغرورقت عيناه ، ثم قال : شكر لـه ضربة ضربها فاطمة بالسوط ، فماتت وفي عضدها أثره كأنه الدملج [1] .

---

[1] البحار مجلد ٨/ص٢٢٣ ط قديمة ، وكتاب سُليم /ص٩٦/٩٨ وهناك تجد أبيات المختار بن أبي الصعق إلى عمر

من قصيدة للعلامة الحجة السيد عبد المحسن فضل الله (ره) (١)

أغمض الطرف فالسنين ورائي ... تروي أحداثها على استحيائي

فالقليل القليل منه كفيل ... أن يريك الأولى بكل جلاء

كيف قامت على الضلالة تبني ... هيكلاً أسّه على البغضاء

للبتول الطهور ويح أُناس ... أغضبوا الله في أذى الزهراء

وهي معنىً قدعبر الله عنه ... بانبثاق الهدى من الأمناء

هي معنىً فوق ما يدرك الفكرُ ... سمواً وهي شمس كل سماء

هي تسبيحة من الله في الأرض ... أنارت حنادس الظلماء

هي قدس النبي أُمّ أبيها ... وقفة النور بين طين وماء

هي حب النبي رجع صداه ... فاطم بضعتي ولاها ولائي

هي من حاطت النبي بعطف ... فاق عطف الأبناء للآباء

وهي من حاطها النبي بعطف ... فاق عطف الآباء للأبنائي

وهي من خصها ارتفاعاً عن الأر ... ض برمز الأملاك في الغبراء

زفها نحوه بموكب قدس ... بزّ شأواً فصاحة البلغاء

وهي من أنزل المهيمن فيها ... آية الطهر في أتم أداء

وهي سيف الإله باهل فيه ... أحمدُ الشرك حاسراً في العراء

وهي أم الكساء ضم سناه ... خير كل الورى بلا استثناء

هذه فاطم وبعض علاها ... فاسألوها عن فاضح الأنباء

طلبت إرثها كما أمر الله ... فردت بفرية الأدعياء

(١) وقدنشرنا هذه القصيدة التي تكرم علينا بها سماحة السيد (ره) في الطبعة الأولى لهذا الكتاب .

أتراهـا والطهـر كـل معانيهـا   افـتراءً تفـوه بالحوبـاء

ألـف حاشـا أن تفـتري ابنـة طـهَ   فهـي أدرى بشـرعة الأنبيـاء

يـابن تيـم مـن أنـت كـي تزدريهـا   خسيء القـول أن تكـون ندائـي

خسـئت أمـة تـأمّر فيهـا   فئـة أسسـت علـى البغضـاء

يالعـار الأحـداث صغرى مراميهـا   انتقـاض الشـريعة السـمحاء

قسـما بـالنبي لـولا اختشـائي   مـن ضيـاع الحقيقـة الغـراء[1]

لطويـتُ الحديـث عـن أي فصـل   سـجلته صحـائف الأعـداء

---

[1] شهد الله أن غاية السيد هي غايتنا .

الخاتمة

الحياة لها طريقان لا ثالث لهما : طريقٌ حق وطريقٌ باطل ، أو طريق الرحمن وطريق الشيطان ، وقد بينت لنا فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، في خطبتيها : أمام الصحابة في المسجد ، وأمام نساء المهاجرين والأنصار ، أيَّ طريق نتّبع ، وعلى أي منهاج نسير .

وأيّ خارجٍ على تعاليم النبي العظيم وقد وُلّيَ أحكام المسلمين ، وسُلّط على رقاب المؤمنين : افتراءٌ في الآحاديث المنسوبة إليه (صلى الله عليه وآله) ، وجحودٌ للتعاليم السماوية ، واغتصابٌ لحقوق أهل البيت (عليهم السلام) ، وتآمرٌ من المسلمين مع الطغمة الحاكمة على الظلم والإعتداء ، حتىوصلت الأمور إلى ما وصلت إليه من تحكم المنافقين ، واستيلاء الكافرين على البلاد والعباد ، وأصبح المؤمن أذل من الشاة ، وقد أوضح سبحانه في كتابه المجيد أن له طريقاً واحداً لا غير ، قال تعالى: ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله** ﴾ [1] .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أيها الناس ...قد تركت فيكم الثقلين خليفتين ، إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود مابين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض [2] .

---

[1] الأنعام/١٥٣

[2] دلائل الصدق ج٢/ص٤٧٢

وروى الزمخشري – وكان من أشد الناس عناداً لأهل البيت – بإسناده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : فاطمة بهجة قلبي ، وأبناها ثمرة فؤادي ، وبعلها نور بصري ، والأئمة من ولدها أمناء ربي ، وحبل ممدود بينه وبين خلقه ، من اعتصم بهم نجا ، ومن تخلف عنهم هوى [١] .

وعلى هذا – أيها القارئ الفطن – أجدني قد أديت بعضَ ما عليّ من إظهار الحق ، وتبيان أهله ، حتى نكون من أتباعه ورواده .

فما علينا نحن شيعة الزهراء (عليها السلام) ومحبيها إلاّ أن نقتدي بها ، كما اقتدينا بأبيها (صلى الله عليه وآله) ، لأنها قطعة منه ، وصورة عنه : بالإيمان والعبادة والتسبيح والخلق الكريم .

وهي (عليها السلام) خير قدوة لنسائنا وفتياتنا .

في حال صباها كانت أم أبيها كما قال عنها (صلى الله عليه وآله) ، ومع زوجها كانت الزوجة الصالحة المطيعة والمحترمة له ، العارفة حقه من الله تعالى .

وأمّا مع أولادها فهي المربية الناجحة الواعية .

وخير برهان على حسن تربيتها لهم ، أنه لم يكن أبناءٌ خيراً منهم ، لا من الأولين ، ولا من الآخرين ، عنيت بهم الحسن والحسين ، سيديّ شباب أهل الجنة ، وزينب الكبرى ، وزينب الصغرى – أم كلثوم – (سلام الله عليهم أجمعين) .

---

[١] نفس المصدر

هذه فاطمة الزهراء ، البتـول الحـوراء ، الصديقـة الطـاهرة ، سـيدة نسـاء العالمين ، من الأوّلين والآخرين .

فهي خير قدوة لنا ، وبنت أعظم قائد ، وزوجة أمير المؤمنين ، وأُم الأئمة السادة الميامين ، الذين أذهب ا لله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ...

نعم للإقتداء بالزهراء عبادة وتسبيحاً .

نعم للإقتداء بالطاهرة المطهرة ، بتربية الأبناء الصالحين ، والأجيال المؤمنين

نعم للمرأة التي تهيّء الجو المناسب للرجل لكي يجاهد في سبيل ا لله تعـالى ويقوم بواجبه أمام دينه وأمته .

أمّا جهادها هي فحسن التبعل ، كما ورد [1] .

لم يطلب الإسلام من المرأة جهاد الأعداء ، والحرب والقتال في سـبيل ا لله تعالى ، بل طلب منها أن تبني مجتمعاً مؤمناً صالحاً ، وأن تربـي أبناءهـا تربيـة إسلامية : على تعاليم القرآن الكريم ، وسنة الرسول العظيم ، وسيرة الأئمـة الطاهرين (صلوات ا لله عيهم اجمعين) كمـا فعلـت الزهـراء في تربيـة أبنائهـا العظـام ، سادة العالم إلى آخر الزمان .

هذا ما نرجوه من نسائنا اليوم : أن يقتدين بالزهراء بنتاً ...

وبالزهراء زوجة ...وبالزهراء أمّاً ...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

---

[1] وسائل الشيعة ج١١/ص١٥

من قصيدة للأديب الشيخ حسن الحلي

لكـن أذاب فـؤادي حـادث جلـل   تنمـى إليـه الرزايـا حـين تنتسـبُ
يوم قضى المصطفى في صحبه وعلى   الأعقـاب مـن بعـده أصحابـه انقلبـوا
قـادوا أخـاه ورضّـوا ضلـع بضعتـه   بجورهـم ولهـا البغضـاء قـد نصبـوا
لم أنسـها وهـي تنعـاه وتندبـه   وقلبهـا بيـد الأرزاء منتهـبُ
تقـول يـا والـدي ضـاق الفضـاء بنـا   لمّـا مضيـتَ وحـالت دونـك التُربُ
(قـد كـان بعـدك أنبـاء وهنبثـة   لو كنت شـاهدها لم تكثر الخطـبُ)
(إنـا فقدنـاك فقـد الأرض وابلهـا   واختل قومك فأشهدهم فقد نكبـوا)
نفـوا أخـاك عليـاً عـن خلافتـه   وشـيخ تيـم عنـاداً منهـم نصبـوا
كقوم موسى أطاعوا العجـل واعـتزلوا   هرون والسامري الرجس قد صحبوا
ألغـوا وصايـاه في أهليـه وانتهبـوا   ميراثـه وإلى حرمـانهم وثبـوا
أبضعـة الطهـر طـه نصـب أعينهـم   بالباب يعصرها الطاغي ومـا غضبـوا
رضّـوا أضالعهـا أجـروا مدامعهـا   أدمـوا نواظرهـا ميراثهـا غصبـوا
لبيتهـا وهـي حسـرى في معاصمهـا   عـدواً فـلاذت وراء البـاب تحتجـبُ
فـألّموا عضديهـا في سـياطهم   وأسـقطوا حملهـا والمرتضـى سـحبوا
قـادوه بـالحبل قهـراً وهـي خلفهـم   تدعـوا وأدمعهـا كـالغيث ينسـكبُ
يـاقوم خلـوا بـن عمـي قبـل أن تقـع   الخضراء فوق الثرى والكـون ينقلـبُ
فقنعوهـا بقـروع الأصبحيـة لا   عداهـم سـخط الجبـار والغضـبُ
ووشـحوا متنهـا بالسـوط فانكفـأت   لدارهـا وحشـاها ملـؤه عطـبُ

٣٨٣

ما بارحت قلبها الأحزان ذات حشاً حرّى إلى أن أهيلت فوقها التربُ

قضت وفي جنبها أثر السياط وفي فؤادها للرزايا جحفل لجبُ

ما شيعوا نعشها السامي عُلا ولقد تزاحمت خلفها الأملاك تنتحبُ

إعلموا أني فاطمة ج٩/ص١٩٨

مصادر خطبتيّ الزهراء (عليها السلام) أمام الصحابة ونساء المهاجرين والأنصار

لنذكر بعض المصادر التي روت خطب الزهراء (عليها السلام) أمام الصحابة في المسجد ، وأمام نسائهم . وذلك من طريقيّ السنة والشيعة .

١= الإحتجاج : للشيخ الطبرسي . (وقد اعتمدناه كثيراً في هذا الكتاب)

٢= الآمالي : لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي .

٣= معاني الأخبار : للشيخ الصدوق .

٤= الشافي : للشريف المرتضى (علم الهدى) .

٥= بحار الأنوار : للشيخ المجلسي .

٦= الطرائف : للسيد ابن طاووس .

٧= كشف الغمة : للشيخ للاربلي .

٨= دلائل الإمامة : للطبري .

٩= أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين .

١٠= شرح نهج البلاغة : لإبن أبي الحديد المعتزلي .

١١= بلاغات النساء : لأبي الفضل بن أبي طاهر .

١٢= أعلام النساء : لعمر رضا كحالة .

١٣= مروج الذهب : للمسعودي .

من القصيدة الإزرية

لناظمها الشيخ محمد كاظم الإزري (ره)

نقضوا عهد أحمد في أخيه وأذاقوا (البتول)ما أشجاها (١)

وهي العروة التي ليس ينجو غير مستعصم بحبل ولاها (٢)

لم يرَ الله للنبوة أجراً غير حفظ الوداد في قرباها (٣)

لستُ أدري إذْ روّعت وهي حسرى عاند القوم بعلها وأباها

يوم جاءت إلى عدي وتيم (٤) ومن الوجد ما أطال بكاها

فدعت واشتكت إلى الله شجواً والرواسي تهتز من شكواها

تعظ القوم في أتم خطابٍ حكت المصطفى به وحكاها (٥)

أيها القوم راقبوا الله فينا نحن من روضة الجليل جناها

واعلموا أننا مشاعر دين الله فيكم فاكرموا مثواها

إنْ ترومُوا الجنان فهي من الله إلينا هدية أهداها

هي دار لنا ونحن ذووها لا يرى غير حزبنا مرءاها

وكذاك الجحيم سجن عدانا حسبهم يوم حشرهم سكناها

أيها الناس أي بنت نبيٍ عن مواريثه أبوها زواها

كيف يزوي عني تراثي عتيق (٦) بأحاديث من لدنه افتراها

هذه الكتب (٧) فاسألوها تروها بالمواريث ناطقاً فحواها

وبمعنى ﴿يوصيكم الله﴾ (٨) أمر شامل للعباد في قرباها

كيف لم يوصنا بذلك مولانا وتيّماً من دوننا أوصاها (٩)

هـل رآنـا لا نسـتحق اهتـداءً   واسـتحقت تيـمُ الهـدى فهداهـا

أنصفوني مـن جـائرين (١٠) أضاعـا   ذمـة المصطفـى ومـا رعياهـا

مـا لكـم قـد منعتمونـا حقوقـاً   أوجـب الله في الكتـاب أداهـا

وحـذوتم حـذو اليهـود غـداة   اتخـذوا العجـل بعـد موسـى إلهـا

قـد سـلبتم مـن الخلافـة خـوداً   كـان منّـا قناتهـا ورداهـا

وسـبيتم مـن الهـدى ذات خـدر   عـزّ يومـا علـى النبي سـباها (١١)

إنْ رضيتـم مـن دوننـا خلفـاء   لا اشـتفت مـن قلوبكـم مرضاهـا

أو أبيتـم عهـود أحمـد فينـا   لا وقيتـم مـن الرزايـا سـطاها

تدّعـون الإسـلام إفكـاً وزوراً   كذبـت أمهـاتكم بادعاهـا

أي شـيء عبـدتمُ إذْ عبـدتم   أن يولّـى تيـم علـى آل طـهَ

هـذه الـبردة الـتي غضـب الله   علـى كـل مـن سـوانا ارتداهـا

فخذوهـا مقرونـة بشـنار   غـير محمـودة لكـم عقباهـا

والبسـوها لبـاس عـار ونـار   قـد حشـوتم بالمخزيـات وعاهـا

كيـف تنفـى ابنـة النـبي عنـاداً   لا نفـى الله مـن لظـى مـن نفاهـا

ولأي الأمـور تدفـن سـراً   بضعـة المصطفـى ويعفـى ثراهـا

فمضـت وهـي أعظـم النـاس وجـداً   في فـم الدهـر غصـة مـن جواهـا

وثـوت لا يـرى لهـا النـاس مثـوى   أي قـدس يضمـه مثواهـا

ثـم همّـت ببعلهـا كـل كـفٍ   واسـتمدت لـه رقـاق مداهـا

أمـة قـاتلت إمـام هداهـا   يـا تـرى أيـن زال عنهـا حياهـا

كـم أرادت إطفـاء نـار حسـام   صاغـه الله ثمـرة لحشـاها

الحواشي :

(١) أي نقضوا وصايا النبي (صلى ا لله عليه وآله) بأخيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

(٢) إشارة إلى حديث الثقلين : إني تارك فيكم كتاب ا لله وعترتي أهل بيتي ...

(٣) إشارة إلى آية المودة : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى** ﴾ الشورى/٢٣ .

(٤) إشارة إلى أبي بكر وعمر ، لأن الأول من بني تيم والثاني من بني عدي .

(٥) إشارة إلى أن الزهراء (عليها السلام) تشبه أباها رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) بمشيتها ومنطقها فذكّرتهم به

(٦) يقصد بعتيق : أبو بكر بن أبي قحافة .

(٧) يعني كتب السماء التي نزلت على الأنبياء (عليهم السلام) .

(٨) إشارة إلى الآية (١١) من سورة النساء ، فهي تورّث جميع الناس ، الأنبياء وغيرهم .

(٩) يعني أن الشاعر يصور تعجب الزهراء (عليها السلام) وكأنها قالت : هل يعقل أن أبـي محمـد (صلـى ا لله عليـه وآله) لم يوصني وأنا ابنته الوحيدة بأنني لا أرث ، ويوصي أبا بكر بن أبي قحافة ؟!.

(١٠) إشارة إلى أبي بكر وعمر بن الخطاب .

(١١) يعني أنهما – أي أبو بكر وعمر – السبب فيما حصل في العالم الإسلامي على طول التـاريخ مـن قتـل وظلـم وسبي نساء وهتك أعراض ...

فهرس الموضوعات

فهرس بعض القصائد التي اخترناها لمناسبتها للمقام

هذا الكتاب

يحتوي هذا الكتاب على نبذة وجيزة من حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وشرح وافٍ لخطبتيها : أمام الصحابة في المسجد ، وأمام نساء المهاجرين والأنصار .

ويذكر الأسباب التي دعتها إلى قول ذاك الكلام العظيم ،

ويأتي بالأدلة والبراهين ، على غصب حقها ، والهجوم على دارها لإحراقه ، وكيف كسروا ضلعها ، وأسقطوا جنينها ، ولطموا خدها إلى ما هنالك من مظالم جرت عليها ،

وعن نهاية كل ظالمٍ منهم ،

وعن رأي بعض العلماء الأعلام ،

وذلك من طريقي السنة والشيعة .